بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية
العدد السادس
شعبان المعظم ١٤٣٢ هـ. ق

تصدر عن:
مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:
مسعود بورسيدآقايي

مدير التحرير:
رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:
آيةاللّه سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور تيجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري، الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر جعفري، الدكتور فرامرز سهرابي، الدكتور مسعود بورسيدآقايي، الدكتور رضي موسوي الجيلاني

مدير الترجمة:
مرتضى احمدي

تصميم والكرافيك:
مصطفى برجي، علي قنبري

فهرس المندرجات

غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وظهوره بين الغيب المطلق والشروط الموضوعية ٣
محمد الشوكي

خصائص ودلائل دولة التمهيد للقائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وولاية الفقيه ٢١
الدكتورعلي أبوالخير

وجهة التاريخ والإنسان نحو الخلاص الكوني ٦٠
الدكتور جويده غانم

المعالم الاجتماعية في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ٧٥
سميرة علي محمد البهادلي

المعالم الاقتصادية والعمرانية في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ٩٩
الدكتور سعيد العذاري

التمهيد للظهور، رسالة المنتظرين ١٣٢
ابراهيم انصاري

الممهدون بين الانتظار والتمهيد ١٦٠
هدى محمد مهدي الصالح

الإعلام والتمهيد ١٧٧
بتول مرزوق رجاء الشريمي

غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وظهوره بين الغيب المطلق والشروط الموضوعية

محمد الشوكي

مقدمة

الحمد لله الذي شد الناس بحبليه، وعصمهم من الضلال بثقليه، والصلاة والسلام على خيرة أنبياءه ومرسليه، المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار، لا سيما نور الله الذي لا يخبو، وسيفه الذي لا ينبو، الإمام الحجة القائم المهدي عجل الله فرجه الشريف.

مما يلفت الإنتباه في السنوات الأخيرة الماضية ازدياد الإهتمام بقضية الإمام المهدي عليه السلام على المستوى الشعبي والنخبوي، فنجد اهتماماً شعبياً كبيراً بمسألة الإمام المهدي عليه السلام يوازيه اهتمام ملحوظ من قبل المؤسسات العلمية والإعلامية.

وهذا الإهتمام ليس ناشئاً من فراغ وإنما له مناشئ متعددة، من أهمها الأوضاع العالمية الحرجة والمتعثرة على أكثر من مستوى، والأزمات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والنفسية المتعددة التي تعصف بعالمنا المعاصر، والتي لم يصل العالم حتى الآن إلى حلول ناجعة لها، وليس في الأفق من أمل تنشدّ إليه قلوب الناس، مما أغرق الكثير من النفوس

ببحر من اليأس والإحباط، وجعلها تتجه إلى الحل الإلهي الذي أقصته من مفكرتها لعقود طويلة. هذا بالإضافة إلى المتغيرات الكثيرة التي طرأت على الساحة العالمية.

ولعل من أبرز تلك المتغيرات الدولية سقوط النظرية الشيوعية بسقوط الإتحاد السوفيتي من جهة، والهزات العنيفة التي تعرضت لها الرأسمالية الغربية خصوصاً في جانبها الإقتصادي الذي يمثل أحد أعمدتها المهمة من جهة ثانية، مما زعزع قناعات الكثير من الناس بالنظريات الأرضية وقدرتها على إسعاد الإنسان، وجعلها تتطلع إلى حلول أخرى أهمها هو الحل الديني.

وبما أن الإسلام يعتبر من أهم المنافسين في الساحة العالمية، ولدية رؤية خاصة بالمستقبل، وبما أن قضية الإمام المهدي عليه السلام تعتبر قضية مفصلية في رؤية الإسلام للمستقبل، فسوف يكون الإهتمام بها أمراً منطقياً يتسق مع طبيعة الأمور.

هذا بالإضافة إلى التحولات السياسية الإقليمية التي حدثت في المرحلة الأخيرة، ويمكن أن نلحظ منها بروز المذهب الشيعي قوياً في الساحة الإقليمية لعوامل عديدة لا مجال للخوض فيها، وزوال عصور الكبت والقمع الذي تعرض له أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في مناطق عديدة من العالم الإسلامي، مما أتاح لهم ـ في ظل المتنفس الذي اكتسبوه، وفي ظل التطور الهائل في وسائل الإتصال ـ فرصة كبيرة ليفصحوا عن عقائدهم وسائر شؤونهم ومتبنياتهم الفكرية والثقافية، والتي يحتل فيها الإمام المهدي عجل الله فرجه مركزية خاصة.

ولكن ورغم هذا الإهتمام المتزايد بالمسألة المهدوية والذي يعتبر مؤشراً إيجابياً مهماً في مقاسات عديدة، إلا إنني أستطيع القول أن ما بذل من جهود في المستوى المعرفي والثقافي والتربوي والتعبوي الذي يرتبط بهذا الجانب تعتبر جهوداً متواضعة جداً، ولا زال الكثير من النقاط المهمة في القضية المهدوية مبهمة وغامضة ولم تدرس بشكل جيد. ولو أردت أن أسرد تلك النقاط ومواضع الغموض فيها، وعدم تغطيتها عبر دراسات علمية جادة لطال بنا الأمر.

ومن بين تلك النقاط المركزية في القضية المهدوية مسألة الدور البشري والظرف الموضوعي في قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه. فهل قضية الإمام المهدي عليه السلام قضية غيبية مطلقة لا دخل للبشر فيها، أو أنها خاضعة للظروف الواقعية والشروط الموضوعية؟.

ولا يخفى أن كلاً من الفرضين تترتب عليه آثار مهمة وخطيرة، وتبدو الإجابة عليهما مركزية في القضية المهدوية.

أهمية موضوع البحث

إن الموضوع الذي نريد أن نعالجه خطير وحساس جداً، والنتائج التي يتمخض عنها تترك آثاراً كبيرة على كيفية التعامل مع قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه.

فلو كانت النتيجة التي نتوصل إليها هي غيبية القضية المهدوية المطلقة، وأن الإمام المهدي عجل الله فرجه في غيبته وظهوره وإقامة دولته العادلة غيب من غيب الله لا دور للناس ولا للظروف الموضوعية فيه، فإن ذلك سوف يعفينا من أي مسؤولية تجاهه، ويدعونا إلى الركون والسكون وعدم السعي للتمهيد له، لأن فعلنا وعدمه سيكون سواء، حيث لا دخل لنا في أي شيء من شؤون قضيته. ولا نستطيع أن نعجل أو نؤجل ظهوره. وسيحوّل هذا الفهم مسألة الإنتظار إلى حالة سلبية غير فاعلة في الأمة، تماماً كمن ينتظر شخصاً غاب عنه ولا يعلم بخبره، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً للعثور عليه وإعادته إلى وطنه، فإنه سوف يتركه وينشغل بإموره، وإذا ما ذكره فإنما يذكره في خواطره.

أما لو توصلنا إلى النتيجة الثانية، وآمنا بأن قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه مرتبطة بالظروف الخارجية، وأن للناس دوراً في غيبته وظهوره وتحقيق مشروعه، وأن بإمكاننا أن نعجل من ظهوره، وأن نهيئ الظروف الموضوعية له، فإن ذلك سوف يرتب على عواتقنا مسؤوليات كثيرة، ويدعونا للعمل من أجل تقريب ظهوره، والتمهيد لثورته التغييرية الكبرى، ويجعل انتظارنا له انتظاراً إيجابياً فاعلاً، مليئاً بالحركة والعنفوان، ومبتعداً عن الركون والسكون والسلبية.

فإذاً نرى أن النتائج تختلف اختلافاً جذرياً حاداً باختلاف قناعاتنا بكلا النظريتين، وأن كلا الفرضيتين تنتج سلوكاً مغايراً للأخرى. وذلك طبيعي، لأن السلوك البشري العام يتلون بلون القناعات الفكرية للأفراد والمجتمعات. ومن هنا تجد أن فكرة واحدة قد تكون باعثة على الحركة والفاعلية، وقد تكون باعثة على السكون والخمول، تبعاً للزاوية التي ينظر منها إليها، وطبقاً لطبيعة فهمها ودركها.

وهذا قانون عام غير مختص بقضية الإمام المهدي عجل الله فرجه، فالدين مثلاً تارة ينظر إليه بعض الأشخاص أنه شأن عبادي طقوسي فردي لا علاقة له بالأمور العامة، فحينئذ لا يسعى لتحكيمه في واقع الناس بكل تفاصيله وجزئياته، ولا يتفاعل مع الدعوة إلى إقامة نظام يقوم على أساس الدين.

وتارة أخرى ينظر إليه شخص آخر على أنه شامل لأمور المعاش والمعاد، وأنه دستور حياة يصوغ الحياة البشرية ويقنّنها ويضع لها أحكامها، فحينئذ يسعى إلى تحكيمه في أرض الواقع، ويتفاعل مع كل دعوة تهدف إلى إقامة مشروع ديني يحكم حياة الناس. فإذاً رؤية الإنسان لها دور كبير في اتجاه حركته في الحياة بصورة عامة، وكذلك فيما يرتبط بقضية الإمام المهدي عجل الله فرجه.

من هنا فإننا سوف نعالج كلا النظريتين، لنرى أيهما قابلة للإثبات طبقاً للنصوص الشريفة.

الإفتراض الأول: غيبية القضية المهدوية

ربما نلحظ في كلمات الكثيرين أن قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه قضية غيبية سواء في جانب الغيبة أو في جانب الظهور. فإذا كان كذلك فإن معطيات هذه القناعة سوف تنعكس على واقع الفكر والسلوك. فعلى المستوى الفكري لا يلزمنا أن نبحث عن غيبته وأسبابها وفلسفتها، ولا عن ظهوره وشرائطه وظروفه. وعلى المستوى العملي سوف لن نكون مكلفين بإيجاد أي من ظروف الظهور أو شرائطه.

وربما يستند هذا الفهم إلى بعض النصوص الدينية التي تعرضت لغيبية القضية المهدوية، كالنصوص التي طبّقت عنوان الإيمان بالغيب على الإمام المهدي عجل الله فرجه، كقول الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ قال: «المتقون شيعة علي عليه السلام، والغيب هو الحجة الغائب».[1]

وعنه أيضاً في خبر آخر في تفسير الغيب في الآية الكريمة قال: «من أقر بقيام القائم

١. كمال الدين، الشيخ الصدوق: ١٧.

عليه السلام أنه حق».[1] وغيرها من الأخبار التي فسرت الآية به عليه السلام أو جعلته من جملة مصاديقها.

وكذلك في مثل قول الصادق عليه السلام لعبد الله بن الفضل الهاشمي: «إن هذا الأمر من أمر الله تعالى، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف».[2] أو كقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام لأحمد بن إسحاق: «يا أحمد بن إسحاق: هذا أمر من أمر الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين».[3]

فربما يستند البعض إلى هذه النصوص ليجعل القضية المهدوية في دائرة الغيب المطلق ويفصلها عن الواقع وشروطه الموضوعية.

ولكن ذلك غير تام، لأن غاية ما يستفاد من هذه النصوص الشريفة أن لقضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بُعداً أو أبعاداً غيبية، كالإقرار بالقائم وهو غائب عنا فإنه إيمان بالغيب كما يستفاد من الرواية الثانية، أو أن الحجة ذاته من الغيب لأنه غائب عن الحواس كما يستفاد من الرواية الأولى، أو أن العلة الحقيقية لغيبته من الغيب، لأنها لا تظهر بشكلها الكامل إلا بعد ظهوره كما يستفاد من الرواية الثالثة وسياقها. ونحن لا ننكر أن قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تتضمن أبعاداً غيبية كثيرة.

ثم أنه ليس كل قضية غيبية لابد أن تكون منفصلة عن الواقع وعن شروطه الموضوعية، ولا تنافي بين الإثنين، فكثير من الأمور الغيبية مناطة بالشرائط الخارجية، كقضية الرزق والبلاء والأجل و ما شاكلها من أمور أخرى. فإن الأجل مثلاً مسألة غيبية، ولكن الروايات الشريفة أناطتها بالشرط الخارجي، فنرى مثلاً أن صلة الرحم تطيل العمر وتنسئ الأجل، بينما قطيعتها تقصر العمر. وهكذا الرزق المستقبلي يعتبر غيباً من الغيب، ولكن هناك شروط خارجية لزيادة الرزق ونقصانه، وهكذا.

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر: ٤٨٢.

٣. نفس المصدر: ٣٨٥.

الإفتراض الثاني: ارتباطها الشرائط الموضوعية

وهو افتراض أن قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه على رغم أبعادها الغيبية الكثيرة إلا أنها غيرمنفصلة عن الواقع الخارجي وشروطه الموضوعية. وهذا ما يظهر من كلمات بعض العلماء كالشهيد الصدر رحمه الله وغيره. يقول قدس الله نفسه الزكية في الجواب على سؤال: لماذا لم يظهر الإمام المهدي عجل الله فرجه طيلة هذه المدة ما نصه: «والجواب: أن كل عملية تغيير اجتماعي يرتبط نجاحها بشروط وظروف موضوعية لا يتأتى لها أن تحقق هدفها إلا عندما تتوفر تلك الشروط والظروف.

وتتميز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجرها السماء على الأرض بأنها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية، لأن الرسالة التي تعتمدها عملية التغيير هنا ربانية، ومن صنع السماء لا من صنع الظروف الموضوعية، ولكنها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية ويرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف. ومن أجل ذلك انتظرت السماء مرور خمسة قرون من الجاهلية حتى أنزلت آخر رسالاتها على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الارتباط بالظروف الموضوعية للتنفيذ كان يفرض تأخرها على الرغم من حاجة العالم إليها منذ فترة طويلة قبل ذلك.

والظروف الموضوعية التي لها أثر في الجانب التنفيذي من عملية التغيير، منها ما يشكل المناخ المناسب والجو العام للتغيير المستهدف، ومنها ما يشكل بعض التفاصيل التي تتطلبها حركة التغيير من خلال منعطفاتها التفصيلية.

وقد جرت سنة الله تعالى التي لا تجد لها تحويلاً في عمليات التغيير الرباني على التقيد من الناحية التنفيذية بالظروف الموضوعية التي تحقق المناخ المناسب والجو العام لإنجاح عملية التغيير، ومن هنا لم يأت الإسلام إلا بعد فترة من الرسل وفراغ مرير استمر قروناً من الزمن».[1]

الرأي المختار

إننا نميل إلى الإفتراض الثاني، ونعتقد أن قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه على رغم أبعادها الغيبية

١. بحث حول المهدي عجل الله فرجه، الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله: ١١٥.

الكثيرة غيرمنفصلة عن الواقع البشري ولا نائية عن الظروف الموضوعية، فإنها كأي مشروع تغييري في المجتمع يرتبط بمجموعة من العوامل الفكرية والإجتماعية والسياسية والبشرية. فهي ليست قضية ماورائية (ميتافيزيقية) بحتة، وإنما هي مرحلة تطورية في مسار التاريخ الإنساني لها مداليل ومنجزات ثقافية وسياسية وإقتصادية وإجتماعية وأخلاقية متنوعة، وتمثل تحولاً إنسانياً ودينياً واجتماعياً عظيماً في التاريخ البشري. وكذلك هي خاضعة للسنن الإجتماعية الإلهية ومتأثرة بها، وهذا ما سنشير إليه في النقطة التالية.

قضية الإمام المهدي عليه السلام رؤية سننية

مما لا ريب فيه أن لله تعالى سنن وقوانين تاريخية إجتماعية سيّر عليها البشرية منذ يومها الأول وإلى آخر لحظة في حياتها. فقد شاءت حكمة الله تبارك وتعالى أن يكون هذا العالم عالم الأسباب والمسببات، وأن تجري الأمور فيه (في بعدها الطبيعي والبشري) وفق سنن وقوانين وضعها بحكمته جل وعلا.

فكما أننا نرى الطبيعة محكومة لقوانين فيزيائية وكيميائية صارمة، وهذه القوانين لا تتبدل ولا تتحول، فالحديد يتمدد بالحرارة، والماء يغلي عند درجة مئة، في كل زمان ومكان منذ آدم وليومنا هذا، فكذلك المجتمع الإنساني محكوم لسنن إجتماعية تاريخية لا تتبدل ولا تتحول. يقول تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢).

ويقول أيضاً: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

وهذه السنن الإلهية لا تلغي إرادة الإنسان واختياره كما حقق في محله من علم الكلام، وإنما هي متسقة مع الفعل والإرادة الإنسانية. ولنضرب لذلك مثالاً من السنن التكوينة، فالقانون التكويني يقول إن من شرب السم مات، وأن من رمى بنفسه من قمة جبل سقط على الأرض وتحطم، ولكنَّ هذا القانون لا يلغي إرادة الإنسان، فبإمكان الإنسان أن يشرب السم أو لا يشربه، ولكنه إذا شربه جرى عليه القانون ومات، وبإمكانه من البداية أن لا يلقي نفسه من شاهق، ولكنه إذا فعلها فسوف يتوزع أشلاء، كما أن بإمكانه أن يغير مصيره

حتى مع سقوطه من خلال استخدام سنة أخرى كأن يفتح مظلة مثلاً. هذا في الجانب التكويني.

كذلك الحال في البعد التشريعي، فالدين مثلاً لا يُفرض على الناس قسراً، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٥٦).

ويقول كذلك: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

ويقول أيضاً: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف: ٢٩).

ويقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢١ـ٢٢).

فالمجتمات البشرية غير مقسورة ولا مجبورة على الدين، ولكنها إن آمنت بدين الله واتبعت هداه سعدت في الدارين، وإن تولت عنه شقيت في الدارين كذلك. قال تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ❖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٩). وقال: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣).

وعملية التغيير في المجتمع الإنساني بأبعادها المتنوعة غير خارجة عن هذه السنن الإلهية الكريمة، وغير خارجة عن دائرة الفعل الإنساني كذلك. ولهذا يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ .(الرعد: ١١). فسنة التغيير الإلهية مرتبطة بالتغيير الإنساني ذاته.

وقضية الإمام المهدي عجل الله فرجه باعتبارها أكبر دعوة تغييرية في التاريخ خاضعة لهذه السنن المرتبطة بالفعل الخارجي والشروط الموضوعية. وسوف نبحث الآن بشكل موجز غيبة الإمام المهدي عليه والسلام وظهوره طبقاً للنصوص الواردة لنرى هل تنسجم مع ما اخترناه أم لا؟

أسباب الغيبة في النصوص الدينية

عندما نلاحظ النصوص التي تحدثت عن أسباب غيبة الإمام المنتظر عجل الله فرجه سوف تتضح لنا

هذه الرؤية أكثر فأكثر. وسوف نستعرض هذه النصوص ثم نحاول استخلاص النتائج منها. وسوف ننقل النصوص الواردة في كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه الله، وهي ورادة في مصادر أخرى أيضاً:

١. روى الصدوق بإسناده عن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لابد للغلام من غيبة.

فقيل له: ولم يا رسول الله؟

قال: يخاف القتل.[١]

٢. وبإسناده عن زرارة رحمه الله قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: إن للقائم غيبة قبل ظهوره.

قلت: ولم؟

قال: يخاف وأومئ بيده إلى بطنه.

قال زراره: يعني القتل.

٣. وبإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه.

قلت له: ولم ذلك يا بن رسول الله؟

قال: لأن إمامهم يغيب عنهم.

فقلت: ولم؟

قال: لئلا يكون في عنقه لأحد حجة إذا قام بالسيف.

وروى في كمال الدين بسند آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: للقائم منا غيبة أمدها طويل. كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته. يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة. ثم قال: إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه.[٢]

٤. وبسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن للقائم منا غيبة يطول أمدها.

---

١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ٢٤٣/١.

٢. كمال الدين، الشيخ الصدوق: ٣٠٣.

فقلت له: ولم ذاك يا بن رسول الله؟

قال: أبى الله إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم.[1]

٥. وبإسناده عن علي بن جعفر رضي الله عنه، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: إذا فقد الخامس من ولد السابع، فالله الله في أديانكم، لا يزيلكم أحد عنها. يا بني إنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله عزوجل امتحن بها خلقه.[2]

٦. وأيضاً روى بسنده عنه عليه السلام قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها، يرتاب فيها كل مبطل.

فقلت له: ولم جعلت فداك؟

قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم.

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره. إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره.

وهذه الروايات الشريفة تبين بوضوح أن غيبته ناتجة عن ظروف موضوعية وأسباب خارجية. فالرواية الأولى والثانية تذكر أن سبب غيبته أنه يخاف من القتل. والخوف من القتل هنا ليس مبرراً بحد ذاته، والإمام لا يخاف على نفسه من أجل نفسه، وإن كان الخوف على النفس مشروعاً، ولكن القتل إذا كان في سبيل الله تعالى وفي سبيل إحقاق الحق وإقامة العدل فلا يخاف منه أهل البيت عليهم السلام، فالقتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة، وما منهم إلا مسموم أو مقتول. ولكن الخوف هنا من أجل الرسالة، فالمهدي عجل الله فرجه الشريف هو خاتم الحجج، وهو المؤمل لإنجاز المشروع الإلهي الكبير، فلو قام وقتل فمن سينجز ذلك المشروع.

وهو بهذا يفترق عن ثورة الحسين عليه السلام، فالحسين عليه السلام قام من أجل إزالة المشروع الأموي الظالم، وهذا يتحقق بانتصاره وباستشهاده معاً، وفعلاً فإن دماء الحسين عليه السلام أزالت ملك بني

١. م.س.

٢. ن.م.

أمية من الوجود. ولكن الإمام المهدي عجل الله فرجه لم يدخر لإزالة سلطان بني العباس فقط، حتى يقال أن دماءه سوف تزلزل عروش بني العباس، وإنما هو مدخر لإزالة دول الباطل وإقامة دولة الحق ورعايتها حتى تستمكن في الأرض. ومن غير المعلوم أن قتله يومذاك ـ على فرضه ـ سوف يطيح حتى بدولة بني العباس، لأن مكانته (يومذاك) ليست كمكانة الحسين عليه السلام في الأمة الإسلامية حين قيامه.

وبالتالي فإنه إنما غاب لأنه لم يجد القاعدة المتينة التي يمكن أن يحقق من خلالها الإنتصار ويبني دولة الحق، ولو قام لقتل ولانتهى كل شيء. وهذا هو معنى خوفه الذي أدى إلى غيابه.

وأما الرواية الثالثة فهي تذكر أنه إنما غاب لكي لا يكون لأحد في عنقه بيعة، وهو يرجع إلى ما ذكرناه سالفاً، أي أنه لو بقي ظاهراً فإنه إما أن يقوم فيقتل دون أن ينجز ما أنيط به، أو يهادن الظالمين كما فعل آباؤه من قبل، وذلك لأنه لم يكن يجد القاعدة الرصينة التي يمكن من خلالها أن لا يبايع وأن يناهض الظالمين وينتصر عليهم، وبالتالي فسوف لن يتحقق الهدف الكبير من وجوده.

والرواية الرابعة تبين أن سبب غيبته هو أن تجري فيه سنن الأنبياء الذين غابوا من قبل، ونحن نعلم أن غيبة الأنبياء عليهم السلام من قبل لم تكن لغزاً غيبياً، وإنما كانت لأسباب موضوعية خارجية. فموسى عليه السلام مثلاً إنما غاب لأنه كان مطلوباً من قبل الظالمين ولم يكن لديه من أسباب القوة ما يستطيع من خلالها مواجهة البطش الفرعوني الغاشم، فلو بقي ولم يغب لقبض عليه وشنق وانتهى أمل بني إسرائيل بالنجاة من الظلم والإستبداد الفرعوني.

وأما الرواية الخامسة فتبين أن الهدف من الغيبة هو امتحان الخلق، وفي رواية أخرى يرويها الشيخ نفسه في كمال الدين ورد فيها: (امتحان الشيعة).[1] ونحن نعرف أن الإمتحان أمر خارجي موضوعي له أهداف محددة، وهناك أهداف كثيرة في امتحان الناس في زمن الغيبة من أهمها خلق القاعدة الشعبية الواعية البصيرة المؤمنة الصلبة، فإن هكذا قاعدة استثنائية لايمكن أن توجد إلا بعد أن تمر بدوامة عنيفة من الإبتلاءات والإختبارات، وتخرج منها ناجحة فائزة.

١. كمال الدين، الشيخ الصدوق: ٣٤٢.

ولذا ورد في بعض روايات التمحيص أن الغرض من هذا التمحيص هو إنتاج عصابة لا تضرها الفتنة. روى النعماني في الغيبة بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنما مثل شيعتنا مثل أندر ـ يعني بيدراً فيه طعام ـ فأصابه آكل فنقي، ثم أصابه آكل فنقي، حتى بقي منه ما لا يضره الآكل. وكذلك شيعتنا يميزون ويمحصون حتى تبقى منهم عصابة لا تضرها الفتنة.[1]

وأما الرواية السادسة التي تذكر أن وجه الحكمة لا ينكشف إلا بعد ظهوره وأنهم لم يؤذن لهم بكشفها يومذاك، فلا تنفي ارتباط غيبة الإمام عليه السلام بالشروط الخارجية، وإنما غاية ما تدل عليه أن الوجه الحقيقي لغيبته سوف يتجلى بشكل واضح بعد ظهوره.

وأما أنهم لم يكشفوه في ذلك الزمان، فلربما أن وعي الناس يومئذ قاصر عن استيعابه، ولعله من أجل أن يتطور وعي الناس وفكرهم وثقافتهم فيستوعبون قيم المشروع المهدوي، ويكونون أكثر استعداداً لتطبيقه عن قناعة وبصيرة. ولا يخفى أن وعي الناس وبصيرتهم اليوم تطورت بدرجات كبيرة جداً. أو من أجل أن يعطي الله تعالى الفرصة لجميع المذاهب والتيارات لكي تجرب حظها في تحقيق النظام الأكمل للبشرية، حتى لا يقول قائل بعد أن يظهر عليه السلام ويطبق النموذج الفريد لدولته المباركة لو أتيحت الفرصة لي ولأفكاري ولمذهبي لصنعت دولة ونظاماً مثل نظام المهدي وأفضل. فالله تعالى أراد أن يعطي الفرصة كاملة لجميع المذاهب والتيارات لكي تجرب حظها وتدلي بدلوها، حتى إذا فشلت جميعاً في تحقيق الكمال والعدل والسعادة والسلام للعالم أدركت عجزها وعدم قدرتها على تحقيق السعادة للناس بعيداً عن الله تعالى وعن دينه وعن وليه، فتدير وجهها صوب ولي الله الأعظم، وتقبل على دعوته بقناعة تامة.

وهذا ليس مجرد تحليل تبرعي، وإنما يمكن أن يستفاد من الروايات الشريفة، كقول الباقر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزَّ وجلَّ والعاقبة للمتقين».[2]

أو قول الصادق عليه السلام: «ما يكون هذا الأمر ـ يعني دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ حتى لا يبقى

---

١. كتاب الغيبة، الشيخ النعماني: ٢١٨.

٢. الغيبة، الشيخ الطوسي: ٤٧٣.

صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس ـ يعني حكموهم ـ حتى لا يقول قائل: إنا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل».[1]

فإذاً تم إلى هنا أن غيبة الإمام عليه السلام ليست لغزاً غيبياً منقطعاً عن الواقع الخارجي، وإنما هي مرتبطة بالواقع الخارجي وشروطه الموضوعية.

الظهور المبارك والشرائط الموضوعية

إذا تم لدينا أن الغيبة وقعت لأسباب موضوعية، وحصلت لبعض العوائق الخارجية وعدم وجود الظروف المناسبة، فتلقائياً سوف يتم لدينا أن الظهور أيضاً منوط بالواقع الخارجي، لأنه ما دام أن تلك الموانع والعوائق باقية، وما دامت الظروف غيرمناسبة، فسوف تمتد الغيبة، ولكن إذا ارتفعت تلك الموانع، وتحققت الأرضية المناسبة للظهور فسوف يتم الظهور المبارك لصاحب العصر.

ولنأخذ مثلاً من صدر الإسلام. فأمير المؤمنين عليه السلام حسب ما نعتقد إمام منصوب من قبل الله تعالى ومعدّ لتطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق العدل في المجتمع والسير به نحو الكمال، ولكن بما أن الظروف تغيرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث اغتصب منه المنصب، ولم يجد ناصراً وقاعدة صلبة يمكن أن تعينه على النهوض بالأمر، وعلى حد تعبيره هو في الخطبة الشقشقية أن يده كانت (جذاء) كناية عن قلة الناصر، نراه صبر وظل جليس بيته قرابة خمس وعشرين سنة، وغاب أيضاً كما غاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، لكن غيبته لم تكن غيبة شخص وخفاء عن عيون الناس كما هو حال الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولكن كانت غيبة الدور الذي ينبغي أن يقوم به. وإن كان التعبير الدقيق هو أنه غيّب وليس غاب برغبة منه.

ولكنه بعد طول فترة غياب عن الساحة الإسلامية[2] لما أقبل عليه الناس وبايعه المسلمون

---

١. الغيبة، النعماني: ٢٧٤.

٢. طبعاً لا يفهم أن الإمام عليه السلام كان منزوياً وسلبياً تجاه الحياة العامة في تلك الفترة، وإنما كان يمارس دوره بما يستطيع وما تسمح به الظروف، ومقصودنا أنه ليس هو الدور الحقيقي الذي ينبغي أن يقوم به في قيادة التجربة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله، والذي حرم منه نتيجة للمتغيرات والملابسات التاريخية المعروفة.

بشروطه ووافقوا باستفتاء شعبي عام على مشروعه التغييري. نهض بالأمر وقاد المسيرة. ولهذا يقول في آخر الخطبة الشقشقية: (فلولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها).

كذلك الأمر في قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه، فإذا كان قد غاب للموانع التي تمنعه من القيام بدوره، ولعدم توفر الأرضية الكافية للقيام بذلك الدور، فإنه سيظهر عندما ترتفع تلك الموانع وتتحق تلك الأرضية اللازمة.

فإذا ما توفرت له قاعدة شعبية عريضة، قاعدة مؤمنة وواعية وصلبة ومضحية، قاعدة تكون بحجم المشروع الكبير المكلف به وهو تغيير العالم. وإذا ما تطور وعي الناس وثقافتهم واستعدادهم لتطبيق العدل الشامل، وإذا ما يأس الناس من الأنظمة الأرضية الفاسدة وتطلعوا إلى الأطروحة الإلهية، وغير ذلك من الأمور الأخرى فإنه سيظهر عليه السلام.

ويمكن استفادة ذلك من النصوص الشريفة إذا ما دققنا فيها جيداً. فروايات التمحيص والإمتحان قبل ظهور القائم عجل الله فرجه، والتي ذكرت أن القائم لا يقوم حتى يمر بها الناس، عللت بإيجاد قاعدة صلبة وواعية لا تضرها الفتنة كما قرأنا في رواية النعماني عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «وكذلك شيعتنا يميزون ويمحصون حتى تبقى منهم عصابة لا تضرها الفتنة».[1]

أو قوله لجابر عندما سأله متى فرجكم: «هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا، ثم تغربلوا، ثم تغربلوا، يقولها ثلاثاً، حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصفو».[2]

وكذلك ما رواه النعماني عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾. قال: «هو أمرنا أمر الله عز وجل، ألا تستعجل به حتى يؤيده الله بثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنين، والرعب».[3]

فهنا نهى عن الإستعجال بظهوره حتى تكتمل عنده عدة النصر، فلا يظهر إلا بعد أن يؤيد بالثلاثة: الملائكة والمؤمنين والرعب. أما الملائكة فيظهر من الأخبار أنهم

١. كتاب الغيبة، الشيخ النعماني: ٢١٨.
٢. الغيبة، الشيخ الطوسي: ٣٣٩.
٣. كتاب الغيبة، الشيخ النعماني: ٢٥١.

حاضرون ومستعدون لنصرة الإمام عليه السلام في كل لحظة، وأما المؤمنون (الأنصار المؤمنون الكاملون) فالله يعلم متى يتوفرون، وأما الرعب فإن حملناه على المعنى الإعجازي فهو يمكن أن يحصل في أي لحظه بإذن الله تعالى، وإن حملناه على المعنى الطبيعي، أي الرعب الناتج من إمكانيات الإمام العسكرية سواء في العدة أو العدد، فالكلام فيه كالكلام في الأنصار.

وأيضاً ما رواه النعماني رحمه الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الذي تطلبون وترجون إنما يخرج من مكة، وما يخرج من مكة حتى يرى الذي يحب، ولو صار أن يأكل الأغصان أغصان الشجر».[1]

أي أنه سيبقى غائباً وإن تحمل المشاق الكثيرة حتى يرى ما يحب. وقوله يرى ما يحب الظاهر ما يحب من وجود القاعدة الواعية المضحية، ومن الظروف الموضوعية الملائمة على تنوعها.

وروى نعيم بن حماد في كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنا أهل بيت اختار لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاء وتطريداً وتشريداً، حتى يأتي قوم من هاهنا، من نحو المشرق، أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، مرتين أو ثلاثاً، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونها حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها عدلاً كما ملأوها ظلماً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج، فإنه المهدي».[2]

فإن الرواية تدل على أن بلاء أهل البيت عليهم السلام وتطريدهم وتشريدهم سوف يستمر إلى أن تظهر الرايات الخراسانية فينتهي هذا التطريد والتشريد. ولا يخفى أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو خاتم أهل البيت عليهم السلام وقد لقي تشريداً وتطريداً، بل ورد في الأخبار وصفه بالشريد الطريد، وتشريده سوف يستمر حتى ظهور الرايات الخراسانية الموطئة له، فإذا ظهرت ظهر وانتهى تشريده.

---

١. كتاب الغيبة، الشيخ النعماني: ١٨٥.

٢. كتاب الفتن، ابن حماد: ١٨٨.

وكذلك ما رواه النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يخرج القائم عجل الله فرجه حتى يكون تكملة الحلقة.

قلت: وكم الحلقة؟

قال: عشرة الآف».[1]

وكذلك ما رواه القمي بسنده عن عبد العظيم الحسني رضي الله عنه عن الإمام الجواد عليه السلام قال: «يجتمع إليه من أصحابه عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجل (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير)، فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر أمره، فإذا أكمل له العقد وهي عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله».[2]

وهذه الرواية باستخدامها لأداة الشرط (إذا) واضحة في أن ظهوره مشروط باجتماع العدة له من أهل الإخلاص.

وهذه العدة (ثلاثمائة وثلاثة عشر) ليسوا هم كل أنصار الإمام عليه السلام وقاعدته الشعبية، وإنما هم أركان جبهته المباركة الذين عليهم المعول والإعتماد، وعبرت عنهم الروايات الشريفة بأنهم أصحاب الألوية وحكام الله في الأرض. والعشرة آلاف هم العدد الأولي الذي سيخرج به، وسوف يلتحق به أنصاره بعد خروجه من كل مكان.

وذكر شرط الإخلاص في أتباعه عليه السلام مهم جداً، إذ المدار ليس على الحجم الكمي، وإنما على الوصف الكيفي، فلابد أن يقيض له أتباع مخلصون أوفياء لا يخذلونه ولا يتخلون عنه في ساعات الشدة تكون قلوبهم كزبر الحديد كما ورد في الروايات الشريفة التي تعرضت لصفة جيشه.

فإذاً توفر القاعدة الشعبية المؤمنة والمخلصة، والأتباع الأوفياء المطيعين المضحين شرط في ظهوره عليه السلام، فإذا توفرت تلك العدة المباركة قام حينذاك بالأمر، لأنه سوف تنتفي أسباب الغيبة وموانع الظهور، فهو سوف لن يخاف القتل على نفسه فيفشل مشروعه الكبير، لأن

---

١. م.س: ٣٢٠.

٢. كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٢٨٢.

لديه جيش مقتدر وقاعدة موالية ومطيعة ومضحية ومخلصة لن تسلمه للقتل، وسوف ينتصر من خلالها على أعداءه بعون الله تعالى ومدده، ولن يضطر لمهادنة الظالمين ومبايعتهم كما فعل آباؤه، لأنه سوف يكون ذا منعة ولديه القدرة على مواجهة الظالمين، فلا تكون في عنقة بيعة لظالم.

فإذاً أسباب الغيبة وموانع الظهور سوف تختفي. فإذا ما تحقق الشرط وانتفى المانع ظهر بمشيئة الله تبارك وتعالى وإذنه.

طبعاً توفر القاعدة المثالية ليس هو الشرط الوحيد، وإنما هناك شروط أخرى، ونحن لسنا هنا في صدد بيان مجموعة شروط الظهور، وإنما بيان أن ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف كما هي غيبته ليست أمراً غيبيا مطلقاً، وإنما هو في عين غيبيته يبقى مرتبطاً بالظرف الخارجي وبالشروط الموضوعية.

فلابد أن تدرس شرائط الظهور وظروفه الموضوعية دراسة جيدة طبقاً للنصوص الوادرة لدينا وطبقاً للقواعد العقلية والدينية العامة. فكما استفدنا في باب الشروط أن توفر القاعدة الكاملة شرط في ظهوره، كذلك يمكن أن نستفيد من النصوص في باب الظروف الموضوعية أن من جملة مواصفات الأرضية للازمة للظهور أن تفشل كل الأنظمة السابقة على الظهور في تحقيق طموح العالم بالعدل والسلام، وتيأس البشرية من التيارات الأرضية البعيدة عن الله تعالى، وتتوجه إلى الأمل الإلهي بكل قناعة واشتياق.ولعل هذا هو ما تهدف إليه الروايات التي تحدثت عن أنه عند ظهوره يصل اليأس البشري إلى أقصى درجاته. جاء في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، والتي يتحدث فيها عن الأوضاع العالمية المزرية التي يعيشها الناس قبل الظهور: «فخروجه إذا خرج عند اليأس والقنوط من أن يروا فرجا»[1]. وفي نص آخر: «وخروجه إذا خرج عن اليأس والقنوط».[2]

فالعالم قبل ظهوره تصل به الأوضاع المقيتة إلى حد الإختناق، ولا يرى أي فرج أو مخرج للخلاص من تلك الأوضاع بعد أن يكون قد جرب كل الحلول الأرضية والمذاهب المادية،

---

١. الغيبة، الشيخ النعماني: ٢٦٣.

٢. نفس المصدر.

فيتطلع إلى الأمل الإلهي ويقبل عليه بكل حرارة.[1]

وسوف يزداد هذا التطلع والإهتمام بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بعد اقتراب مؤشرات الظهور وحدوث بعض العلامات المؤذنة به. جاء عن الإمام علي عليه السلام: «إذا نادى مناد من السماء "إن الحق في آل محمد" فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، فلا يكون لهم ذكر غيره».[2]

١. مما يجدر الإشارة إليه أننا في عصرنا هذا شهدنا أكبر نظريتين أرضيتين لحكم العالم، وقد جائتا بعد تطور العلم وعلى أثر جهود فكرية حثيثة لعلماء وفلاسفة ومفكرين ماديين كبار، ولكننا نرى الآن فشل كلا الأطروحتين، أما الشيوعية فقد سقطت وانتهت بالفشل الذريع، وأما الرأسمالية فهي تواجه الآن أزمات حادة من أبرزها الأزمة الإقتصادية الحاضرة. ويعتقد الكثير من المفكرين في الغرب والشرق أن أمريكا - قائدة النظرية الرأسمالية - تعيش نفس الظروف التي مرت بها الإمبراطوريات السابقة قبل أفولها، ويتنبئون بقرب سقوطها، وربما في سنوات معدودة.

٢. الملاحم والفتن، السيد ابن طاووس: ١٢٩. والفتن، نعيم بن حماد: ٣٣٤/١. وكنز العمال، المتقي الهندي: ٥٨٨/١٤.

خصائص ودلائل دولة التمهيد للقائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وولاية الفقيه

الدكتورعلي أبوالخير

مقدمة: التمهيد .. البحث عن العدل ومنتظري القائم

عندما نقول: إن ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حتمي وحقيقي، فلابد من القول: إنه لابد من وجود منتظريه، ومنتظروه فرادى وجماعات، قادة لشعوب، ومفكرون يحثون المسلمين لانتظار القائم انتظارا ثوريا، لكي يتم التمهيد للظهور المبارك، ذلك هو الأصل في الانتظار الذي بشر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأيضا الأئمة من ولده عليهم السلام، وهذا الانتظار يكون أشخاصا وجماعات، والجماعات هنا تكون في دولة تمهيد لظهور، دولة تقوم بعد ثورة ربانية لم يشهد لها التاريخ مثالا، دولة تنتمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، دولة أيضا تنحاز للضعفاء والمستضعفين في العالم، وتأخذ بأسباب العلم والتقدم، وبسبب ذلك تتصدى لها القوى العالمية الاستكبارية الغاشمة، ولو رأينا وتأملنا لوجدنا ذلك يوجد في الدولة الإيرانية بعد أن قامت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام روح الله الخميني رحمه الله، ومازالت الثورة باقية بقيادة الإمام علي الخامنئي دام ظله، وقد انحازت الثورة منذ البداية للمستضعفين والفقراء والمعدمين، كما انحازت لقوى المقاومة ضد المشروع الصهيوني الأمريكي، ففرض عليها العالم بقيادة القوى المتكبرة حربا ضروسا لمدة ثمان سنوات طوال عجاف، لا لشئ سوى أنها تصدت للصهيونية

والاستعمار العالمي، ومازالت نفس القوى تحاصر الجمهورية الإسلامية، وتحاول النيل من ثورتها النموذج، فالثورة الإسلامية نعتبرها دولة ممهدة لظهور القائم، وهي دولة بكل المقاييس تنشد العدل والإخاء، وهي نموذج لدولة تمهيد، خاصة بعد أن نجح الولي الفقيه في إدارة الدولة الإسلامية الإيرانية.

وبعد: يجب التأكيد على أن: الشرور التي تملأ العالم ناتجة عن اختلال العدل واختفاء المساواة، ولذا فإن الله تعالى جعل الضمير الإنساني ينشد العدل، ويحب الحق والخير والجمال، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى كان يرسل الأنبياء والمرسلين للناس بأمرين هما التوحيد والعدل، وقد عبر الإسلام عن ذلك بالكتاب والميزان، الكتاب هو التوحيد، والميزان هو العدل، وهو تعبير مثالي لطيف، وقد طبع الله تعالى الإنسان على حب العدل بالفطرة، فلا يوجد من بني الإنسان بشر يكره العدل، وحتى الظالمون المفسدون يكرهون الظلم لأنفسهم، ويتوقون للعدل حتى وهم يمارسون الظلم على الآخرين، ورغم كل ذلك نجد أن الظلم، تلك الآفة البغيضة تتكرر دائما، وينتشر الظلم ويتفاقم ذلك عندما يوجد الاستكبار والهيمنة، وذلك على مستوى الأفراد والشعوب، ومنذ قديم الزمان ومن بداية الخلق، كان حب النفس والاستكبار والظلم شائع بسبب الأثرة، ولم يتورع الإنسان عن قتل أخيه الإنسان بسبب الأنانية والأثرة، أو بدوافع الانتقام، وعلى مستوى المجتمعات شنت شعوب حروبا على شعوب أخرى، من أجل استعبادها وإنهاك اقتصادها، وفي كل الأحوال كانت الشعوب المنتصرة أو المهزومة تدفع ثمن غرور قادتها، فتخسر الشعوب أبناءها وثرواتها من أجل إشباع غرور المنتصر، والمهزوم يحاول أن يقوي نفسه ليدرك ثأره، حتى يتمكن من الانتقام، ويتكرر الاستبداد والاستعباد من جديد، وتدخل الشعوب الحروب فتخرج منهزمة حتى تلك التي خرج قادتها منتصرين، وعندما يعيش المجتمع فترة هدوء نسبي من السلام، لا يستتب السلام دائما، فيحدث غالبا أن تكون هناك فوارق طبقية بين أبناء الشعب الواحد، لأن الفقر والحاجة إنما توجد في أي مجتمع لوجود سببين رئيسين وهما:

١. قلة الإنتاج: وهو عدم استثمار خيرات الطبيعة التي أودعها الله فيها.

٢. سوء التوزيع: وهو عدم العدالة في توزيع الثروة على أفراد الأمة.

فمتى وجد هذان العاملان في أي مجتمع، فإن وجود الفقر هو النتيجة الطبيعية لهما، كما

أكد أمير المؤمنين عليه السلام عنه بكلماته الخالدة حين قال كما في *نهج البلاغة* : (فما جاع فقير إلا بما متع به غني)، وذلك لأن فرص الفقير لا تتحدد إلا حسب رغبات الأغنياء، وهؤلاء الأغنياء ينسون في غمرة غناهم أي إنسان من غيرهم، فدائما ما يأتي المال بالبطر إلا نادرا، وبهذا تتكون الطبقية الممقوتة في المجتمع، بأن ينقسم المجتمع إلي طبقتين رئيسيتين: طبقة تعيش الترف والبذخ، وطبقة تعيش الفقر والفاقة، والطبقة الأخيرة تحاول البحث عن العدل والمساواة والأريحية، كما تبحث عن القائد الذي يعطيها ذاك العدل، فشهد التاريخ البشري كثيرا من ثورات الخبز، تماما كما شهد ثورات من أجل الحرية، فهي ثورات من أجل العدالة والحرية، ويمكن القول إن رسالات السماء التي حملها الأنبياء كانت ثورات من أجل هاتين الكلمين، لأن الأنبياء يأتون من أجل الحرية، وحرية الإنسان من أجل معرفة الخالق، وحرية الإنسان في العدل، وأيضا حرية الإنسان في الاستفادة من ثروات الأرض الطبيعية التي يحيا الإنسان عليها، وكان الضعفاء والمحرومون دوما هم الذين يؤمنون بالأنبياء قبل غيرهم، فكان لابد لهؤلاء المستضعفين أن ينتظروا من يخلصهم، ليعطيهم أملا في غد مشرق، هو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولكن القائم لا يظهر إلا بعد وجود دولة تمهيد له الطريق، تنتظره الانتظار الثوري العملي، فهي دولة تقيم العدل والمساواة، دولة تتقدم علميا وعمليا، دولة تساعد القوى التي تواجه الاستكبار والصهيونية، ونجد ذلك جيدا في الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام الخميني رحمه الله، ويسير على دربه سماحة القائد الإمام علي الخامنئي كما ذكرنا آنفا.

وفي هذا البحث نكتب عن خصائص دولة التمهيد، والبحث عن الدولة الإيرانية المعاصرة بعد أن قادها ثوار مخلصون للكلمة، وثوار مخلصون لأمل تخليص الإنسان من الظلم، وثوار مخلصون أيضا لدولة القائم، فقد استلهمت الثورة الإسلامية مفردات الثورة الحسينية جيدا، ونجحت عندما أخلصت لمبادئ الثورة، بحيث يمكن أن نعتبرها دولة التمهيد لصاحب الزمان، والبحث يتكون من لأربعة محاور.

المحور الأول: خصائص دولة التمهيد

إن خصائص دولة التمهيد تقوم على أسس الانتظار الثوري، وعدم اليأس، كما أن من

تلك الخصائص أن تعمل دولة التمهيد على وحدة المسلمين ضد القوى الكبرى الاستكبارية، وتحديد صفات منتظريه عليه السلام، لابد أن تكون خارجة من الإيمان الروحي والعقلي، بالإضافة إلى[1]:

أولاً: القدرة الفائقة على الاستيعاب: الفهم يشير إلى المهارة التطبيقية، بمجرد ما تعطيهم أي نظرية يستوعبونها بسرعة.

ثانياً: العقل الراجح: أي أنهم من الناحية النظرية يتمتعون بقدرات عقلية فائقة.

ثالثاً: المعرفة والعلم: يتمتع هؤلاء بالجانب العلمي الراقي.

رابعاً: إننا عندما نقرأ الروايات، نفهم الصفات التي يجب أن تتوافر في المنتظر للقائم، وأما الذي يقول: أنا منتظر للقائم ولا يوجد جانب عملي وتطبيقي لانتظاره، فهو يتمنى ولا ينتظر، ولكن المنتظر الحقيقي يتمتع بجانب عملي وتطبيقي، وهذا الانتظار أُشير إليه في الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن عندما يأتي شخص فيقول الانتظار مثلاً هو قراءة الدعاء ثم لا يطبق شيئاً، ويدع الحبل على الغارب، فهذا ليس معنى الانتظار في اللغة ولا في الواقع العملي، ولا المعنى الذي تشير إليه الروايات. والإمام زين العابدين عليه السلام بيّن المستوى المعرفي لهؤلاء المنتظرين عندما قال: (ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة)[2]، ثم تحدث عن الرتبة التي يصل إليها أولئك المنتظرون: (وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف)، فهذا المُنتظِر يعيش جهاداً في جميع النواحي النظرية والتطبيقية، ثم يقول: (أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً)[3]، يعني يوجد مَن يدعي انتحال التشيع والموالاة لأهل البيت من خلال المودة والحب على المستوى النظري، وهذا لا فائدة منه، وأما إذا كان هذا الحب والمودة والعاطفة الجياشة مقترنة بالجانب العملي والسلوكي، فهي التي تُحقق التشيع الحقيقي، الذي يصبح به من الدعاة إلى الله في السر والجهر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعيش في ظل دولته عليه السلام، وأن يمن علينا بالنظر إلي

---

١. موقع بقية الله.

٢. من شرح الصحيفة السجادية.

٣. نفسه.

وجهه الكريم، وأن يجعلنا من المقبولين لديه. وندعو فنقول: (اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)[1]. إن المهدي الموعود هو ما بشر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن المسلمين يعرفونه جيدا، وسوف يؤمنون به، ولكن يتردد سؤال حائر ولكنه لازم، وهو: كيف سيتمكن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف من تعميم الإسلام على الشعوب غير المسلمة، مع ما هي فيه من حياة مادية بعيدة عن الإيمان والقيم الروحية، ونظرة سيئة إلى الإسلام والمسلمين ؟!

هنا ينبغي الالتفات إلى عوامل كثيرة عقائدية وسياسية واقتصادية تساعد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في دعوته، تقدم بعضها في حركة ظهوره عليه السلام. فمن ذلك أن شعوب العالم تكون قد جربت - وقد جربت - الحياة المادية البعيدة عن الدين، ولمست لمس اليد فراغها وعدم تلبيتها لفطرة الإنسان وإنسانيته، وهي حقيقة يعاني منها الغربيون ويجهرون بها!

ومنها، أن الإسلام دين الفطرة، ولو فسح الحكام لنوره أن يصل إلى شعوبهم على يد علماء ومؤمنين صادقين، لدخل الناس فيه أفواجا[2]. ومنها، الآيات والمعجزات التي تظهر لشعوب العالم على يد المهدي عجل الله فرجه الشريف، ومن أبرزها النداء السماوي كما تقدم وهذه الآيات وإن كان تأثيرها على الحكام مؤقتاً أو ضعيفاً أو معدوماً ولكنها تؤثر على شعوبهم بنسب مختلفة. ولعل من أهم عوامل التأثير عليهم انتصارات الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف المتوالية، لأن من طبع الشعوب الغربية أنها تحب القوي المنتصر وتقدسه، حتى لو كان عدوها، فكيف إذا كانت له كرامات ومعجزات. ومنها، نزول المسيح عليه السلام وما يظهره الله تعالى على يده من آيات ومعجزات للشعوب الغربية وشعوب العالم، بل إن دوره الأساسي وعمله الأساسي يكون بينهم، ومن الطبيعي أن تفرح به الشعوب الغربية وحكامها ويؤمن به الجميع أول الأمر، حتى إذا بدأ يظهر ميله إلى الإمام المهدي عليه السلام والإسلام، تبدأ الحكومات الغربية بالتشكيك والتشويش عليه، وتنحسر موجة تأييده العارمة، ويبقى أنصاره من الشعوب الغربية،

---

١. دعاء الاستفتاح.

٢. بقية الله.

ويحدث فيهم التحول العقائدي والسياسي حتى يكونون تياراً في بلادهم. ومنها، العوامل الاقتصادية، وما يصل إليه العالم من الغنى والرفاهية على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فينعم الناس في زمنه نعمة لا سابقة لها في تاريخ الأرض وشعوبها، وفي كل الأحوال، فإن دولة القائم لابد أنها ستصطدم بالمستبدين الشرقيين المسلمين، ومعهم التحالف الدولي، وفي تلك الحرب التي سينتصر فيها القائم، لابد أن تنحاز جموع المستضعفين في العالم إليه، لأن المستضعفين هم الأكثرية في عالم الاستفراد بمقدرات الشعوب، وهو عالم يدعي نهاية التاريخ، ودولة القائم لابد أن تتميز بالعدل والرفاة الاقتصادي، وتكون نموذجا لباقي الشعوب، أما عن دور دولة التمهيد، فيقوم على ما يلي:

١. عدم اليأس وانتظار الفرج في العدل والمساواة

قلنا إنه ساد الظلم معظم فترات التاريخ البشري، وكانت فترات الأنبياء ومضات مضيئة في هذا التاريخ المظلم، ثم يعود الظلم من جديد مرة أخرى، فشاع مفهوم اليأس في قاموس بعض الناس، وطغى الشعور المفرط بالوقوع فريسة الظلم والاستكانة له، ولكن ما كان الله سبحانه وتعالى ليترك البشرية حتى قيام السامة ترزح تحت وطأة الظلم، فلابد إذن من ظهور المخلص التي يملأ الأرض بالعدل، ليتنعم الإنسان به، ومن هنا كان لابد للإنسان ألا ييأس، لأن اليأس من عدل الله تعالى هو قمة الجهل، ولذا كان لابد من ذلك الانتظار، فقد انتظر الناس من كل الأرض ظهور المخلص، والحقيقة أن المخلص في الإسلام هو الموعود بالانتظار، الانتظار للمخلص الموعود الذي هو الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وإن الكثير من الناس يتصور أن الانتظار هو انه إذا رأى منكرا وفسادا أن يقول للفساد انتشر حتى يظهر الحجة عجل الله فرجه الشريف وهذا لا يجوز، أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[1]؟ الانتظار إذن ليس معناه التكاسل والتخلي عن المسؤوليات، وإنّما يعني أن الإنسان ينتظر وضعاً أفضل، كالمريض ينتظر لشفاء العاجل أو المسافر ليلا أو نهارا تنتظر عودته، أنت عندما تنتظر عودة مسافر تتهيأ له أو لا؟

١. سورة آل عمران، آية ٣.

إذن كل انتظار يلازمه لون من التهيؤ والإعداد النفسي، ومن هنا لابد أن يسأل المسلم نفسه: يا ترى نحن المنتظرين للمهدي هل يجب أن نستعد أم لا؟ يجب أن نكمل أنفسنا خلقياً واجتماعياً وفكرياً حتى نكون لائقين لنكون جنوداً تحت لواء المهدي عجل الله فرجه المظفر، وهذه نعمة، لأنّه ليس كل احد يكون جنديا تحت لوائه، كيف نستعد حتى ننسجم مع الحضارة الجديدة للإمام المهدي، وقد قرأت بعض النصوص تقول: إن بعض الناس يستعجلون متى يظهر الإمام، في حين إذا ظهر الإمام يكون صعباً عليهم، إذن الإعداد النفسي والفكري والأخلاقي هو معنى الانتظار المهدي عجل الله فرجه، نحن ننتظر الإمام المهدي حتى يقضي على الظلم، فأنا الذي اظلم بالحياة هل انتظر المهدي ليقضي على الظلم؟

أنا الذي أعيش بحضارة فاسدة وأفلام خليعة ولا اعرف غير الخلاعة والفساد كيف انتظر قيام المصلح الذي سيحرق كل المدمنين بالرذيلة؟ إذن متى انتظر هذا المصلح الذي يقضي على الرذيلة والفساد والظلم عندما لا أكون ظالماً لا أؤيد الحضارة الفاسدة بل أتمرد على هذه الحضارة لأنّني مهدوي. هناك فلسفة أخرى للانتظار الحقيقي هي وجود الأمل للإنسان المنتظر، ورد ذلك في الروايات، والقرآن الكريم أيضا يقول: ﴿**لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ**﴾[1].

إن اشد جريمة في الإسلام هو اليأس من رحمة الله، لأنّ نتيجة اليأس استمرار العصيان والجريمة، فعندما أرى هذا العالم المغمور بالجريمة والرذيلة والفساد، أقول هذه الدنيا كلها فساد فلأكن معهم، لكن المنتظر للحجة عجل الله فرجه ليس كذلك، لأنّه يملك قوة عزيمة وأمل، ويعلم أن هذا الفساد يجب أن يقضى عليه، والصلاح والفضيلة لابد أن تنتصر وتتغلب في الحياة. إن فلسفة الانتظار إذن لا تذوب إرادة المسلم في الكيانات الفاسدة، بل تبقى باب الأمل مفتوحة على الإنسان المسلم، فمهما تفشى الفساد وانتشر الظلام والرذيلة، لابد أن ستمتد اليد الربانية على يد ولي الله الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولابد أن يوجد ذلك النصير للمظلومين وتزول كل الظلامات، وينكشف الغطاء عن ذلك الوجه المشرق، إذن أنا لا أيأس لأنّي لست وحدي، بل عندي المهدي عجل الله فرجه، وهذا هو معنى الانتظار الحقيقي. ومما يعطي الأمل في

١. سورة يوسف، آية ٨٧.

الانتظار الايجابي هو التقدم العلمي، والذي سيكون أحد ملامح دولة القائم عجل الله فرجه الشريف، وتلك البشائر العلمية تثبت حقائق المستقبل والانتظار، لأن العلم البحث من أهم عناصر التقدم في حياة البشرية التقدم العلمي، وتكامل الوعي لدي بني الإنسان، ومن زاوية أخرى، فإن الجهل قرين التخلف والتدهور الاجتماعي بكل أشكاله، وحيث أن الجولة المهدوية العالمية تمثل قمة التكامل وذروة التقدم البشري، فمن الطبيعي أن يكون تكاملها شاملاً لكل أبعاد وجود الإنسان بما في ذلك التقدم العلمي والتكامل في وعى البشرية، لأن المجتمع البشري سوف يتربي في مدرسة السماء، وفي ظل دولة الحق تربية ربانية لا نظير لها، وتتفتح أمام العقل البشري مختلف المجالات العلمية التي لم يعهد لها مثيل في تاريخ الإنسان. وفي عهد القائم سيتطور العلم أكثر فأكثر، حيث مازالت القفزات العلمية في طي الغيب، فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزأين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً فيبثها في الناس، وضم إليها الجزأين حتى يبثها سبعة وعشرين جزءاً). وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم). وفي قول أخر عنه عليه السلام قال: (.. وتؤتون الحكمة في زمانه، حتى إن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم). ومن الممكن أن يكون هذا المستوي من التقدم والتكامل الفكري في حياة البشرية في دولة الإمام القائم إنما يتحقق من خلال الوسائل الطبيعية، وهي أن من أهم مرافق الدولة القوة الإعلامية ووسائل التربية والتعليم والثقافة، حيث توجه فئات المجتمع عن طريق هذه القوة ويكون الرأي العام من خلال هذه الوسائل، فمتى ما توحدت الوسيلة الإعلامية والتربوية والتعليمية والثقافية، وأصبحت تصب في مصب واحد وتعمل من أجل هدف واحد، بحيث لا يتلقي الفرد والمجتمع إلا ما يبني عقله ودينه وخلقه، لأن العالم سوف يصبح في ظل دولة الإمام محكوماً بدولة واحدة ونظام رباني واحد، فلا توجد في العالم وسيلة تلقي إلا ما ينسجم مع هدف هذه الدولة.

فإذا تم ذلك، فمن البديهي أن تنمو العقول والأفكار نمواً سليماً وتتكامل وتسير في الاتجاه الذي يريده الله تعالى لها، ويصبح الفرد – من الجنسين – مستوعباً لأحكام والقوانين

الإلهية التي يدير بها حياته بنفسه إلي المستوى الذي تصبح المرأة على مستوى الاكتفاء الذاتي، فيما يرجع إلي معرفتها بعقيدتها وشريعتها، فهي تدير حياتها، سواء كان في داخل بيتها أو خارجه طبقاً للقوانين الإلهية النازلة من السماء.

٢. إقامة العدالة

لأن العدل والشوق إليه فطرة إنسانية، فكان لابد أن تظهر ملامحه في روايات المسلمين التي تحبب العدل وتبشر بشيوع العدل في دولة القائم، خاصة في روايات أهل البيت عليهم السلام، كما أنه هذه الروايات متواترة صاحب الرسالة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهناك العشرات من الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت تؤكد وجود تشابه بين الإمام المهدي وبين أنبياء الله السابقين على النبوة المحمدية، تشابه في السيرة والدعوة إلي العدل الإلهي، ولا عجب في ذلك، فإن الداعون إلي الله من الأنبياء والأوصياء لهم هدف واحد وطريق واحد، هو تحقيق العدل الاجتماعي والقضائي والإنساني.

لذا نجد تشابه واضح في سيرة الإمام المهدي مع نبي الله موسي في ظروف ولادته الغامضة، وله تشابه مع نبي الله نوح في طول العمر، وكذلك له تشابه مع نبي الله عيسي عليه السلام حيث اختلف حول عيسي وحول المهدي، ومع نبي الله يوسف عليه السلام فقد روي[1] بسنده عن سعيد بن جبر، قال: سمعت سيد العابدين على بن الحسين من علي يقول: "في القائم فما سنة من سبعة أنبياء، سنه من أبناء آدم وسنه من نوح وسنه من إبراهيم وسنه من موسي وسنه من عيسي وسنه من أيوب وسنه من محمد، فأما من آدم ونوح فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسي فالخوف والغيبة، وأما من عيسي فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد فالخروج بالسيف".

وكما كان هؤلاء الأنبياء قاموا بعمليات إصلاح لمجتمعاتهم ودعوا إلي التوحيد والعدل، أو الكتاب والميزان، فإن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام بالدعوة لإصلاح الإنسانية في كل الأرض وفي كل العصور، وبناء على تلك الدعوة، فإن القائم يقوم بعملية التغيير والإصلاح، وهي

١. إكمال الدين، وأيضا الإمام المهدي .. ملتقي سنه الأنبياء، حبيب إبراهيم الحديدي، بيروت، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بدون سنة نشر.

عملية فريدة من نوعها، وإن الدولة التي سوف يقيمها هذا المنقذ لا نظير لها في التاريخ، سوف يقوم بإصلاحات جذرية قائمة على أصول الرسالة المحمدية، كما جاء بها النبي والأئمة، وسوف نكتفي بإبراز كيفية تحقيق العدل المادي والرخاء الاقتصادي، وبطبيعة الحال، فإن هذا الرخاء مرتبط بالعدل السياسي ومواجهة الاستكبار العالمي، وهذا كله مواكب لعملية التغيير التي سوف يقوم بها القائم، ويأتي ذلك من خصائصها الربانية وهو ما يشير لها في دعاء الافتتاح فعبارات الدعاء إنما تصور مظاهر الاختلاف والحكمة لهذه القيادة الربانية وجوانب الإمدادات الإلهية التي تحف بالإمام المنقذ.

ومن ثم فإن العدل يسود العالم في حكومة المنقذ، لأنه ركيزة من ركائز كل الرسالات والدعوات الإلهية، (فالعدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب من ريحان المسك)[1]، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

المحور الثاني: الجمهورية الإسلامية: دولة التمهيد

بداية لابد من التذكير على أنه يوجب علي المسلمين عموماً وباختلاف مذاهبهم التمسك بفكرة تحقق الوعد الإلهي باستخلاف المستضعفين، وإقامة دولة القرآن من منطلق الاعتقاد بالقرآن، وإذا ما استدركنا أكثر فإن الالتزام بالسنة النبوية والاعتقاد بها يوجب علينا الإيمان بعقيدة المهدي عجل الله فرجه والاستعداد لها من خلال تحويل (الانتظار) إلى عامل دفع نفسي يؤدي بنا إلى تنقيه أنفسنا من الأدران، وإعادة بناء الذات بما يجعل من المسلم كفء للدور المشرف الذي يمكن لأن يلعبه، حيث يحوز شرف المساهمة في جيش المهدي، هذا الانتظار، يجب أن يكون ايجابياً متحركاً، يجعلنا على أهبة الاستعداد النفسي والجسدي والفكري، ومتمنطقين بطهارة روحية، وتعال واضح عن جميع عوامل الضعف والتردد والخنوع، كما يحرك فينا عوامل المواجهة مع الذات، وضد الظالم في كل عصر ومكان وبما يمنحنا من أمل نستطيع به التغلب على اليأس والخنوع، الذي نستنشقه كل يوم مع غبار الدعة والخنوع والقهر.

---

١. شرح نهج البلاغة لميثم البحراني.

وبالمقابل،[1] فإن الانتظار يستلزم منا تحصين أنفسنا ضد كل البدع الإعلامية والضلالية التي سيقوم بها الغرب لتسفيه أو تشويه هذه الفكرة، وهنا لابد لنا من الاستفادة من العلم ومواكبة النقد التكنولوجي والعلمي وتحسين قدراتنا في ميادين الاتصالات والمعلومات وما يتبعها فردياً وجماعياً من أجل أن يكون الاستعداد في ذروته، وبهذا نكون قد قدمنا خدمة لأنفسنا وأمتنا، إن أدركنا الظهور أو لم ندركه، وهنا تبرز المزايا الخفية في فلسفة الانتظار الايجابي، ومما يجدر ذكره أن سعى الغرب لمحاربة وتعطيل المسيرة المهدية سيتخذ أساليب متعددة، منها سيعتمد استخدام كل ما يملك من قدرات مادية ومعنوية وسيكون الغرب هو التجسيد الواقعي لفكرة الأعور الدجال التي وردت في الأحاديث النبوية المباركة، والذي سيحاول تعطيل المسيرة المتقدمة بتضليل الناس بأساليب إعلامية ومادية كاستخدام البث التلفزيوني المضلل، أو تطويع نظم البث والاتصالات والإنترنيت، بما يشوه صورة الإمام، ويعكس الصورة التي يريدها الغرب عنها، كما يستخدم القوة والتهديد والترغيب وتوزيع الهدايا والهبات على المترددين من أبناء الأرض وضعاف النفوس والمرتبطين بالحضارة المادية، ولعلّ فكرة (الأعور) الذي يبصر بعين واحدة تنطبق على الحضارة الغربية التي تظهر الأمور ككل بعين المادة (المادة)، وتهمل الروح تكون العدو التقليدي للحضارة الإسلامية المتكاملة الوارثة بالوعد الإلهي.

ولو أردنا تطبيق تلك الخصائص للدولة التي تنتظر القائم لوجدنا ملامحها ظاهرة في الثورة الإسلامية الإيرانية، حيث أنها ثورة قامت مباركة طاهرة، قام بها ثوار جمعوا شروط دولة التمهيد، وفيها صفات المنتظرين الثائرين التي ذكرناها، وهم ثوار تمكنوا من التصدي للاستكبار وذيوله في المنطقة، وقوى الاستكبار مازالت تحاصرها، لأنها تعلم علم اليقين أن إيران الثورة تمثل أمل المستضعفين في الأرض، وهي تمثل مرحلة هامة من مراحل التمهيد للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الثورة الإسلامية: ملامح التمهيد

لا يمكن الحديث عن الثورة الإسلامية في إيران، دون أن نقرأ ونتأمل الفكر الثوري

١. عصر الظهور، مصدر سابق.

الحسيني، لأن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، هي أم الثورات التي قامت على الكلمة، وبذلت الروح من أجل المبدأ، وهي الثورة التي كانت ملهمة لما جاء بعدها من الثورات في التاريخ الإسلامي، وهي أيضا الثورة التي ألهمت الثورة الإسلامية في إيران بمفرداتها، فانتصرت على أعظم وأقوى الأنظمة والاستعمار بأسره، لقد ارتبط اسم الحسين عليه السلام بالثورة، وارتبطت الثورة به، عند محبيه وخصومة على السواء.

كان الإمام الحسين ثائرا ليس له نظير في التاريخ البشرى، وجعلت من ثورته نبراسا هاديا لكل الثائرين، لأن كل البشر يتوقون لرجال تحاط سيرتهم بهالة من الضياء القدسي، يستمدون منهم القدوة، كما يحتذي سيرته الحائرون والذين يتلمسون طريقهم نحو النجاة من وحل الدنيا وطغيان الإنسان لأخيه، إن ثورة الحسين نموذج لكيفية إدارة الصراع مع الشر دون اللجوء إليه لحسم هذا الصراع، ودون اللجوء إلى خيانة الوسيلة مقابل إحراز النصر.

إن ثورة الحسين، وإن أخفقت على الصعيد العسكري في معركة غير متكافئة، فإنها حققت انتصارا على مدى الأزمنة، وكانت النموذج الذي تستلهمه الحركات الثائرة ضد الطغيان، وتختزنه الشعوب في وجدانها عنوانا للحرية والكرامة واستعادة حقوقها المغتصبة"لقد" قدم الحسين وآله وأصحابهم في ثورتهم على الحكم الأموي الأخلاق الإسلامية العالية بكل صفائها ونقائها، ولم يقدموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بألسنتهم، وإنما كتبوه بدمائهم" وقد أخبر النبي الكريم بما سيقع لأمته فقال: "ألا إن رحا الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا وإن كتاب الله والسلطان سيختلفان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا أنه سيكون عليكم أمراء يرضون لأنفسهم ما لا يرضون لكم، إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم"، فقالوا: وما نفعل يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كما فعل أصحاب موسى، حُملوا على الخشب، ونُشروا بالمناشير، فو الذي نفس محمد بيده لموت في طاعة خير من حياة في معصية"، "وسمع الحسين كل ذلك واستشرف مستقبل الأمة، وأذنه تردد مقولة الإمام على: "الحياة في موتكم قاهرين، والموت في حياتكم مقهورين"[1]، ولذلك لم يتردد الإمام الحسين في القول بأن الدعي ابن الدعي خيرنا بين السلة

١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده.

والذلة، وهيهات منا الذلة، ومثلي لا يبايع مثله.

إن الحركات الثورية المعاصرة والتي اتخذت الثورة الحسينية منهجا لها كتب لها النجاح سواء كان الثورات ضد الظلم الداخلي (الثورة الإيرانية نموذجا) أو ضد طغيان استعماري خارجي (حزب الله لبنان)، والثورة الفلسطينية حتما سيكتب لها النجاح، لأن شباب الانتفاضة وعوا جيدا كل مفردات الثورة الحسينية، و"إلا أن لكل دم ثائرا"، وهى كلمة قالها الإمام على وطبقها الحسين، وأنار بها الطريق إلى سالكي دربه، ومتخذي سيرته نبراسا يهدى الحائرين، وسيرة الحسين الخالدة يتردد صداها في كل مكان، وفى كل زمان ولا تقتصر على يوم عاشوراء، لأنه لا يُقيد بعاشوراء.

وفي العصر الحالي نجد أن أرقام القتلى الذي يتردد كل يوم في دار المسلمين من جراء الهجمة الأمريكية الصهيونية، لابد أن يجد رجالا ينسون أنفسهم ويقودون أمتهم إلى نبل المعاني وسمو المقاصد، حتى لو كان الثمن دماء هؤلاء القادة الذين يترسمون سيرة سيد الشهداء، وكم ترسم قادة سيرته فأقاموا دولا، كلها تنسب نفسها للحسين أو لعلى أو للزهراء، لأنهم دوما خلاصة الخلاصة من الأمة التي جعلها الله خير أمه أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وليس لمثلهم ولمثل من ينهجون نهجهم إلا النصر بعد انتصار أكده الله كثيرا في قرآنه الكريم، وأحاديث نبوية كثيرة توحي المؤمنين بالصبر والعمل بإخلاص المجاهدين إلى العمل الدءوب من أجل أعلاء الحرية حيث يكون الإنسان.

أثر الثورة الحسينية في الثورة الإيرانية

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام العنوان والشعار والمنطلق للثورة الإسلامية في إيران، ذلك أنَّ الشعب الإيراني المسلم امتزج مع هذه الثورة في كلِّ وجوده وشؤون حياته. والسؤال المهم الذي يبحث عن إجابة هو: كيف وظّف الإمام الخميني معطيات ثورة الإمام الحسين في الثورة الإسلامية في إيران؟

الولي الفقيه والروح الحسينية عند الإمام الخميني

إن الإمام الخميني حوّل مفهوم "تحمل الظلم والسكون حتى الظهور"، الذي كان حاكما

في المجتمع الإيراني إلى مفهوم ثورة إسلامية[1].

ومن خلال مناقشة وتحليل أفكار الإمام الخميني وكتاباته وإرشاداته، قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية، نستنتج أن الاعتقاد بموضوع المهدوية والانتظار، كان يأخذ مكانا بارزا في الأصول والأسس الفكرية للإمام الخميني.

وإن الحركة السياسية للإمام الخميني كانت متأثرة بشدة بثقافة المهدوية، وبالإيمان بها، فقد كان الإمام يؤمن بالانتظار البنّاء، ويتحدث عن موضوع تكليف الناس في عصر الغيبة.

إن الانتظار البناء من وجهة نظر الإمام الخميني، يعني السعي لتحقيق القدرة الإسلامية، وتمهيد الأرضية للظهور، وهو ما كان يختلف بشكل كامل، مع المفاهيم التي كانت سائدة قبل الثورة.

إن النهضة التي حققها الإمام الخميني في الأمة، تعتبر من أهم وأعظم الحركات الثورية التي شهدها القرن الماضي، ذلك أنها أحدثت تغييراً هائلاً في حركة الأمة طاول مختلف الجوانب، وباعتبار أن الإمام الخميني القائد والملهم لهذه الحركة، وهو ينتمي إلى الرؤية الدينية وتطلعاتها، ويعتمد على فكرها وثقافتها وأصالتها، كان من الطبيعي جداً ـ بل من الضروري ـ أن يستلهم الموقف والرؤية من موقعه العلمي والفقهي والفكري، ولأنه يعتقد بنهج أهل البيت، ويفتخر بانتمائه الأصيل إلى هذه المدرسة، فإن الناتج الطبيعي لهذا الانتماء هو الاستفادة من المخزون الفكري والثوري للنهج الحسيني والكربلائي، على قاعدة أن مستوى الانحراف والضعف الذي وصلت إليه الأمة لا يعالج إلا بهذه الروح الحسينية، وهي وحدها القادرة على إعادة الحياة في شرايين الأمة، وإعادة الاعتبار لقيم الجهاد والشهادة والانتصار في مواجهة أعتى مشاريع الظلم والاستكبار والهيمنة.

إن المقولة المشهورة عن الإمام الخميني: "إن كل ما عندنا من عاشوراء" على اختصارها تلخص حجم حضور النهج الكربلائي في حركة النهضة، وترشد إلى معدن القوة في هذا النهج على إحداث تغيير على مستوى كل الأمة، لنصل إلى المعادلة التالية: لولا الروح الحسينية، لما كانت الثورة الإسلامية، ولما كان انتصارها، ولما كان ثباتها، ولما كانت كل هذه

١. من أقوال الإمام الخميني.

الإنجازات العظيمة التي نشهدها اليوم في أمتنا.

إن هذا المفهوم له فائدة عكسية، تدلل على انتصار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وأن انتظار القائم البنّاء هو الدافع الثوري للخلاص والثورة على الظلم والطغيان، ومن خلال القدرة على إيجاد هذا النهج الذي يصلح الأمة كل الأمة وعلى امتداد العصور.

الإمام الخميني وولاية الفقيه

إن من أهم الأمور التي تدل على أن الجمهورية الإسلامية هي دولة التمهيد للإمام القائم عليه السلام، هو رعاية الولي الفقيه للدولة الإيرانية، وقد فندت رعاية الولي الجدل الذي يثيره البعض حول التضاد بين الولي الفقيه والديمقراطية، فولاية الفقيه اجتهاد في الفقه الإسلامي الشيعي (المذهب الجعفري) لمفهوم الحاكمية في الإسلام، وكذلك مفهوم الحكومة الإسلامية. وهناك اجتهادات مختلفة عند العلماء المسلمين والمسلمين الشيعة حول "الحكم الإسلامي في زمن الغيبة"، غيبة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي، وقد انقسمت هذه الاجتهادات بين التيارات التالية:

١. تيار المستبدة وجوهر نظرته أنّ الحاكم في زمن الغيبة هو الإمام الثاني عشر نفسه، وأيّة سلطة أخرى، تعتبر غاصبة لحق الإمام في الحكم[1].

٢. تيار المشروطة، الذي يوافق على اعتبار الحكم في زمن الغيبة للإمام، لكن يجد ضرورة لمراقبة السلطات المدنية للحدّ من استبدادها على الأمة.

٣. تيار ولاية الأمّة على نفسها، ومفاده منح صلاحيات الإمام في الحكم إلى الأمّة أو الجماعة.

٤. تيار ولاية الفقيه الذي يعطى كامل صلاحيات الإمام في زمن الغيبة إلى الولي الفقيه، والذي يعني أن الحكومة ممكنة في زمن الغيبة من خلال منح سلطات الإمام إلى سلطة الفقيه الولي. بين هذه التيارات، تبرز نظرية ولاية الفقيه، وأثرها في ضرورة تأليف حكومة إسلامية، كنقلة نوعية على المستويين النظري والعملي، لقد انتقلت فيها النظرية الشيعية في الحكم من عالم المثال إلى عالم الواقع.

١. طراد حمادة، ولاية الفقيه والإمام الخميني، من موقعه الالكتروني.

وقد كتب الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني محاضراته في ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية في حوزة النجف الأشرف سنة ١٩٧٠ ، وتسنى لهذه النظرية أن تجد طريقها إلى التطبيق في إيران من خلال: تأليف حكومة إسلامية وفق نظرية ولاية الفقيه على ما هو مثبت في مقدمة الدستور الإيراني الراهن.

لذا كانت نظرية ولاية الفقيه، الأكثر تجاوباً مع إنتاج العقل الفلسفي السياسي المعاصر باعتبارها توافقاً بين فقه السياسة الشرعية عند المسلمين الشيعة، وعلم السياسة المتحصل في الساحة التاريخية، وهو في جانب منه توفيق بين الدين والسياسة، يقوم على اعتبار مشروعيته السياسية مستفادة من القول الديني، وقواعدها ونظمها مستفادة من العلم السياسي. وفي قلب هذا التوفيق، نجد غاية ما نبحث عنه في القول، بقبول ولاية الفقيه للديمقراطية في الحكم، أو إمكان قيام حكومة إسلامية ديمقراطية، تكتسب مبادئها الفقهية وفق نظرية ولاية الفقيه.

وتقوم ولاية الفقيه على ربط الإمامة بالسياسة، من خلال الولي الفقيه، كنائب عن الإمام. ويوضحه الرسم التالي:

الإمامة ـ السياسة ـ ولاية الفقيه.

ونلاحظ في هذا الرسم تحقيق المطالب التالية:

ـ تحقيق مشروعية السياسة من خلال ارتباطها بالإمامة.

ـ يمثل الولي الفقيه عامل الربط والتوسط بين دائرة الإمامة ودائرة السياسة، وله فيها صلاحيات الإمام.

ـ يجعل من الفعل السياسي، عملاً مشروعاً من خلال ارتباطه بدائرة الإمامة، لكنه لا يفصل هذه الدائرة عن فعل الأمّة (اختبار الأمة) ولا يجعل من ولاية الفقيه دائرة مقابل الإمامة بل يحصل منه رابط المشروعية، لفعل السياسة، باعتباره من صلاحيات الولي الفقيه، ومن إمكان ممارسة السياسة كعلم أو ما يسمّى حجيّة العقل الإنساني المكوّن والمتكوّن.

إن وظيفة الولي الفقيه كرابط بين الإمامة والسياسة تقوم أصلاً على التمايز والترابط بين صفات الولي الفقيه وصفات الإمام، لا فقط على انتقال الصلاحيات بينهما.

إنّ مقابل شرط العلم عند الإمام، هناك شرط العلم عند الولي الفقيه. لكن علم الإمامة يتّصف باعتباره علماً لدنياً نبوياً، فيما علم الولي الفقيه هو كسب إرثي. علم كسبي يتحقق بالاجتهاد، ومن ثم باستمرار الأعلمية في موضع المرجعية والولاية، وعلم إرثي باعتبار العلماء ورثة الأنبياء، أي إنه ينقل بالعلم النبوي من خلال اشتغاله الطويل على الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

والفارق بين العلمين، يقوم على اعتبار علم الإمام نصاً مقدساً فيما علم الفقيه، علم متصل بفهم النص المقدس واستنطاقه.

ولا يمكن أن ينوب عن الإمام الحيّ القائم والموجود والحاضر، إلا ولي فقيه على قيد الحياة، وهذا يعني أنّ ولاية الفقيه تندفع إلى تحقيق المسائل التالية[1]:

١. مرافقة حركة الزمان والمكان، أو حركة العقل في الوجود الواقعي، وقبول المتغيرات والمسائل المستحدثة، من خلال عملية الاجتهاد نفسها، المرتبطة بحركة المكان والزمان، وحركة الأفكار، في الساحة التاريخية للإنسان. فلا يكون الولي الفقيه بشرط الحياة، إلا محيطاً بظروف عصره، ومستوى التأوج العلمي والمعرفي فيها، وهذا الأمر كان الإمام الخميني نفسه قد لحظه في رسالته.

٢. يمنع شرط الحياة، في التفسير المعطى له، الوقوع في أشكال السلفية، أو الفكر السلفي، وإذا كان الاجتهاد يتضمن إبعاد السلفية، فإن شرط الحياة في الولي الفقيه، ينفي بدوره هذه السلفية بشكل صريح، فلا يمكن القبول بقيادة السلف، للحياة الراهنة، وإن كانت الاستفادة من السلف الصالح أمراً مقبولاً ومطلوباً، ولكن بحدود الاستفادة، في موردها المحدد.

إن مشروع الإمام الخميني يرفض التفسير السائد لفكرة انتظار الفرج، وهو التفسير الذي يجعل الانتظار مفهوما سياسيا يعادل التخلي عن أي مشروع لإقامة دولة أو المشاركة في دولة؛ فهو يرى أن انتظار الفرج لا علاقة له بالسياسة، ولا يصح اعتباره مبررا لاعتزالها. حيث يتضمن هذا المشروع أيضا فصلا غير صريح بين منظومة الحقوق والواجبات الخاصة

١. نفسه.

بالإمام التي تعالج في الإطار الكلامي، وتلك الخاصة بعامة المسلمين التي تعالج على أساس موضوعي، أي بالنظر إلى الواقع الحياتي الذي يعيشونه ومتطلبات تقدمهم الدنيوي. وهو يجادل بأن الانتظار السلبي للإمام الغائب يتعارض مع روح التعاليم الإسلامية؛ فالإمام الغائب سيعود يوما ما في المستقبل لإقامة العدل على المستوى الكوني، لكن الإتّباع المخلص للإمام، أحرى بأن يتجلى في السعي لإنجاز المهام والأهداف الدينية التي يريد الإمام إنجازها، وأهمها - حسب رأي الإمام الخميني- إقامة الحكومة الإسلامية حيثما كان هذا ممكنا.

وقد وجه الإمام الخميني نقدا شديدا للربط بين السياسة والانتظار، الذي أدى في رأيه إلى تعطيل الأحكام الشرعية.

الديمقراطية واجبة في ولاية الفقيه

لقد تحقّق دور ولاية الفقيه كتوسط رابطي بين الإمامة والسياسة، وإذا كانت دائرة الإمامة مكتملة من خلال النبوة الخاتمة، وقيامة الإمام الغائب ـ الحاضر، الذي أوكلت صلاحياته للولي الفقيه كتوسط بين الدائرتين، وإذا كانت ولاية الفقيه اعتبارية بالمصطلح الفلسفي الذي يتوافق مع اعتبار جانب الوظيفة لمشروعية الدولة أو الحكومة، ولأنّ وظيفة الولي الفقيه مستندة في أصل مشروعيتها إلى صفة الحياة والعلم مقابل حياة وعلم الإمام. فإنّ دائرة اجتهاد الفقيه المرتبطة بالزمان والمكان (شرط الحياة) وعلمه المرتبط بدوره باعتباره علماً كسبياً لدنيا، وعليه تكون دائرة السياسة غيرمكتملة في زمن الغيبة لأنها مفتوحة على حركة العقل في استنطاق النصّ وتطبيق قواعده وأحكامه، أو تقديم أجوبته المتغيرة، المتجدّدة والمنفتحة على طاقة النصّ الإلهي الذي لا ينفذ معناه على تحصل الحقيقة فيه.

يؤدّي هذا إلى إمكان ممارسة السياسة كعلم مستقل، مستفاد من حركة العقل الإنساني. وتقتضي صفة العدالة، تنفيذ أحكام العقل في موضوعه، وهو في هذا المحل علم السياسة. فإذا كان العلم السياسي المعاصر، يفيد أن الديمقراطية، هي النظرية الضامنة لتحقيق العدالة في الفعل السياسي، تحقق لنا الحكم التالي: وجوب تطبيق الديمقراطية في محلها المتحصل في موضوعات علم السياسة على الولي الفقيه[1].

١. نفسه.

ينشأ عن القول بهذا الوجوب شبهات من نوع: هل تمثل تقييداً لصلاحيات الولي الفقيه؟ وهل يصح الوجوب فيها لو ذهب اجتهاد الولي الفقيه إلى اعتبار الديمقراطية في موضعها من العلم السياسي منافية للشريعة؟

إنّ اعتبارية ولاية الفقيه ودوره التوسّطي بين الإمام والأمة وأصل مبدأ الوظيفة في الحكومة الإسلامية، والتزام الفقيه بما يمليه عليه اجتهاده، على قاعدة العلم وقاعدة العدالة. يصبح الأمر راداً لأصل الشبهة باعتبار علم الفقيه الكسبي، ومنهج استنطاق العقل للنص، ووظيفته العلمية المعطوفة على مبدأ التقوى والعدالة، ودوره التوسطي بين الإمام والأمة، عوامل أساسية في وجوب اختيار الأصلح في ممارسة الفعل السياسي في موضوعه وهو في هذا المحل اعتباراً الديمقراطية.

ثم بعد عرض ما قامت به الثورة من تأصيل لولاية الفقيه، نجد أيضا أن الفكر الثوري تحدد من المفهوم الثوري أولا، ثم مفهوم الانتظار الثوري ثانيا، وأنه يمثل حالة فريدة في الثورة الإسلامية، كما أن التراث الثورة للثورة جاءت بأنبل ما يمكن للإنسان أن يأتي به في زمن الغيبة، والذي يهمنا التركيز عليه، هو حضور هذا النهج الثوري الكربلائي، وتأثيره ضمن العناوين الآتية[1]:

١. انتصار الدم على السيف

إن الذي يعرف الواقع السياسي والأمني لنظام الشاه، الذي كان يرزح تحته الشعب الإيراني المجاهد، والأهمية الاستثنائية التي أولاها الاستكبار العالمي لهذا النظام، والدعم الكبير الذي قدمه له عسكرياً وسياسياً وإعلامياً، بحيث أصبح الظلم يعم كل الأرجاء، والسجون ممتلئة بالعلماء والثوار والمجاهدين، مع ما رافق ذلك من استهداف مركّز لهوية الشعب الإيراني الدينية والثقافية والوطنية ـ إن الذي يعرف كل هذه الأمور ـ يكتشف أن لا مجال لمواجهة هذا النظام إلا بالتضحية والصبر على البلاء، وتقديم قوافل الشهداء في حركة دائمة ومستمرة لا تعرف التعب أو اليأس.

ولعل هذا السبب هو الذي جعل حركة الإمام الخميني تحتاج إلى عقود مليئة بالمواجهات

١. عصر الظهور، مصدر سابق.

والمظاهرات والسجن والنفي والحملات الدعائية الكاذبة، لكن الشعب الإيراني وقف خلف قيادته الشجاعة بقوة وثبات، وتحمل عبء هذه المواجهة بكل اقتدار، غير آبه لحجم ومستوى التضحيات، مستلهماً الموقف من مثله الأعلى وقدوته الخالدة في كربلاء، ومعتقداً دون أدنى تردد أن النصر سيكون حليفه في نهاية الأمر، وأن اشتداد المواجهة يخبئ خلفه الفرج الكبير والنصر الأكيد.

إن هذه القناعة هي التي تتولد من ثقافة حسينية أصيلة، تجسد أروع معاني الذوبان في المبدأ والتسليم للوعد الإلهي، على قاعدة أن التغيير لا يحصل دون روحية العطاء والبذل (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد).

إن قناعة راسخة وإيماناً كبيراً وعزماً أكيداً ـ كل هذه الأمور ـ استندت إلى مقولة أثبتها التاريخ وجسدها الشعب الإيراني، وهي مقولة "انتصار الدم على السيف".

٢. الشهادة وعشق سيد الشهداء عليه السلام

للشهادة مكانة خاصة في الثقافة الدينية، وهي مبعث قوة وفخر في الأمة الإسلامية عموماً، لكنها في حركة الإمام الخميني وفكره ونهجه تحظى بأهمية خاصة، إن الطاقة الروحية التي يستولدها العاشق للحسين بن علي عليه السلام، لا يمكن أن تقاس بأية طاقة أخرى، وهي لا يمكن إلا أن تكون في خدمة الدين والأمة، هذه الطاقة لا تشحن النفوس وتعبّئها فحسب، بل تؤججها وتدفعها للبذل والصبر والتحمل، لتحقيق المراد وهو لقاء المحبوب والمعشوق. ولذا، لا يجوز أن يستهين أحد أو أن يخفف من أهمية العشق للحسين في صياغة شخصية قادرة على تغيير الواقع السيئ، مهما اشتد عوده واستفحل أمره.

إن قدرة منهج الإمام الخميني على تفجير طاقة العشق الحسيني في موقف جهادي يتنافس فيه المحبون للحسين، هي من المميزات الهائلة التي سخرت في خدمة الحق والأمة، فبدل أن يكون الحب مجرد بكاء ولطم وذكر المصاب ـ على أهمية ذلك ـ، فإنه يتحول إلى مشروع استنهاض للأمة، يحققه المجاهدون على أمل الشهادة ولقاء الحسين بن علي عليه السلام. لذا، نجد شعارات ومصطلحات هامة تغذت من رحيقها الثورة، وأصبحت عرفاً شائعاً ومحبباً في أدبيات المجتمع الإيراني، من قبيل (قوافل السائرين إلى كربلاء، قوافل العشق الحسيني)، وهذه الشعارات متداولة بفخر واعتزاز امتلأت بها المدن والقرى.

كما أن هذه الثقافة أرخت ظلال الاطمئنان والاستعداد للبذل والتضحية عند العوائل المحترمة للشهداء، الذين اعتبرهم الإمام الخميني مصابيح الأمة، لأن هذه العوائل الكريمة تعتبر في شهادة أحد أفرادها حظوة والتفاتة خاصة من محبوبهم وإمامهم الإمام الحسين عليه السلام.

٣. الوفاء للقائد

حين رفع الشعب الإيراني شعار (نحن لسنا أهل الكوفة لنترك الحسين وحيداً)، اعتبر البعض أن في هذا الشعار تعريضاً بأهل الكوفة، وتنكراً لتضحياتهم، التي لا يمكن لأحد أن ينكرها، أو أن هذا الشعار محاكمة تاريخية لا تصح بحق مجتمع عاش ظروفاً صعبة وقاسية، وغير ذلك من الانتقادات، لكن الحق يقال: إن هذا الشعار كان ناظراً إلى القسم الملآن من الكوب ـ كما يقال ـ، وهو الاستفادة مما حصل في التاريخ، لترسيخ مفهوم الوفاء والالتزام بعهد البيعة والولاية والقيادة، مهما كانت الظروف والتضحيات، وفي هذا المعنى، انتقال إيجابي من مرحلة ذكر الوقائع وتحليلها للتبرير أو الإدانة، إلى مرحلة استلهام الموقف الصادق مع القائد إلى نهاية الخط. وهذا بحد ذاته انتصار على كل حملات الدعاية والتشكيك والتضليل، التي تلقى بوجه الشعوب التواقة إلى الحرية، في الوقت الذي لا يمكن لأحد أن ينكر الألم والوجع في أحداث تاريخية مشابهة مليئة بالمرارات والغصات، أفقدت الأمة في لحظة الضياع وفقدان التوازن فرصة الاستفادة من أئمتنا الأطهار عليهم السلام، فحركة الإمام الخميني تعرضت لأشرس وأبشع وأكبر حملات التضليل من قبل الأعداء وبعض الجهلة والمغفلين، وكانت الحملات تطال في قسم كبير منها شخص الإمام الخميني، والتشكيك بأهدافه تارة، وبخلفياته تارة أخرى، وتحميله أحياناً مسؤولية عشرات الألوف من الشهداء، بدل أن يتم تحميل المسؤولية للاستكبار وأدواته.

إن مفهوم **الوفاء والالتزام** بتوجهات القائد، هو من القيم العظيمة التي تعبر عن مستوى عال من الإيمان والصدق عند الشعب الإيراني، وعن درجة عالية من الوعي والاستفادة من التاريخ لصنع مستقبل عزيز، كما أن الاستخلاص الواعي والصادق من **ثورة الإمام الحسين** عليه السلام، شكل المعبر للوعي وللتطبيق معاً.

٤. المنبر الحسيني وثقافة عاشوراء

مما ذكره الإمام الخميني في وصيته للشعب الإيراني: "أن لا يغفلوا عن مراسم عزاء الأئمة

الأطهار"[1]

إن الثقافة العاشورائية ـ ومن خلال المنبر الحسيني ـ تبقي حبل التواصل متيناً وأصيلاً مع كل الأجيال، فتصيب من خيرها الطفل والشاب والرجل والمرأة وكل المجتمع، لتكون روح الثورة عامة ودائمة ومنهجاً مستمراً وليس استثناء، وهناك فرق كبير بين ثقافة تدعو إلى الثورة ورفض الظلم حيناً، وبين ثقافة قائمة على رفض الظلم ومواجهته دوماً؛ فالأولى تنفع وتفيد الأمة، لكن الثانية تبني الأمم وتحصنها من الجور والطغيان، وهذا هو بالضبط ما تحققه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي هدف مقدس في ثورة كربلاء. وليس من قبيل المبالغة أو الشطط إذا قلنا: إن هذه الثقافة العاشورائية كانت مصدر الإلهام ومبعث القوة والاستقامة في حركة الإمام الخميني، عندما تلقفها الشعب الإيراني المجاهد واعتبرها أصلاً راسخاً في التربية وبناء المجتمع، فإن ما فيها من غنى وأصالة وشمول يكفي لإحياء البشرية وإنقاذها من الضلالة، ووضعها على طريق الهداية والإيمان والعدل. أو ليس الإمام الحسين هو مفجر الثورات الكبرى، وهو الذي تعلم كثير من القادة من نهضته، فقال أحدهم: " تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما وانتصر".

قيمة الانتظار في مفهوم قادة الثورة

رأينا كيف أن الثقافة الكربلائية كانت ومازالت هي التي أججت وتؤجج النفوس والقلوب، وهي التي كانت دافعا للثورة في طريق النجاح، ونرى كذلك أن انتظار قادة الثورة للإمام المهدي عليه السلام كان متفاعلا مع الثقافة الكربلائية، لأنهما ينبعان من نفس النبع الصافي، فكان الإمام الخميني يؤصل للمفهوم المهدوي القائم على أسس الانتظار من موقع القوة، فالإعداد النفسي والعلمي اعتمدت على مفردات الثورة لأهل البيت، ولم تكن الثورة لتنجح لو لم تتمثل المثل والمفردات الحسينية، ومنها قيمة التمهيد للإمام القائم عليه السلام، يقول القائد الإمام علي الخامنئي[2]: ولكن كيف يتحقق هذا التمهيد؟ يتحقق بنفس الصورة التي تشاهدون أمثلة لها في مجتمعكم في إيران الإسلامية اليوم، تألق معنوي لا نظير له في أي

١. من أقوال الإمام الخميني.

٢. من أقوال الإمام علي الخامنئي من موقعه الإلكتروني.

موضع آخر من العالم، ففي أي موضع من العالم تجد اليوم شباب يسحقون شهواتهم المادية، ويتجهون نحو الأفاق المعنوية ولا نظير لهذا التوجه المعنوي بهذا الزخم في العالم كله إلا على هذه الأرض، فالشبان الخيّرون المؤمنون من أبناء حزب الله قد سحقوا شهواتهم النفسية، وتجاوزوا مطامع المال والثروة، وإن وجد بعض آخر ممن يلهث وراء هذه المغريات، إذن يمكن التقدم في ظل هذه الأوضاع نحو الصلاح خطوة بعد أخرى، وهكذا الحال بالنسبة للنساء عندنا، فلهم سبق في العمل السياسي، وفي النشاط الثقافي، وفي الجوانب التشكيلية الأخرى، وعندما يحل الجهاد ترسل الأمهات أبنائهن إلى الجبهة بأنفسهن، وبها السبق إلى إدارة البيت والأعمال وتربية الأولاد، فهذا البلد، والحمد لله بلد مقتدر وعزيز، وحتى الأعداء يشهدون له بالرفعة ولشعبه بالعظمة، ولمسؤوليه بالإخلاص والإيمان والتمسك بالإسلام، إذن من الممكن تمهيد الأجواء. إن الإيمان بالمهدي لا يقتصر أثره على كيان الفرد أو الأمة فحسب، بل هي مسألة ينبغي ترسيخها في نفوس المسلمين، لما لها من مردود نفسي وحياتي على كيانهم، فكما أن الإيمان بالله واليوم الأخر والثواب والعقاب والأنبياء والأئمة أمر مهم على كيان الإنسان العقلي والروحي والسلوكي والأخلاقي، كذلك الاعتقاد بالإمام المهدي، له الدور في صياغة الإنسان المسلم والأمة الإسلامية، لذلك ينبغي الاهتمام به وترسيخه في النفوس، وذلك من خلال محورين.

المحور الأول: في التكامل الفردي لدى الإنسان، فالذي يؤمن بالمهدي سيوفق أكثر للحصول على وسائل الكمال الروحي والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

المحور الثاني: ساحة الحياة الاجتماعية العامة، وما يرتبط بمصير الشعوب والبشرية بصورة جمعاء.

الأمل والثقة بالمستقبل

إن فكره تجدد الأمل عندما ننتظر القائم لابد أن تستمر، وهو ما حدث في حالة الثورة الإسلامية، ومازالت متجددة، وهو ما جدده القائد المرشد بقوله: ذلك أنه لم يعد المهدي فكرة ننتظر ولادتها ونبوءة نتطلع إلى مصداقها، بل واقعا قائما ننتظر فاعليته تتسم عقيدة المهدوية بجملة من الخصائص، وبمثابة الروح في البدن، ومن جملة تلك الخصائص خاصية الأمل، وإذا فقدت الأمل لا تستطيع القيام بأي عمل، وتفقد الثقة بجدوى أي إجراء قد

تلجأ إليه .

إن الاعتقاد بالمهدوية وبفكر المهدي الموعود يحيي الأمل في القلوب، قال الله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز) الآية الكريمة تبين هدف الأنبياء والرسل الإلهيون ومناهجهم بصورة دقيقة، ولها معنى واسع يشمل المعجزات والدلائل العقلية التي تسلح بها الأنبياء والرسل الإلهيون. وبهذه الصورة، فإن الأنبياء كانوا مسلحين بثلاث وسائل وهي:

الدلائل الواضحة -الكتب السماوية - معيار قياس الحق والباطل.

وعلى كل حال فإن الهدف من تعبئة هؤلاء الرجال العظام بهذه الأسلحة الأساسية، هو من اجل إقامة القسط والعدل، والإمام المهدي سيظهر ليكمل ما بدأه الأنبياء وينفذ ما وعد الله ورسوله من أن يملأ الأرض قسطا وعدلا.

بين القوة والنصح: هنا يأتي دور الحديد الذي فيه بأس شديد حين يوجه صفعة قوية على رؤوس الجبابرة، كي يستسلموا للقسط والعدل ودعوة الحق التي جاء بها الأنبياء، وقد نقل حديث عن رسول الله في هذا الصدد حيث قال :" بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي "

العدالة: من الخصائص دولة الإمام ومعالمها البارزة عموم العدل وسيادة العدالة الاجتماعية والسياسية في العالم وفي رواية عن الإمام علي ابن الحسين عن جده رسول الله قال:" لو لم يبقى من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج رجل من ولدي فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما "

عموم الرخاء الاقتصادي: من مظاهر العدالة في دولة الإمام العدالة الاقتصادية كتطوير الحياة المادية وتحقيق الرفاهية والرخاء الاقتصادي سيخرج كنوز الأرض ويقسمها بين الناس، فقد ورد عن النبي " تخرج له الأرض أفلاذ أكبادها ويحثوا المال حثوا، ولا يعده عدا "

انتشار العلم والثقافة وعموم الأمن[1]: إن دولة المهدي دولة الأمن والثقافة الإسلامية الأصيلة ومعرفة الحقيقة" إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأنت به

١. نفسه.

السبل "

الحكومة الشعبية: الحكومة الشعبية تعني الاعتماد على إيمان الجماهير وإرادتها وسواعدها فإن إمام الزمان لا يملأ الدنيا عدلا وقسطا بمفرده، بل مستعين بالجماهير المؤمنة ومعتمدا عليها فأنصار الإمام مكلفون بأن يتخذوا الحد الأدنى من المعيشة ...

قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾

عن الإمام الباقر عليه السلام "المهدي منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب"

وقد تمكن قادة الثورة في تحقيق بعض معالم دولة الظهور المباركة، من حيث تحقيق العدل والحكومة الشعبية والتداول السلمي للسلطات، وتحقيق التقدم العلمي والنهضة الفكرية، ومن ثمار ذلك نشر الرعب في قولب أعداء الأمة، ولعل أسباب التقدم وانتشار الأمن والعدل في ربوع الجمهورية الإسلامية هي الذي يخيف دول الاستكبار، وهو السبب الحقيقي والأصيل في تكاتف تلك الدول لحصار الجمهورية الإسلامية، من أجل كسر شوكة العدل الذي رنا إليه كل سكان المعمورة، ولكن الجمهورية الإسلامية من خلال تبنيها للمنهج العلمي المهدوي تمكنت من مجابهة التحديات حتى اليوم.

المحور الثالث: مواجهة التحديات بعد نجاح الثورة

نجحت الثورة الإسلامية في إيران نجاحا غير مسبوق، انتصرت بالكلمة الصادقة، الكلمة الإيمانية، وبسبب انتصارها حاولت الدول الكبرى المتسلطة، ومعها أنظمة ـ ولا نقول شعوب ـ دول العالم الإسلامي، أن تهزم الثورة قبل أن تكتمل، كما عملت على وقف أخذها كنموذج لدول العالم الإسلامي ودول العالم الثالث، فواجهت دولة التمهيد الإيرانية تحديا يفوق الخيال، خاصة وأن الشخصية الإنسانية أخذت الكثير من العامل المعنوي للثورة الإسلامية وخطابها المعنوي في عالم السياسة، لأنه كان تأكيدا على وجود الجذور الأخلاقية في هذا العالم، وتأكيدا على أهمية القيم والمعايير الأخلاقية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

كانت تلك بعض خصائص الثورة الإسلامية التي دعت المسلمين في العالم إلي الثقة

بالنفس والعودة إلي الذات، وعلمتهم أن الكنز مدفون تحت أقدامهم، ولا يحتاج اكتشافه إلي بحث وتنقيب في مكان آخر، وهذه الرؤية بحد ذاتها هي التي أدت إلي تصدير رسالة الثورة الإسلامية إلي العالم معنويا بكل ما تعنيه كلمة (الرسالة).

لقد شهدت الثورة مراحل بعد نجاحها، وكل مرحلة كانت توجه الحصار والحرب، وتواجه العالم الذي يريد أن يدوس كل حركة تحرر من الاستكبار والطغيان العالميين.

خلال العقد الأول من الثورة الإسلامية حصلت تطورات وأحداث عديدة ومتعاقبة جعلت من الصعب معرفة وفهم عمقها، فلم يكن ينتهي حادث حتى يقع حادث آخر وتنفجر قضية أخرى، وبمراجعة تلك الفترة والأحداث التي شهدتها، تتجلي قدرة وعظمة الشعب الإيراني وقيادته وستكون جديرة حقا بالإعجاب والإشادة الكبيرتين.

ومن الطبيعي أنه لو شهدت المرحلة الراهنة تلك الأحداث لكانت المواقف تجاهها جديرة حقا، وطريقة التعامل شكلا آخر، بيد أن سعي الجميع في تلك الفترة كان للثورة الوليدة التي كانت تواجه الأعداء من كل جانب، فالمعارضون والأعداء كانوا يتمثلون تارة بتنظيمات مسلحة في الداخل، وأنظمة وحكومات في العالم من الخارج تارة أخري، كانت تريد القضاء على الثورة وعلى نظام الجمهورية الإسلامية، ولولا تلك التعبئة الجماهيرية الشاملة، وثقة الشعب بالثورة وقيادتها، لما تمكن الشعب ولا القيادة ولا الثورة من الصمود في مواجهتها نتيجة للمشاكل والأزمات التي كانت تعيشها، ونعرض بعض التحديات التي واجهت الجمهورية الإسلامي.

١. الحرب على الثورة والحصار الدولي/ العربي على إيران

بعد نجاح الثورة مباشرة وقفت ضدها أغلب دول العالم، خاصة الحكومات الغربية والدول العربية، كان الخوف من الثورة هو الباعث على حربها ومحاولة إفشالها، فكان أن شنت تلك القوى حربا ضروسا على الجمهورية الإسلامية، ورأت تلك الدول أن صدام حسين كان يحلم بزعامة العالم العربي، فتركته يشن الحرب على إيران وهو يظن أنها حرب سريعة يخرج منها منتصرا زعيما، وتبعا لذلك قام النظام العراقي بإعطاء الأموال لعملائه لتنفيذ أعمال تخريبية ضد خطوط أنابيب النفط في الجنوب الإيراني، وتحريض بعض العشائر العربية في محافظة خوزستان على التمرد، وقد رافقت هذه الخطوات اعتداءات عسكرية

وهجمات محدودة في المناطق الحدودية، الأمر الذي أدي إلي استدعاء السفير العراقي في طهران للطلب من حكومته تقديم إيضاحات حول هذه الأعمال، حتى أن النظام العراقي قدم اعتذارا رسميا في إحدى المرات لشنه اعتداء على الحدود الإيرانية.

من جانب آخر، فإن صدام حسين الذي كان مدركا لمشاعر العداء الأمريكي لإيران بعد احتلال السفارة الأميركية، كان يعتقد كذلك أنه عندما يشن هجومه العسكري على إيران سينال دعم ومساندة الحكومة الأميركية، وقد حصل على ضمانات بعدم تدخل أميركا في هذه الحرب، وذلك خلال اجتماع بمستشار الرئيس الأميركي السبق لشؤون القومي بريجنسكي في عمان في شهر سبتمبر / أيلول عام ١٩٨٠، وبعد ذلك أعلن عن إلغائه اتفاقية الجزائر من جانب واحد، بعد أن كان وقعها هو بنفسه مع الشاه، ثم أمر بشن الهجوم العسكري الشامل على إيران لتكون بداية الحرب الثماني سنوات.

وكان صدام حسين يظن بأن الجيش والقوات المسلحة في إيران، وبعد انتصار الثورة الإسلامية لن تكون قادرة على مواجهة القوات العراقية، وقد عزز هذا الاعتقاد التقدم السريع الذي أحرزته القوات العراقية في الأيام الأولي من الحرب، وذلك باحتلال مدن (قصر شيرين، نفت شهر، خرمشهر، سوسنكرد، ومحاصرة مدينة آبادان وتهديد اهواز)، ولذلك فإنه في الأسبوع الأول من الحرب رفض اقتراح وقف إطلاق النار بصورة مؤقتة قدمته الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي، بيد أنه بدأ يفهم ويتعلم الدرس الذي تعلمه الأميركيون من قبل، فقد تعبأت الجماهير متجه صوب جبهات القتال، ولم تمض فترة طويلة حتى انتقلت ساحة المعركة من المناطق الحدودية الإيرانية إلي داخل الأراضي العراقية.

وعلى العموم فقد استمرت حرب صدام حسين ضد النظام الإسلامي في إيران ثماني سنوات وكانت الأسلحة الغربية تتدفق على صدام من أمريكا وبريطانيا وفرنسا والأرجنتين والبرازيل ومليارات الدولارات من دول الخليج العربي، وطوال هذه المدة لم تواجه العراق أي نقص في الغذاء والمال والسلاح، لأن صدام كان يخوض الحرب نيابة عن أمريكا والغرب، والغريب أن وقف الخليجيون وقفة الأخ إلى جوار أخيه ـ كما زعموا ـ في حرب العراق مع إيران، لأن الجميع كان خائفاً من الثورة الإسلامية الإيرانية في منطقة الخليج الفارسي، ولذلك وقفت الدول الخليجية والعربية مع العراق ماعدا سوريا، وقد قدرت

المساعدات الخليجية للعراق بحوالي ٢٠٠ مليار دولار، كما ساعدت الكويت والسعودية العراق نفطيا بإعطائها ٣٠٠ ألف برميل نفط يوميا، واتبعت الدول الخليجية وخاصة السعودية تأثيراً كبيراً عن طريق خفض ورفع أسعار البترول وكمية الإنتاج، لتحقيق أكبر الخسائر الممكنة بالإنتاج والمردود النفطي الإيراني إلى أن قطعت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في شهر إبريل مع عام ١٩٨٨، وهذا ساهم بشكل كبير في تقوية العراق وإضعاف إيران وإطالة أمد الحرب، كما تقاربت العلاقات المصرية العراقية كثيراً وذلك عقب المقاطعة التي دعا إليها العراق جميع الدول العربية بعد اتفاقية (كامب ديفيد) الشهيرة واستفاد العراق من إنتاج مصانع السلاح المصرية التي كانت تدعم الجيش العراق. كان هدف أمريكا والاتحاد السوفيتي جعل الحرب تطول أطول فترة ممكنة، فكان الهدف الأكبر والأسمى للدولتين العظمتين استنزاف البلدين المسلمين لاستنفاد ثرواتهما، ولإضعاف قواهما ومواردهما البشرية والمادية، من أجل تبوء مكان في السيطرة على الشرق الأوسط ولتأمين إسرائيل وشغل الدول العربية والإسلامية عنها، وكانت هذه الدول تضع يدها على قلبها خوفاً من تغير في أسعار النفط يؤثر في الاقتصاد والصناعة الغربية !!

كانت أمريكا كعادتها تبحث عن مصالحها في المنطقة، وهي مستعدة لفعل أي شيء من أجل مصلحتها، حتى ولو كانت أحاديث رؤسائها وممثليها السياسيين تتكلم عن الحرية والديمقراطية والسلام، فمع بداية الحرب وقفت الولايات المتحدة موقف المتفرج الحيادي خصوصاً عندما كانت العراق هي المسيطرة على الموقف، وعندما تغير الموقف العسكري لصالح إيران أنهت واشنطن سياسة الحياد المعلنة، وقررت دعم العراق دعماً كاملاً وشاملاً، فأعادت العلاقات الدبلوماسية المقطوعة مع بغداد في ١٩٨٤م، وأمدت العراق بمعلومات استخباراتية قيمة، ووفرت له مساعدات ومبيعات تكنولوجية وزراعية، وبدأت واشنطن في المناداة بقرارات مجلس الأمن الدولي الذي أدان إيران لهجماتها على ناقلات النفط في عرض الخليج.

كان الاتحاد السوفيتي حاله كحال الولايات المتحدة، وكان يهدف إلى إطالة أمد الحرب، لأن هذا يخدم مصالحه في شراء البترول وبيع الأسلحة، ولكن مع تفوق القوات الإيرانية على العراقية ودخول القوات الإيرانية العراق سلك الاتحاد السوفيتي نفس المسلك الأمريكي،

وبدأ في دعم العراق، وبدأ العراق في توقيع صفقات الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي واشترى منه صواريخ متوسطة المدى، كما أنها قامت بتمويلها باقي سنوات الحرب خصوصاً مع الوفرة المالية العراقية نتيجة عائدات البترول ومساعدة الدول الخليجية..

وتدخلت عدة دول غربية من بينها بريطانيا وفرنسا، وأمدت العراق بالأسلحة والمعدات العسكرية، وهكذا هم الغرب يشعلون نيران الحروب بين الدول لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب والمصالح، بينما يخرج حكامهم وقادتهم على شاشات التلفزيون يتحدثون عن السلام والديمقراطية والأمان !!

ولما طالت الحرب، ودمرت ما دمرت تدخلت أمريكا وفرنسا مباشرة لحسمها بدءا من معركة تحرير الفاو ثم مشاركة الطيارين الفرنسيين في قيادة طائرات الميراج ٢٠٠٠ وقصف أهم المنشآت الإيرانية، وتدخل الأسطول الأمريكي لمرافقة ناقلات النفط الكويتية رافعة العلم الأمريكي، وضرب منصات الصواريخ الإيرانية وأرصفة شحن النفط الإيراني، ثم جاءت الضربة المعنوية متمثلة في إسقاط البحرية الأمريكية الطائرة المدنية الإيرانية التي قتل فيها حوالي ٣٠٠ مدني إيراني.

خلاصة القول: إن الثورة الإسلامية شهدت حصارا دوليا غير مسبوق في العلاقات الدولية، فلم تتمكن من شراء الأسلحة إلا بشق الأنفس، وكان من المدهش مشاركة البلاد العربية للحصار الدولي بداية التحالف العربي ضد قوى المقاومة التي تقودها الجمهورية الإسلامية، والغريب إن الإعلام العربي روّج وما زال يروّج للخوف من الشيعة والنفوذ الفارسي، وكتب الكتّاب وألف المؤلفون عن الخطر الإيراني والتمدد الإيراني، وما زال هذا النهج مستمرا، وهذا يؤكد على أن المسار الثوري للجمهورية الإسلامية هو السائد، وأن ميراث الثورة لم يتبدل أو يتغير.

٢. مرحلة الاستقرار والأعمار والصمود والحصار المستمر

إن انتهاء الحرب أفسح المجال أمام النظام الإسلامي في إيران لانتهاج طريق الأعمار والبناء، لذلك فإن الإمام الخميني الراحل أوكل إلي لجنة خاصة مهمة مراجعة السياسات العامة والأساسية للبلاد، لإعادة النظر في الهيكلية والبنية الاقتصادية للبلد، وفي هذه الفترة كانت وسائل الإعلام العالمية تزعم أن الأمام الخميني قد تخلي عن مبادئه الثورية بقبوله قرار

وقف إطلاق النار، وأن إيران تتجه لعقد اتفاقية سلام وانتهاج إستراتيجية جديدة مع الدول الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية، بيد أن رفع صور الأمام الخميني الراحل في التظاهرات الجماهيرية التي شهدتها جمهورية أذربيجان قبل استقلالها من الاتحاد السوفيتي السابق، زاد في حيرة واستغراب المراقبين السياسيين، وبعد هذا الحادث بعث الإمام الخميني الراحل رسالته التاريخية لميخائيل جورباتشوف حيث بين فيها فشل النظرية الماركسية ومتوقعا انهيار نظام الاتحاد السوفيتي، ومحذرا جورباتشوف من أن مواصلة التمسك بتطبيق النظرية الماركسية ستكون عاقبته السقوط، إضافة إلي ذلك، فقد دعا الإمام الخميني جورباتشوف لتفهم المعارف والقيم الإسلامية، وأن هذه الرسالة التي عبرت بقوة عن ثقة الإمام العالية بنفسه ورؤيته المستقبلية، قد تركت آثارا عميقة في العالم الإسلامي.

وبعد مضي بضع سنوات وانهيار الاتحاد السوفيتي، أعاد الكثير من المراقبين والخبراء إلي الأذهان ما توقعه الإمام، وتحليله الصائب حول مستقبل الاتحاد السوفيتي.

لقد تمكنت الجمهورية الإسلامية من بناء قوتها ذاتيا على كل المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، رغم الحصار المستمر عليها حتى اليوم، ولكنها أيضا تسير بخطى واثقة نحو تحقيق آمال الأمة في غدها المنشود، وما البرنامج النووي السلمي الإيراني إلا نموذجا من التحدي للحصار الظالم على الجمهورية الإسلامية، وهو ما ؤكد أن دلائل دولة التمهيد توجد في أركان الجمهورية الإسلامية.

المحور الرابع: قواعد التمهيد في فكر الثورة

ومن ضمن علامات التمهيد الموجودة في الدولة الإسلامية الإيرانية، هو الاستعداد للعدو الصهيوني والقوى الاستكبارية، وذلك من خلال التقدم العلمي الاكتفاء الذاتي من الغذاء والدواء، أي القدرة الاقتصادية، هذا بالإضافة للقدرة الإستراتيجية، أي أن الدولة التي قادها رجال الدين، كانت ومازالت حافزا على التقدم العلمي والنهضة المبشرة، هذا طبعا بالإضافة إلى الاستقرار والعدل السائدين، وكذلك النهج الثوري، وذلك هو ما يشكل الخطر الأكبر على الكيان الصهيوني.

إن مصدر التهديد الإيراني على الكيان الصهيوني ـ كما يراه قادة الكيان الصهيوني ـ لا يعود في حقيقة الأمر إلى التسلح النووي الإيراني الراهن في حد ذاته، بل يعود إلى اجتماع

عدة عناصر أخرى، تراها إسرائيل في غاية الأهمية، وهي:

- القاعدة الثورية
- القدرة الاقتصادية
- القدرة العلمية

١. القاعدة الثورية

إن أكثر ما يخشاه العدو الصهيوني والقوى الوالية له، هي تلك العقيدة الثورية لدولة التمهيد، وهي العقيدة التي تمثلها الجمهورية الإسلامية بصورة فريدة، حيث مازالت العقيدة الثورية تمثل الخط الأساس الذي يوجه حركة الجمهورية الإسلامية، وهي عقيدة الانتظار الثوري أيضا، حيث إن العقيدة الثورية في الثورة الإسلامية تشكل رافدا مهما من روافد التصدي للمشروع الأمريكي، أي تشهد حالة من التمهيد الثوري ضد الظلم انتظارا للموعود، وتمثل الحالة الإيرانية تمازج بين الانتظار والثورة، والتمهيد والبعث في آن واحد، ويبدو للوهلة الأولى أنه هناك ثمة تنافر بين مفهومي الثورة والانتظار على المستوى اللغة والفعل، فالثورة تعني الحركة والاندفاع والتفاعل الشديد بين الموجودات، مما سيسمح بظهور نتائج آنية سريعة، وأخرى تحتل مساحات زمنية تتباعد أو تتقارب، حسب قوة الاندفاع الخارجي لمادة الحدث، فالثورة في مفهوم البعض بركان يلقي بمادته للخارج باندفاعات غير مترابطة وقد تبدو عشوائية.

والانتظار بالمقابل مفهوم عام يوحي بالارتخاء والكسل، وقد يكون مبعثا للملل، وسيظن البعض أن نتائج الانتظار غير مجدية، لأنها غير معلومة للأفكار، وغير مدركة بالأبصار، هذا التصور الخارجي لمفهومي الثورة والانتظار يمثل الكثير من القصور الإدراكي لهذين المفهومين لأنه يطرح فكر سلبي محدد يغلب عليه الاتجاه المادي، فعندما يتم تفسير الثورة وفق الأطر المادية ستكون هذه الثورة محدودة الإمكانات والنتائج، بل إنها ستفقد أية قيمة مستقبلية، لأنها ستركز في مساحة الزمن الآني، وهي بالتالي ستصبك كرصاصة انطلقت في الفراغ دون هدف، وبالتالي يمكن أن تقتل بريئا، في حين أن الثورة ذات الأصول الرسالية، تتوخى تحقيق غايات عادلة باعتبارها تقيم علاقة مع المستقبل والآتي، فالآني بالنسبة لها كالجذر الأولى للنبتة وهي تتطلع نحو الثمار بشكل دائم لتحقق الاستمرارية في الوجود.

إن الانتظار كمفهوم يحقق الغايات الرسالية عبر رؤيا مستقبلية تعني عدم الاستسلام للواقع الآني والخضوع له، فالانتظار في الفكر الإسلامي هو الاستعداد الدائم لمواجهة الحدث، باعتبار أن الإنسان جزء أصيل ومؤسس لحركة التاريخ، فالإسلام ينفي عن الانتظار الفكرة الطوباوية أو المثالية المجردة، كما إنه ليس هروبا من ظلم الواقع الحالي، فهو ليس حلم أو فكرة استقرت في ذهن المظلومين عبر تراكمات حركة التاريخ، بل حقيقة تستند إلى مرجعية إلهية، فمرجعية الانتظار هو وجود زمن آتي تتحقق فيه الغايات، وقد تمر أجيال عديدة دون أن تشهد هذا الزمن، لكن ذلك لا يعني انتفاء وجوده أو عدم حدوثه في المستقبل.

إن الانتظار انتظار للثأر كما هو انتظار لتحقيق الغايات الإلهية، انتظار للدولة الإلهية التي لم تتحقق حتى في ظل الإسلام الرسالية الأول، فقيمة الفكر الإسلامي بشكله النهائي تتحقق في المستقبل، باعتبار أن الفكر الإسلامي فكر مستقبلي، وهو الفكر الخاتم، فلا مستقبل خارج الإسلام، ومن خلال هذا الطرح نجد أن الاستعداد الثوري في الحالة الإيرانية يؤكد أنها دولة تمهيد، خاصة إذا علمنا أن من ضمن أعمال القائم عليه السلام مقارعة الصهيونية الظالمة، وهو ما يخشاه زعماء الصهيونية والاستكبار العالمي ومعهما بعض النظم الموالية لهم في دول المنطقة .

٢. القدرة الاقتصادية

بالإضافة إلى مصدر الخطر الثوري الذي تمثل الجمهورية الإسلامية على قوى الشر الصهيونية العالمية ومعها الاستكبار العالمي، هناك مصدر خطر آخر لإسرائيل، وهي القوة الاقتصادية الإيرانية، وما توصلت إليه من اكتفاء ذاتي حقق لها استقلال سياسي غير مسبوق في تاريخها أو تاريخ دول العالم، ذلك أن إيران لديها من الموارد الاقتصادية الكبيرة والمتنوعة: النفط، الفحم، الغاز الطبيعي، خام الحديد، الرصاص، النحاس، المنجنيز، الزنك، الكبريت . وبالتالي، فإيران تجد الكثير من مصادر القوة، لتعبر عن نفسها من خلالها.

فهناك القدرة المالية العالية بوصفها عاملا اقتصاديا قويا ناشئا، ليس ذلك فحسب، فإيران تقبع فوق احتياطات نفطية ضخمة، ناهيك عن ارتفاع أسعار النفط الهائلة رغم عودة

انخفاضها، وهو أمر يتيح لإيران إمكان توظيف تلك العائدات والإمكانات الاقتصادية الضخمة لبناء قوة عسكرية جبارة، وتمويل جماعات المقاومة ضد المشروع الصهيوني. وبالتالي تصبح تلك الأموال معززة للايدولوجيا الثورية، خاصة وأن الجمهورية الإسلامية تكتفي ذاتيا، رغم الحصار الشديد المستمر منذ نجاح الثورة وحتى اليوم، وبالتالي تزيد من حدتها وعنفوانها، وبالتالي استخدامها ضد الكيان الصهيوني.

٣. القدرة الإستراتيجية العلمية

منذ الثورة قامت إيران الثورية بالسعي نحو التقدم العلمي، والاكتفاء الذاتي علميا وتكنولوجيا، وهو اعتبره سماحة آية الله السيد علي الخامنئي أبرز معالم اقتدار إيران الإسلامية، حيث قال: إن اليوم الذي يشهد فيه الشعب الإيراني إغلاق آبار النفط سيكون يوما سعيدا، وأعرب سماحته عن أمله بأن تبلغ الجمهورية الإسلامية الإيرانية مرحلة من التطور يجعلها تستغني عن عائدات النفط من خلال الحصول على الثروة عبر التطور العلمي. واعتبر آية الله الخامنئي الحصول على العلم إحدى الوسائل التي يمكن من خلالها بلوغ مرحلة الاقتدار الوطني، مؤكدا أن تقدم العلم والتقنية يعتبر اليوم من أهم العوامل الأساسية لقوة إيران.

وتطرق آية الله الخامنئي إلى الحركة العلمية والنهضة التي شهدتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مجال إنتاج العلوم، وقال: إن شعبنا حقق تقدما كبيرا للغاية، إلا أن عليه عدم القناعة بما هو عليه الآن.

وشدد على إن كل هذه الانجازات العظيمة التي حققتها إيران الإسلامية، إنما تعود إلى الإفادة من الطاقات الداخلية، ودون الحصول على مساعدة أجنبية، وأضاف قائلا: إن الشبان الأذكياء استطاعوا إلى جانب مظلوميتهم ووحدتهم إرواء شجرة العلم، عبر الاتكاء على الذات والقيم الوطنية.

علامات دولة التمهيد في الجمهورية الإسلامية

بعد أن ذكرنا الأدلة العلمية عن أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تمثل دولة التمهيد للإمام الغائب سلام الله عليه، نورد هنا بعض الأدلة الدينية المستقاة من علم النبي الأعظم وأهل

بيته عليهم السلام، وهي كما أوردها الشيخ علي الكوراني، ولكننا نقصر الحديث على دلالات تخص الجمهورية الإسلامية في علامات الساعة، لأن مساحة الدراسة لا تتسع بأكثر منها، فنقول: إن من العلامات الكبرى ما يتفق مع الأحداث التي تمر بها الجمهورية الإسلامية، ومنها ما يلي:

١. اجتماع اليهود في أرض فلسطين

من يراقب الأحداث السياسية، يجد أن اليهود فزعين مما تقوم به الجمهورية الإسلامية، وكما قلنا في هذا البحث إن الفزع الصهيوني ناتج عن التقدم العلمي والروحي العرفاني، والمسلمون متيقنون من أن حربا ضروسا سوف يخوضونها ضد الصهيونية، ويكون القائم المهدي هو القائد، ودولة التمهيد تساعد على سرعة الظهور، وهو ما نراه جليا في الأحداث المتتالية، وفي الإطار الديني نجد مصاديق ذلك، يقول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً**﴾.[1]

ويقول أيضا: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً، إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرا**﴾[2].

وتشير الآيات إلى أن وقت ظهور الإمام يكون فيه اليهود مجتمعين ومسيطرين على المسجد الأقصى، لأن عملية الدخول سوف تكون بالقوة، إلى المسجد دخول الفاتحين.

أن قبل الظهور مباشرة توجه ضربات للصهاينة في فلسطين "ليسوؤوا وجوهكم" أي أن هناك ضربات مؤلمة ومذلة سوف يتعرض لها الإسرائيليون قبل الظهور من قبل العمليات الناجحة للمقاومة في لبنان و فلسطين.

ومن المعروف في الروايات الإسلامية والمتفق عليها عند الطرفين أن المسلمين سينتصرون

---

١. سورة الإسراء، آية ١٠٤.

٢. سورة الإسراء، آيات ٤- ٧.

في المعركة الأخيرة، و سيكونون بقيادة المهدي عجل الله فرجه الشريف

إذاً هناك أربع إشارات تشير إليها الآيات :

١. اجتماع اليهود في فلسطين المحتلة "جئنا بكم لفيفا" و قد تحققت .

٢. احتلالهم للمسجد الأقصى و القدس " وليدخلوا المسجد" و قد تحققت .

٣. "وليسوؤوا وجوهكم" ضربات موجهة من المقاومة قبل التحرير وقد تمت هذه الضربات وهي مستمرة حتى الآن .

٤. قيادة الإمام المهدي للمسلمين في هذه الحرب... وهذا ما ينتظره الآن المسلمون: ظهور الإمام المهدي لقيادة الجيش الإسلامي .

٢. العلامة الثانية الكبرى ... خروج رجل من قم

وهو رجل من قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد لا تزلهم الرياح والعواصف، لا يملون من الحرب، ولا يجبنون وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين[1].

وتنطبق الرواية على الإمام الخميني الذي خرج من قم يقود ثورة منذ العام ١٩٦٢، وعبرت الرواية (رجل من قم) وليس من أهل قم، لأن الإمام الخميني من خمين ولكنه من سكان قم، وبأنه تواجهه رياح وعواصف الصراع من الشاه ثم الضغوط الأميركية والعالمية، ثم الحرب ضد نظام صدام حسين وحلفائه العرب والروس والغرب، ومعه رجال قلوبهم كزبر الحديد، هم المناصرون الموالون لأفكار الإمام والذين وقفوا أمام الشاه وانتصروا ثم أسسوا الحرس الثوري للحفاظ على الثورة الإسلامية في إيران، وهم مستعدون للتضحية من أجل الإسلام والثورة وقائدها، وهم أهل خراسان وأهل قم الذين ذكرتهم الروايات، الذين يقيمون دولة تمهد للمهدي، وتكون دولتهم ممهدة للظهور .

٣. العلامة الثالثة الكبرى .. قوة عسكرية وإعلامية للإمام قبل الظهور ..

في تفسير قوله تعالى (بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) عن الصادق عليه السلام: "قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً (أي عدواً) لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا قتلوه" . روضة الكافي

١. بحار الأنوار، للمجلسي، ج ٦، ص٢٩٦.

وهذه الأحاديث تدل على أن التمهيد له عليه السلام يكون بقوة عسكرية وإعلامية عالمية، وأن هؤلاء القوم إن كانوا في إيران كالحرس الثوري، ويقاتلون الأمريكيين أعداء الإمام بالدرجة الأولى، ويعاونهم جيش المهدي الذي يمهد للإمام في العراق، ويحارب أيضاً أعداء الإمام، أو حزب الله في لبنان الذي يقاتل أعداء الله، والأنبياء والرسل، وحتما أعداء الإمام المهدي، وهم اليهود، لمؤشر كبير أن ظهور الإمام ربما بات قريباً.

٤. العلامة الرابعة الكبرى .. تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران

"المهدي مبدأه من المشرق"[١]، أي تبدأ عملية الظهور من المشرق، من قبل بلاد فارس. "تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء القدس"[٢] وهي تشير إلى أن الجيش الذي ينطلق مع الإمام يبدأ تحضيره في إيران، ويكون هو الجيش الذي يتوجه مع الإمام إلى القدس.

وفي حديث عن الباقر عليه السلام: كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا... ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم (أي المهدي عجل الله فرجه) قتلاهم شهداء... أما أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر (أي المهدي عجل الله فرجه)[٣] ومن المتعارف عند رواة الحديث أن رايات المشرق هي من إيران لكثرة الأحاديث التي تسميهم بالاسم، بأنهم أنصار الإمام في آخر الزمان، ومن الواضح في الرواية أن هؤلاء القوم يمهدون لدولة مهديهم عليه السلام، وأنهم يسلمونه رايتهم و بقيادة الإمام لهم يملئون الأرض قسطاً وعدلاً.

ومن الواضح أيضاً أن حركتهم تواجه عداءً من العالم وحرباً، وأنهم يطلبون الحق بأن يحكموا بلادهم وفق الحكم الشرعي الإسلامي فيحاربونهم لمدة ثماني سنوات، ثم يريدون إعمار بلدهم فيحاصرونهم اقتصادياً، ثم يستقلون اقتصادياً ويريدون التطور، والاكتفاء الذاتي فيحاصرونهم سياسياً، وينشرون عشرات القواعد حولهم عسكرياً حتى يتم

١. مسند احمد وسنن الترمذي والبيهقي في الدلائل.

٢. الملاحم والفتن، ص٤٣.

٣. البحار، ج٥٢، ص٢٤٣ – ٣٤٣.

استفزازهم، وممكن بحسب الرواية مهاجمتهم (فضيعوا سيوفهم على عواتقهم) يحشدون جيوشهم و يتوجهون للحرب، ولا يقبلون بأي شرط حتى يدفعوا الراية إلى إمام زمانهم .

٥. العلامة الخامسة الكبرى .. العمائم السود يقاتلون أعداء الإمام قبل الظهور ...

لعل من أكثر الأمور غرابة أن أهل بيت النبي الأكرم كانوا ومازالوا هم قواد الثورات في كل البلاد، صحيح أن معظمهم لم يكن حاكما، ولكنهم ثوار ضد الاستعمار، فالنسل الشريف هم قادة الثورة الكبرى، وهم الذين قادوا الثورة الإسلامية الكبرى في إيران، وهو ما يعيدنا لأقوال الأئمة، فعن أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: " إذا ظهرت راية الحق، لعنها أهل الشرق وأهل الغرب ! أتدري لم ذلك ؟ " قلت: لا، قال: " للذي يلقى الناس من أهل بيته"[1]، ومن الواضح أن الذرية المباركة من بني هاشم سيكون لهم دور سياسي كبير ومميز في العالم الإسلامي يزعج العالم بأجمعه في الشرق والغرب . كما سيكون لهم من النفوذ والقوة، ومن الواضح أن هذه العمائم السود التي هي من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم تطلب الحق، وستزعج العالم لأنها لا تستسلم كالآخرين، وكأن رأيهم واحد، فهم من مدرسة واحدة، وهي مدرسة أهل البيت عليه السلام التي تعلمهم هيهات منا الذلة، فتسلم الراية للإمام المهدي في آخر الزمان.

تلك بعض الأدلة التي تؤكد أن الجمهورية الإسلامية هي دولة التمهيد للإمام المهدي عليه السلام، وقد أثبتنا ذلك بالأدلة المادية، وهي ما تقوم عليه دعائم الجمهورية الإسلامية، من حيث إقامة العدل، ثم الأخذ بالأسباب العلمية، وهناك أيضا دليل حيوي على ديمومة التمهيد للظهور المبارك، وهو السعي الدائم للتوحيد بين المسلمين، من خلال التقريب بين المذاهب الإسلامية، فقد أسس الجمهورية الإسلامية المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والذي ينعقد سنويا عند الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كل عام، والمجمع لا يتبنى أي رؤية داعية لدمج أي مذهب في أي مذهب آخر، ولكنها تقوم على أسس أن المسلمين أخوة وأن الذي يجمعهم أكثر بكثير مما يفرقهم، وهو ما يحسب للجمهورية الإسلامية، وهو ما يؤكد أنها سائرة على درب التمهيد للإمام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف...

---

١. الغيبة للنعماني، ٢٩٩.

خاتمة: عن دولة التمهيد في الجمهورية الإسلامية

مما سبق يتضح أن الدولة الإيرانية الثورية تمثل مرحلة هامة من مراحل التمهيد لظهور القائمعجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو ما نراه واضحا في الخوف المستمر من الغرب، ومحاولة الاستعمار تجييش العالم كله ضدها، ومن تلك الدلائل محاولة الاستعمار الصليبي من تخويف العالم من الشيعة، واستغلال علماء طائفيين للحصول على فتاوى ضد الشيعة عموما، وذلك من أجل التمهيد لضرب الثورة الإسلامية وقواعدها، ومن أجل تناسي الصراع الصهيوني مع الإسلام، وعموما نجد أن التمهيد الذي تمثله الجمهورية الإسلامية قد لا يعني اقتراب النهاية في المستقبل المنظور، ولكنه أيضا يعني اقتراب نهاية الأرض أو نهاية البشرية ـ في المستقبل غير المنظور، وعلم هذا عند الله سبحانه وتعالى ـ أو نهاية التاريخ، ولأن الأمر كذلك فلابد أن يستمتع الإنسان بالعدل والرخاء الاقتصادي، بعد أن عاش دهورا في دياجير الظلم والظلمات، وأهم من كل ذلك، هو أن يعبد البشر الله سبحانه وتعالى بالطريقة المثلى، بعيدا عن الانحرافات أو بعض الانحرافات العبادية في السلوك البشري، ولا يقوم ذلك إلا بناء على التصور الإسلامي، الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما يمثله المهدي الموعود في زمن الظهور، وما يكرس هذا المفهوم، هو التأكيد على أن الموقف الإسلامي من التاريخ يناقض الفلسفات الأخرى في تفسيرها لحركة التاريخ، باعتبار أن الفكر الإسلامي يفسر حركة التاريخ من موقف الغائية، فالتاريخ في المفهوم الإسلامي يسير نحو غاية واضحة، والتي هي تحقيق خلافة الإنسان على الأرض، والتشبث بالخط الرسالي، لا يمكن تفسيره باعتباره رجوعا إلى الماضي بالمفهوم السوسيولوجي لهذه المفردة، بل باعتباره حفاظا على التواصل مع الله، وذلك عبر الخط الامامي العصموي.

لقد شكل الصراع جزءا أساسيا من حركة التاريخ، والإسلام كعقيدة حضارية جاءت لتعيد تنظيم العلاقات الإنسانية فكريا وحضاريا ونفسيا، وقد واجه بلا شك تحديات عديدة، وخاض صراعات متباينة، عكست في الكثير من الأحيان شكل النزعة العدوانية عند الأطراف الأخرى في ردها على تجليات العقيدة الإسلامية، لكن الموقف الإسلامي من الصراع لم يكن سلبيا، بمعنى انه ينتظر ضربة السيف وطعنة الرمح، ليقرر بعدها أشكال الرد ونوعيته زمانا ومكانا، وصحيح أن العقيدة الإسلامية في الحرب لم تقم على أساس البدء في

شن المعركة، لكنها لم تكن في ذاتها تحمل فكرة التخاذل، وهي تنطلق بذلك من مقولة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام "هيهات منا الذلة"، والبحث الفلسفي في تفسير هذه المقولة يصل إلى تحديد القيم التي من ورائها، فالشريعة الإسلامية تحترم طبيعة الحياة، وتضع قيمتها بالمقام الأعلى، كما أنها تتخذ موقفا رساليا من قيمة الإنسان باعتباره مخلوقا وجد لإدارة الحياة وفق المنطق الإلهي، ولهذا فان القتل وإنهاء الحياة مقنن وفق الشريعة الإلهية، ويجب أن لا يتم إلا وفق نفس المنطق الإلهي الذي حدد قيمة حرمة الحياة، الحياة التي أرادها الله للإنسان ليحياها بالمنطق الرسالي، دون أثرة أو نرجسية، فالحياة الدنيا للإنسان هي مرحلة أولي في درب الخلود الروحي في الآخرة، وتلك القيم هي التي تمثلها الجمهورية الإسلامية خير تمثيل على ارض الواقع، ولذلك فهي مستهدفة من قوى الأرض المستكبرة، حيث يخشاها كل متكبر جبار، يعيث في الأرض فسادا وكبرا، ولكن نقول كما قال الله تعالى: " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين "، نعم العاقبة المتقين، لا للمستكبرين الظالمين، وصدق الله تعالى العلي العظيم.

وجهة التاريخ والإنسان نحو الخلاص الكوني

الدكتور جويده غانم

مقدمه

لم يكن بالإمكان أن تظل الإنسانية الحقة مشوهة في صميمها القدسي، أو في صميمها التاريخي، أو في صميمها الثقافي، ولكن حتمية التنازلات التي توجهها تلك الصراعات العنفوية، وارتباطها الدائم بالعدوان والتدمير والخوف والتستر ضمن شعارات موهومة كان الغرض منها هو بناء وتصميم خارطة ثقافوية ومركزية جيوبوليتيكية يتحدد بموجبها إلغاء الآخر أو إخضاعه لفلسفات وسياسات هذا المركز الذي سعى دوما في تملك جميع العوامل وذلك بخرق قوانين وتعطيل الإرادات وتكوين صور نمطية وتعكس ما يراد تحقيقه، في مبدأ التحقق الذي يكيفه عبر مصلحته البراغماتية مستندا إلى دواعي التاريخ وهرمنيوطيقاه الخاصة المشحونة بأساطير غيبية دافعة إلى تحقيق ذلك الحلم بامتلاك كل العالم، وطبعا كل العالم مهما تعددت أعراقه وألوانه.

ليس الغرض من كل هذا هو تجميع المسكونية في وحدة من السلام والأمان والسعادة والتعايش وإنما الغرض التجميع هو سحقها وإلغائها من خارطة الإنسانية عبر منافذ مختلفة من وسائل الإعلام إلى كتابات المنظرين والمفكرين، إلى حقول الثقافة وتطبيقات رجال الساسة، وتكتيكات جنرالات الجيش والقادة.

هنا يحتوي يحضر التاريخ المضاد تاريخ المقاومة والمنازلة، تاريخ خلاص شعوب العالم القديم التي حققت مبدأ التمركز في عهدها الأول، الغرض من هذا الاستحضار والاسترجاع

هو إعادة التجربة بكل حذافيرها ولكن بشرط مراعاة عوامل العصر وتطوراته قصد وجدان الخلاص في رؤيته الكونية التامة والثاقبة التي تجنح إلى وضع محددات تحسم الجدل في منح كل الإنسانية إمكانات التقدم والديمقراطية والحرية، ومن هذا المنطلق يطرح التساؤل: ما طبيعة المحددات الخلاصية في الرؤية الكونية الخاصة للثقافة المهدوية ؟

إنسانية الصراع حول مبدأ التحكم

إن الإنسانية اليوم قد ظلت سواء السبيل وقيمتها أن تصحح مسارات توجهها عبر مختلف النظريات التي استجلبتها من ماضيها القدسي كي تعتزم في هذه اللحظات الآنية إصطباغ نموذج جديد في المواجهة والتصدي لكل الأصنام السلطاوية المصدرة عبر سياسات وفلسفات قاتلة لاغية لوجودها، هذا الصراع يجعل مفهوم الإنسانية ينشطر إلى شطرين:

إنسانية انتهازية إرهابية لاغية لوجود الآخرين وبالتالي فهي انتهازية وحشية غضة وفضة.

إنسانية إنسانية تبحث عن الصمود وتأكيد الذات والبحث في هذا العالم عن مكانتها ومحور كينونته.

وإذا أردنا البحث عن مستقبل جمع شتات العالم علينا أن نبحث عن ذلك المعنى السام للوجود والزمان والإنسان وأن نرتفع بالحياة إلى أعلى درجات سموها، لأن إرادة القوة والثبات والتحول ستستجمع فيما بعد ويستحضر خطابا خاصا يكمن في استقطاب بمسارات تاريخية ونفسية مرتبطة أشد الارتباط بمبدأ التحقق الذي يحمل فكرا واعيا يراد منه أن يتمخض بنتائج أكثر واقعية يدرجها ضمن مشروع خاص، حيث يحول ماضيه القدسي إلى إنيات حاضرة، ومستقبلا ينطوي ضمن دلالات تقابلية بين الآنا والغير، اللذان يدخلان في علاقة تضايف لإعادة لحظات جدلية تتركب على مقاومة الذات لتجارب وصراعات مختلفة بحيث تستفيد منه فيما بعد لتصدير فلسفة خاصة جديدة في المواجهة والمقاومة.

إن الاعتبارات السابقة هي في حد ذاتها واقع أمر يؤكد لنا دائما أن مغادرة الحاضر أو الرجوع إلى الماضي يستدعي أن نأخذه في حد ذاته لأن العمل الماضوي يتحدد بضوء الأسئلة التي توجه إليه من الماضي نفسه كما أن هاته الأسئلة، ستنتظم في طريقة خاصة، تسترشد بها أنفسنا عبر فهمنا لهذا المستقبل وبالتالي يجب الإجابة عن السؤال الذي يكسف عن مستوى التجربة الإنسانية الذي لا يمكنها سوى تأييد وتأكيد الجملة التي تصفها باعتبارها سؤالا

يقتضي منها الاستدعاء والطلبية، كما أنه يكشف عن شيء يعطى لنفسه التمتع بحركية الإعطاء والتقدمية في الحدوث الذي يبرهن أن هذه البشرية قادرة على إحداث وحدة مجتمعية تنضوي ضمن محددات خاصة لنوعية الخلاص الذي ستتبناه فيما بعد، ويمهد بدوره إلى فلسفة تنجيم لمستقبل مشرق يتعين بالاستقلالية عن التبعية كما يتعين بمعايير العلم والتكنولوجيا، لأن القوة معرفة، والمعرفة قوة وسلطة وهاته المعرفة القوة، والسلطة، ستخضع السياسة المستقبلية إلى لغة سيادة خاصة، هي لغة السياسة الحديثة التي تلتزم بجملتها على أساليب في التوجيه والإقرار بمطالب الإصلاح والقضاء على الإرهاب المفتعل مهما كان نوعه وشكله.

في ضوء هذا الأمر، فإن عالمية الأفكار الخاصة والتي تريد الأطراف تحقيقها لإعادة مجدها الإنساني والتاريخي والمركزي ينبني على تفتيت خطط القوى العظمى، لكي تصبح دول الأطراف عظمى في الآن ذاته وهذا لا يتأثر إلا بالاستفادة من تجارب ودروس التاريخي أولا هذا ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية اليوم في فرض سيطرتها على العالم وذلك وفقا لنظريات خاصة نظر كل من ألفريد ماهان*، وهالفرد ماكيندر**، ونيكولاس سبيكمان***، ولكن ذكاءها اليوم جعلها تتخطى الخطأ التي وقعت فيه كل من بريطانيا باعتمادها على نظرية مهان التي تتعلق بدور القوى البحرية في السيطرة كما تجاوزت الخطأ الذي وقعت فيه النازية الهتليرية حينما اعتمدت على نظرية ماكيندر عن قلب العالم

* ألفريد ماهان ضابط بحرية أمريكية له أبحاث في التاريخ البحري وله كتاب عنوانه، تأثير القوة البحرية في التاريخ.

** هالفرد ماكيندر: قدم تقرير حول المركز الجغرافي للتاريخ وبين العلاقة بين جغرافيا الدول وجغرافيا الأقاليم ومن بين أفكاره:
- من يحكم أوربا الشرقية يحكم المركز.
- من يحكم المركز يحكم الجزر العالمية.
- من يحكم الجزر العالمية يحكم العالم.

*** نيكولاس سبيكمان: صاحب نظرية الريملاند بمعنى الحافة التي تضم أوروبا والشرق الأوسط والهند... تبنى أفكاره على ما يلي:
- من يحكم الإطار يحكم أوراسيا.
- ومن يحكم أوراسيا يتحكم في مصير العالم.

ومحوره، ولكن الطابع الانتقائي في الفلسفة الأمريكية جعلها تأخذ بطابع الانتقاء في السياسة والسيطرة أيضا، فأخذت من نظرية ماهان ونظرية ماكيندر ونظرية سبيكان وهذا ما نلاحظه في محاولتها المتكررة لبسط نفوذها كاملا على الخليج الفارسي بعدما استحوذ مشرعها البحري على كامل الخليج العربي ومضايقه، متبعة نهج الاستراتيجية المتحركة، بحيث تتحرك في كل مرة بصفة مختلفة، واستفادت من نظرية سبيكمان في إعطائها أهمية قسوة لمنطقة الرملاند[1] التي تشتمل على مناطق شبه الجزيرة وإيران والعراق، وأفغنستان والهند وجنوب شرق آسيا والصين وكوريا، وشرقي سيبيريا وحجتها في ذلك أن هاته المناطق كانت أكبر دول العالم، وقوى العالم في فترات زمنية ماضية كان لها النجاح أن تطوق العالم بإديولوجيتها وسيطرتها حيث وصلت إلى تولوز على الحدود الفرنسية غربا، التي كانت تحت لواء الفتوحات الإسلامية، والفتوحات العثمانية التي وصلت إلى شرق ووسط أوروبا، هذا ما دفع بسبيكمان إلى ضرورة منع هذه التجارب من التكرار داخل المناطق المذكورة أنفا كي لا تقوم أي قوة وأي سيطرة في مراكز العالم القديم ومن هاته الملاحظة ندخل في الموضوع من بابه الواسع على أن إشارة التخطيط للمستقبل يجب أن تفهم على أساس دقة التحكم في مصير شعب من الشعوب وهذا لا يتأتى لدول الأطراف إلا إذا استدعت تاريخ الماضي، لأنه هو الذي يمكنها من إدراك كنه الحاضر وتوجهاته المستقبلية كما لا يتحقق هذا الأمر إلا إذا أخضع إلى مقاييس خاصة تتحدد وفقا لمبادئ لفنون القيادة والتوجيه التي يستجليها علم النفس الاجتماعي لينقل مدارات توجه التاريخ والزمن ومختلف التشكيلات الثقافية من القوة إلى الفعل.

هرمينيوطيقا التاريخ والإنسان في مدار الفعل الكوني

ينبني هذا العنوان على نظريتين حددتها تلك المقاربات النفسية والثقافية والإنسانية لا نجد صداها إلا في تحليل عمقها من زوال الزوايا البينية وهي:

النظرية الوظيفية: (Functional Theory) التي تهتم بدراسة خصائص الجماعة وأهم المواقف التي تحتويها فلسفة القيادة من حيث تحريك الأهداف ودفع الجماعات نحو تحقيقها.

1.Rimland.

النظرية التفاعلية: (Interational Theory) وهي التي تعتمد على مبدأ التكامل في متغيرات القيادة كأن تراعي تنفيذ برامجها من خلال شخصية القائد والأتباع والجماعة من حيث بناء العلاقات الفردية وتنويعها واختلافها، ومراعاة لكل المواقف، وما يجدر من تغيرات مجتمعية ومحلية وعالمية ومدى التأثر والتأثير التي تقدمه هاته النظرية لتنفيذ برامجها وخطط الجماعة[1].

هذا ما يتوجب إعادة قراءة في الذاكرة الجامعية لتاريخ الأمم عبر توظيف كل قنوات الاتصال ومنافذ الثقافة لدى جميع شرائح المجتمع بكل طوائفه الدينية والإثنية، ومن ثم سنكون نحن استدفاع لمنهج ديمقراطي خالص يوقف مصلحة الفرد عند الحد الذي يتفق مع الصالح العام للمجتمع.

لأن الأمر يجرنا إلى الحديث عن اجتناب الخلافات في المجتمع الذي يتعدد فيه الدين واللغة والعنصر البشري إذا ما أريد تحقيق الخلاص بمعناه الاستراتيجي المستقبلي وهذا ما يحفز الدولة الباحثة عن السيادة والمركزية في التقليل من حجم الصراعات الناتجة عن تصادم الأفكار والأطروحات، وأن تأخذ هذا الصراع على أساس التعدد والاختلاف باعتباره سنة كونية داخل أي مجتمع، لا على أساس تصادم صراع دموي مسلح انتقاء عنصري (لأن استبعاد الآخر عقائديا ليس مجرد موقف معرفي نظري إنما هو موقف له وظيفته السلطوية، وهي الحفاظ على وحدانية المرجعية باحتكار المشروعية، النموذج العقائدي يقر للغير بأي مصداقية أو مشروعية لأن من شأن هذا الإقرار زعزعة سلطته العقائدية أو التشكيك بيقينية معتقده وأحقيته الأمر الذي يفقد مبرر دعواه ودفاعه)[2].

وإذا ما طلعنا حركة الإصلاح في أوروبا فإننا نجد الإخفاق الكبير في عدم امتزاج الأجناس فيما بينها وكذلك إذا ما إستقرأنا الحوادث التاريخية تذكرنا بالأعمال الشنيعة للولايات المتحدة في جنوب إفريقيا، وما فعله الجيش الصربي في البوسنة والهرسك ومناطق الجبل الأسود ودول البلقان الإسلامية، وما أحرزته لبنان في الثمانينات من تصدع في بنية مجتمعها لو لم يقضى التدارك لهذا الأمر، ونفس الأمر يستحق الحديث عنه في هذه الورقة عما يجري

١ . مصطفى زيدان، علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجمعية الجزائرية، دط ١٩٨٦، ص١٢١.

٢ . علي حرب نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط ٤، ٢٠٠٥، ص١٧٤.

في إيران اليوم من محاولة تفكيك قهرية لكل أنظمتها وأجهزتها التشريعية والتنفيذية ليس الغرض من هذا هو إعادة مفهوم الديمقراطية لهذا البلد، وإنما هو تفكيك جميع بنياتها واستغلال اختلاف طبقاتها السياسية والدينية لتفتيت شمل هذه الدولة قصد السيطرة على منطقة حساسة في الخليج الفارس، هذا الأمر سيقود حتما إلى إعاقة وشلل في جميع مؤسسات الدولة كما يعيق الائتلاف الفردي التعددي والامتزاج الديني الطائفي.

إن استفحال هذا التناقض داخل الدولة يجعل البنية الرئيسية لجميع تنظيماتها الإستراتيجية إلى الانهيار، وفلسفة القيادة تقتضي تحقيق الديمقراطية لجميع طبقات المجتمع وكيفية التحكم في زمام الأمور الداخلية لدولة ما، كفيل بتحقيق المركزية والخروج من قوقعة الطرف، ومن ثم بناء شعار الدولة الديمقراطية واستكماله في حضارة وثقافة، لأن طريق التعصب سيؤول إلى انشقاق ما، وتداركا لهذا الأمر، على الدولة أن توجه إدراكاتها إلى النظر والتمعن لتلك الأديان الحية التي تنبه وتعلم بنيها على أن ينظروا إلى من يخالفهم لا بعين الاحتقار والمهانة مثلما يشهد واقعنا اليوم في كثير من أرجاء عالمنا الإسلامي بل ينظروا عليه بعين الاحتضار والارتقاء والرفق والمحبة كأعضاء عائلة واحدة، خالقهم واحد وقد تساووا في المصير والمآل[1].

وتظهر قيمة هذا القول في كون أن الكثير من النظريات الأمبريالية وما بعد الكولونيالية، تتوقف عليها باعتبارها نظريات فلسفية خاصة أولا، وعلى كونه تأثر في التظم الاجتماعية ثانيا، وعلى أساس أنها تمزق الوحدة الوطنية والإقليمية ثالثا، فالبحث لا يتعلق بالجانب النظري فقط وإنما بنتائج مترتبة آنيا ومستقبليا سيكون لها الأثر الأفضل في كثير من شؤون الحياة والعمران المدني والسياسي والاقتصادي، إن المجتمع الفاعل والقيادة الفاعلة هي التي تجنح إلى تحقيق القدوة والقومة الثقافية التي ترتبط في مثل هاته الحالات بفعالية المنتظم السياسي وبنجاح اتخاذ القرار الذي يؤدي إلى تعبئة في الموارد الإنسانية والمادية ومختلف الخطب الإديولوجية، لأن أمر التعبئة يتطلب تعاونا جماهريا واسعا تتحدث فاعليته عبر منافذ وشبكات المقاصد الديمقراطية.

---

١. نصيف نصار، نحو مجتمع جديد (مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي)، دارالطليعة بيروت، ط٤، كانون الأول، ١٩٨١، ص٢٤.

لازلنا لحد الآن نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة ونسينا الواجبات باعتبار الواجب يصدر عن مبدأ القانون، كما أنه يستلزم الانتقال إلى الوعي الخالص في التحقق العملي الذي يكتسي طابعا حسيا يتحول بعد ذلك إلى دافع محقق محكوم بالإنية الماضوية التي تسترجع بدورها تجربة الخلاص من إطارها العقدي إلى قطاعها الاستراتيجي الإقليمي المركزي.

لأن الشعور التاريخي هو النور الذي يوضح تاريخية الإنسان، و يتبدى في كل حياة يراد فيها إدراكه نحو العلو، أي إدراك جيد و حقيقي من خلال المواقف التي أوجد فيها محاولة الخروج عن كل الأنماط المفروضة عليه، إن العلو في ذاته هو ابتغاء تأويليا نحو تحقيق إمكانات و فرصا جديدة[1] تقتضي الوحدة بين التاريخي الماضوي، وبين الغنية الحاضرة والمستقبلية، والغرض من كل هذا هو، تحقيق الصمود و المواجهة مهما كان شكلهما، لأن البحث عن المركزية و الرغبة في عودتها ن لا يتأتى إلا بفقه خطاب العودة التاريخي الثقافي و الإنساني.

وعلى هذا المنوال فإن الاستعانة بالتاريخ سيضفي على الواقع صفة التجريد الذهني أكثر فأكثر، والمتأمل في التجارب التاريخية المختلفة يجد هذه الخاصية الشعورية المختلفة حاضرة بكل حذافرها، لكنها تحتاج إلى من يصقلها في الإطار النظري والعملي لتسترشد به الذات في مآزقها.

لقد أحرق طارق ابن زياد السفن وقال لجنوده العدو أمامكم والبحر خلفكم فأين المفر ! أي ليس هناك خيار ولا مفر من التقدم نحو ضرب العدو بأسلحته وسياسته، في عالم تعددت فيه الأطماع وتوسعت فيه المكاسب، ولذا يجب على طارق الحديث التعرف والعودة إلى طارق التاريخ، لأن طارق الحديث مازال مغتربا لم يستطع أن يمزق الزيف الذي تأطر داخل كينونته واحتبس فيه.

ولعلنا نلاحظ عدم القدرة لخلق أنفسنا من جديد، والحديث يجرنا إلى أن الحقوق تأخذ ولا تعطى لأن الحق ليس هبة أو هدية ولا غنائم تأخذ وتغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب، إنه الواجب الخاضع لعدل للوضع الاجتماعي المنبني على ارتباط قويم في السلوك النفسي والثقافي.

---

١. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المطبعة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤، ج٢، ص٦٣٧.

ومن هنا نتساءل ماالأنماط التي يمكن الكشف عنها في الزاوية التاريخية حتى نحقق اللحظة الكنطية إذا أمكن للعقل أن يعقل فلابد أن يفعل؟

هل نكتفي بمقولات المواجهة والتصدي أن نستدعي ترشيدات خاصة نابعة من التكوين الاجتماعي والسياسي المرتبط بالإنسان الحديث والمعاصر المستلب في بقعة جغرافية خاصة، مفضلا عدم الخروج عن قطعان الماعز، لفشله في خلقه لقيم خاصة تفتقد للعناصر العلمية التي تؤهله إلى تجاوز الإرهاصات السلبية ؟

إنه يفتقد إلى المخيال المستقبلي الذي يؤهله إلى نظم أمور في إطار زمنية خاصة لا تتعلق بالأوهام بقدر ما تتعلق بمشروع تعبوي خاص، يراع اندراجه في أن يضع حدا لبأسه وبأس العالم، والسعي نحو سعادة كل البشر، وفي هذا الصدد نستذكر نظرية **إدغار موران** الموسومة بنظرية المركب الملتحم التي كادت أن تغير أن مجرى الأبحاث الاجتماعية والفلسفية، حيث ساهمت في ظهور نزعة عقلانية جديدة ارتبطت بتقدم العلوم والمعارف على مستوى النظريات الفيزيائية والرياضية وانطبع هذا الجديد الفيزيائي والرياضي على الجديد الاجتماعي والإنساني، والهدف هو دراسة البنية الاجتماعية ليس في تطورها الذهني الفردي الطبقي، وإنما في دراسة دهنه الإدراكي، هذا الأمر يستطيع أن يوجد مفهوم المركب الملتحم الذي سيكون خارطة إدراكية جديدة في التنبؤ و الاستمرارية.[1]

وهذه العلاقة تتردد علينا في مجال الأفكار المطبوعة و الموضوعة التي ستبين مدى مستوى التقدم و التأخر في الاستعاب و المقاومة وكذلك الانجاز، فالأفكار المطبوعة: قد أثارت عواصف في تاريخ الإنسانية منذ أربعة عشر قرنا، فقلبت المجتمع الجاهلي رأسا على عقب .

في المجال المادي: ارتسام آثار جديدة ← نتائج اجتماعية جديدة ← موارد قديمة.

في المجال الثقافي: مقاييس كثيرة ← طرق تفكير جديد ← أنظمة جديدة ← مجتمع جديد.

في المجال النفسي والأخلاقي: خلق مراكز جديدة ← سموا ورفعة واستقطاب (مشورة الرسول صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي حول قضية حفر الخندق).

أما الأفكار الموضوعة: فهي التي بترت جذورها عن الثقافة الأم، الثقافة الأصل حيث لم

١. سمير أمين، مناهضة العولمة، ترجمة سعد الطويل، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٧٤.

تتمكن في التعبير عن أي شيء فمصيرها الاضمحلال والموت والفناء في سلبياتها التي أردفتها إلى سكونية جامدة لا تعرف الحركة ولا التغيير[1].

هذا ما تشهده اليوم أغلب بلدان العالم الإسلامي من اضمحلال وتنفس بالتفكير المنطقي لحل مشكلاتها ومحاربة أعدائها ولو رجعنا إلى التاريخ القديم لوجدنا إسهاماتهم في جميع الفروع المعرفية من فيزياء ورياضيات وفن وجمال وهندسة كان نتيجة الانصهار التام داخل المنظومة الحضارية الخاصة نتيجة لتفوق الأفكار المطبوعة، على الأفكار الموضوعة.

إن السؤال الذي ينتاب الإنسانية اليوم، وينتاب المجتمع الإسلامي بالخصوص هو كيفية تبادل الأدوار وإعادة إدراكها من جديد قصد قراءة التجارب الماضية وإعادة تأسيس المنهج المستقبلي للاستشراف على ضوءه وهذا لا يتأتى إلا بمجهودات تتأسس على عوامل فقه التحضر والشهود الحضاريين، فثمة الخلاص المعنوي والمادي والكوني.

إن واقع الخلاص يشير إلى تدارك وجهة رئيسية كونية خاصة على مستوى التاريخ على مستوى الإدراك الإنساني، و هذه الوجهة تتعلق بمرتكزات علم الاستشراف الذي يعلو على التاريخ وبواسطته يمكن أن نعيد النظر إلى جميع مركبات الثقافة البشرية في جميع تجلياتها، غير أن هاته النقطة غير موجودة لدى الإنسان الثالثي، لكونه ينظر لنفسه ككائن تاريخي متناهي، من زاوية واحدة فقط، ويفهم من زاوية موضوعه الخاص بالزمان و المكان المتواجد فيه فقط، و ليس بمقدوره أن يقف فوق نسبية و مطلقية التاريخ و يظفر بمعرفة خاصة عالمية، متقومة على أسس علمية في المنهج و الرؤية، وهذا هو منطلق الخلاص الحقيقي لا الزائف.[2]

هذه القضية تدعنا دوما إلى تكرار السؤال و تعميق طرحه بما يلي:

لماذا هذا التصور الناقص على مستوى التجربة الذاتية الخصوصية لفلسفة الدور التاريخي ؟

و لماذا هذا الإقرار الهزيل في إصدار الأحكام، و نحن ما زلنا على عتبة بداية الخلاص الكوني ؟

---

١. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم، دار الفكر، دمشق، دط – دت، ص٨٤ – ٨٥.

٢. عادل مصطفى، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، بيروت، دار النهضة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣، ص٣٠٠.

الإجابة هو أن المنظومة الغربية تسعى دائما إلى تفعيل ذاكراتها الإستشرافية القديمة و السعي إلى نشر نقاط بث خارج دائراتها المسكونية و المعرفية، ومن ثم تعكس ذلك الصوت أو الصدى في ذهنيات الإنسان فتولد فيه صدى محفوفا بالخوف والفشل يمنعه من إحياء لغة الحماس في حالة ما أريد إيقاظه وفقا للغة السيادة المطلقة على اللغة الدينية والفنية والأخلاقية، هذا ما دفعه أيضا لتطوير أدواته اللغوية للتشويش على صحوة الحماس الثوري الذي رافق الدعوة الخمينية قصد تبريد الخمينية[1] في جميع كياناتها.

وخبرة الغرب في هذا المجال مدفوعة إلى تحقيق كونية خاصة به نابعة عن مفهوم جديد لنظام عالمي جديد، الغرض منه هو المزيد من التفكك والانفصام في وحدوية* مناطق العالم المنخفض، والتخلص من هاته البنيات هو البحث والتنقيب عن طرق خاصة في الفهم والتأويل يستدعي في ذلك منطق الفلسفة العملية الذي يقوم على ميزة الاختيار الاحتمالي واختبار أفضله وأقربه إلى مبدأ التحقق وهذا ما أكده إدغار موران على أن نحلم ونوسع المخيال شريطة أن لا يبتلعنا الحلم وينسينا الهدف الأسمى باعتبار أن التاريخ يتعلق بدراسة الممكن واللا ممكن.[2]

إن الحديث عن هذا الحلم هو الحديث عن التاريخانية والعقلانية والادماج بينهما، باعتبارهما سلوكان فكريان لا ينفصلان البتة، لأن العقلانية هي جعل العقل حاضرا في التاريخ الذي ينظمه ويرتبه، وينسقه ويوجهه نحو دائرة الوعي واستكمال التجربة، كما يعمل على تحريكه في أصعدة النظر والتطبيق الفعلي، كما أن التاريخانية حاضرة في العقل، وتلهمه الدروس والعبر وتجعله من حين لآخر يراجع تصوراته ويفحص مبادئه، ويطور طرق

١. نظير جاهل، أوهام الديمقراطية، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط١، ١٩٩٨ م، ص٦ – ٧.

* لقد أقرت غولدا مائير وضعها لإستراتيجية خاصة محكومة بمخطط مستقبلي رسمت فيه خطتها العسكرية والسياسية لكي تظل الجيوش العربية مفككة إلى غاية ٢٠٢٥م، هذا على مستوى العسكرية، فما بالنا على جميع المستويات الأخرى ؟.

٢. عبد الله عبد الدايم، القومية العربية والنظام العالمي الجديد، بيروت، دار الآداب، ط١، ١٩٩٤م، ص٧٤.

إبداعه وإنتاجه.[1]

وبالعودة إلى الحقل التراثي فإن الاستنجاد به في مثل هذه الظروف واجب، وذلك عبر تطويعه وإحياءه ضمن طوباوية خاصة، لا تعيقنا على الحركة بل تدفعنا إلى تحقيق المشروع النهضوي الذي لاحظناه في مخيال الكثير من المفكرين والمجددين، وهنا تكمن الرؤية الحداثية للخلاص الذي يستجمع مختلف الأواصر التي تربط أبناء الوطن الواحد.

الثقافة الخلاصية في الخطاب الوطني

ولأن خطاب التاريخ هو خطاب وطني، والخطاب الوطني هو خطاب إنساني، والخطاب الإنساني هو خطاب خلاصي، فإن هذا الأخير يهدف إلى بناء وحدة الهوية وحمايتها، كما أنه جواب موجه إلى كل الاستفزازات التي تهدف إلى تذويب الشخصية الوطنية ومحو ملامحها، ولذلك فإن مقومات الخلاص التي هي مقومات الثقافة الوطنية ذاتها، تتحرك بمكانيزمات خاصة للدفاع عن عمق تاريخا والتدليل بحضورها الحسي بالرغم من محاولات طمسها وتشويهها.

كذلك تتمثل الثقافة الخلاصية عبر صور جديدة تساهم في تفكيك بنية الوعي اتجاه أنظمة الوصل والفصل المتعلقة بالثقافة السائدة على مستوى الجهوية الإقليمية الخاضعة لضغط أجنبي، الذي تجدر عبر منافذ كولونيالية إلغاء مفهوم الدولة الحديثة، الدولة الديمقراطية التي تساهم في حماية شعبها باعتباره قضيتها والإنصاف في بث القوانين الذي هو عقلها وإرادتها، والوئام المدني الذي هو صدقها وعافيتها والاضطرابات المدنية التي هي دائها واشتعال الحرب الأهلية موتها وانتحارها.

إن هذا الأمر يفرضه العقد السديد لكن الغريزة العنفوانية تحيزه لطرف ما بحكم أن منطق القوة هو الذي يتسلط، غير أن لهذه القوة محددات و مرجعيات خاصة طبعا للتوجه العقائدي و الفلسفي كما أن المعرفة الخالصة والعلم الخالص، وما دخل ضمنه من تقنية ودين وفلسفة ومجمل المحاور الثقافية هو أساس قيام الدولة وتشكلها كما أنها وسائل تعتمد عليها أي أمة في

١. سعيد بن سعيد، الإيديولوجيا والحداثة، بيروت، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٨٧، ص٧٧.

تحقيق خلاصها باعتبارها اساسا للهوية، كما أنها المكون الرئيسي الذي تتخذه من الدستور تشريعاته وأحكامه لأنها ذلك الروح والجوهر الذي يتفاعل مع المحددات الثقافية لتي لا تستطيع بدورها أن تختار جانبا واحدا في تشكيل كينونتها ومن ثم مواجهة الكينونات الأخرى، عبر التمايز والاختلاف.[1]

لا غرو في أن تكوين الدولة الحديثة – أي الدولة الديمقراطية – تبحث عن معنى عملي وعلمي يدفعنا إلى استعادة ماض خاص، نسخر له كل المجهودات لبحثه أو دمجه، لإصدار موقف يجعل التاريخ والتراث والإنسان يخاطبنا في كل لحظة وعبر محطات العقل الحر (الذي لا يجزع إذا رأى من الآراء ما يخالف المألوف فله المطلق الحق في أن يخلق من الأفكار الجديدة ما يستطيع، أما العقل المستعبد فهو الذي يرى صوابا كل ما له ماض طويل، وكل ما يبدوا اعتقاده سهلا، وكل ما هو نافع، وأخيرا كل ما ضحى من أجله فلا يود أن يتصور أن كل هذه التضحية ذهبت عبثا.[2]

ويستطيع القارئ لهاته المفاهيم والنمذجات أن يستقرأ الماهية الحقيقية للإنسان المقاوم، الإنسان القائد، الملهم والكاريزمي، الذي يواجه الآخر ويكون بذاته رأس الدولة الحديثة، وممثلها الشرعي، فينتقد كل تأخر ذهني للإدراك التاريخي الإقليمي التابع له، فضلا عن ذلك يستدعي تمثلا واضحا بالتاريخ الغربي بكل انتصاراته وانهزاما ته، ليغوص في البنيات المذكورة ويعيد توجيه آليات القراءة، فينتج خطابا جديدا يقوم على المشرحة النقدية التي تخرجنا من ذلك الفكر الغير القادر على تحويل ردات الفعل إلى أفعال معرفية خلاقة تساهم في إنتاج مقولات ونظريات تعيد بناءه من حيث الموقع، ومن حيث المطلب، ومن حيث الموقع، ومن حيث آلية الخطاب وصدقيتها.

وإذا لاحظنا أهوال الحرب وفظائعها في ظل الأنظمة الشمولية التي لم يستطع لا العلم ولا الإيديولوجيا ولا القانون الإنساني التصدي له وإيقافها، لذا نستخلص أن الاعتماد على الحقيقة والتقدم أو الثورة ليس كافيا لتحقيق مطلب الكونية والسيادة العالمية، ولقد تساءل

١. محمد السعيد طالب، الدولة الحديثة والبحث عن الهوية، مرجع سابق، ص١٧٧.

٢. عادل مصطفى، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مرجع سابق، ص٣٢٣.

فرونسوا ليوتار إلى أي حد ستظل الحكايات المشروعة الكبرى معدومة المصداقية في ظل الظروف السابقة والآنية ؟ ولكنه يجيب بنفسه قائلا : إن الحكايات السابقة لم يعد لها أي مصداقية، وما اقصده بالميتا حكاية، أو الحكاية الكبرى، هي تلك السرديات التي تضفي الشرعية على حدث ما، وانزوائها لا يمنع مليارات القصص الصغيرة والأقل صغرا في الاستمرار في لب نسيج الحياة اليومية.[1]

وهاته الحكايات والسرديات لها الدور الكبير في تثبيت الأجهزة الاستعمارية للغرب المتحالف، وخلق صور نمطية غير حقيقية التي يصدرها عبر مختلف الأجهزة.

إن الغرب يريد أن يجعل كل العالم أفغانستان، انطلاقا من أفغنة العراق، إلى أفغنة إيران، إلى أفغنة سوريا، إلى أفغنة كل العالم، تقصيا على رجال القاعدة، ونظام الطالبان على حد زعمه، والذي بإمكانه أن يلعب كل هاته الأدوار والأوراق هو الاستشراق السياسي القديم، (الذي لا يزال يملك قابلية فذة على إعادة إنتاج نفسه وأدواته ووظائفه في صورة ما بعد الاستشراق، الشرس العدواني المضلل، الذي لا يكاد أن يتوقف عن نشر الصور الزائفة عن العرب والمسلمين.[2]

والمتأمل في التجارب التاريخية من الزاوية النقدية يلاحظ مدى تطور هذا التنظير ومدى مساهمته في خلق مخيال جشع إستطاني، يستند إلى مخيال عقدي توراتي، تلمودي، أساسه الاستحواذ على العالم وجعله تحت مخالبه، ومضلته القانونية والسياسية، وفي ضوء هذا المستند يكون الخلاص الكوني لدى التجربة الغربية.

وإذا كانت هذه النضرة الاستيطانية تهدف لتحقيق خلاص خاصة بها، فأين خلاصنا نحن بالرغم ما نتعرض له من آلام واضطهاد وتصدع في جميع المستويات ؟

تلك هي أسئلة الأزمنة القديمة والحديثة، لا نجيب عنها في كليتها الآن ولكن سنتركها لمفعوليات الأحداث والوقائع، وتطور في الخطابات والمواقف، حين ذلك سيكون لنا الدور،

1 Jean François lyotard: le poste modern expliqué aux enfants edition Galilée, paris 1988 page 33 – 34.

٢. فاضل الربيعي، ما بعد الاستشراق والغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، مركز دراسات الوحدة العربية، ص١١.

وسيعود لنا التاريخ، وستكون لنا الريادة والقيادة في طرد الكولونياليات البيضاء والسوداء من جغرافياتنا الفكرية والإقليمية.

خاتمة

وعلى ضوء ما سبق فإن التوجه إلى بلورة كونية خاصة والترشيد لها، ينطلق عبر قنوات مختلفة للعقلانية وأطرها، التي يجب أن تتوفر في المجتمع المدني والذي يوزع بدوره هاته الأدوار في ثقافة خلاصية تحمل مقومات النهوض والصمود، المنبني على حسن التصرف اتجاه ما يطرأ من متغيرات على الساحة الدولية والإقليمية، وعلى الساحة الثقافية، والمذهبية الدينية، لأن فلسفة الخلاص باعتبارها فلسفة استشرافية مستقبلية، فإنها تقتضي تحيزا خاصا يمليه ذلك الماضي القدسي والحاضر الآني، والمستقبل المشرق بجميع إمكاناته وعطاءاته، في ضوء التحدي التي ترفعه وتتبناه فلسفة المواجهة، هذا ما يجعلنا نقر بما يلي:

- التوجه بكل إنفتاحية لفهم ذواتنا وذوات الآخرين، وفهم خطاب الغرب المعاصر، من خلال فهم خطابه القديم قصد تكسير اللغات التحكمية من طرف نظريات ما بعد العولمة وما بعد الحداثة.

- حسم الجدل حول مسألة التمثيل الديمقراطي داخل المجتمع لأن الدولة لا تستطيع أن تواجه الآخرين إلا إذا وعت حقيقة الديمقراطية في جميع الميادين ووزعت أدوارها على جميع البنيات الاجتماعية، ومن ثم اجتناب الموهومات السياسية، التي ستجرها إلى حرب أهلية داخل قطرها.

- يجب أن نفرق عن ماذا نتكلم وكيف نتكلم، وعلى أي أساس نتكلم لنطالب بمشروعية النضال والتحدي، المنطلق من ثقافة واسعة، ثقافة الماضي والتاريخ المجيد، وثقافة التاريخ الحاضر وفقا لمنطلقات إيديولوجية تحافظ على سلامة الإقليم.

- استرجاع الماضي وكيفية توظيفه في معالجة الأزمات بعين حاضرة، وعين مستقبلية واعدة.

- احترام الخصوصيات وإيجاد فلسفة خاصة لمواجهة النزاعات الداخلية والخارجية وضرورة فرض ما يأمن هذا الاحترام وفقا لتعدد المعايير المرتبطة بثقافة الإدراك والاحتياط

للخارج، وثقافة المسامحة والتعددية في الداخل، ومن ثم تتحدد شروط وكيفيات وسمات الدولة والمجتمع المدني الذي يؤسس لفلسفة خلاصية كونية عالمية يميزها الدين والثقافة والمصير المشترك اتجاه الكونيات الأخرى.

المعالم الاجتماعية في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

سميرة علي محمد البهادلي

الخلاصة

المعالم الاجتماعية تقوم على أساس تحقيق الاهداف العامة والاساسية للحكومة المهدوية والتي تسعى الى تحقيق الامان العام لجميع الناس بحيث يكونوا امنين على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم فلا يبقى اضطراب ولا قلق ولا خوف عليها.

ومن هذه المعالم التالف والاتحاد وانتهاء الخلافات والصراعات المتشنجة التي يصاحبها العنف والارهاب والقتل الذي كان سائدا قبل الظهور وقد تطرقت الى أسباب الفرقة بجميع الوانها والى المعالجة الموضوعية لجذورها.

وفي عهده تنتهي المذاهب فلا يبقى الا الدين الواحد الذي يبين الامام أسسه وقواعده وأركانه كما نزل.

وفي ظل حكومته تنتهي العنصرية وهي أساس البلاء والمحن والفتن لعودة الامام الى الاسس التي تساوي بين الجميع كما خلقهم الله تعالى.

المعالم الاجتماعية في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تدخل في اطار مل الأرض عدلا وقسطاً ؛ حيث الأمان العام، وانتهاء الشحناء والتباغض وانتهاء الخلافات بانتهاء اسبابها وعواملها، وانتهاء التعصب والعنصرية وشيوع المحبة والمودة والالفة في أنحاء الأرض ؛ حيث التعاون

والتآزر والتكاتف؛ وشيوع التكافل الاجتماعي، وانتهاء جميع المظاهر السلبية في المشاعر والمواقف والعلاقات.

ومن أهم المعالم الاجتماعية في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

الأمان العام

الاسلام دين الرحمة والمسامحة والعفو، دين التعاون والتآلف والوئام، دين السلام والأمان، وهي الاسس التي يتعامل مع غيره من العقائد والوجودات، ويتعامل بها داخل المجتمع الاسلامي، والاصل هو السلام، امّا القتال فهو أمر طارئ فرضته الظروف؛ لذا فانّ الاسلام ينتهز أقرب الفرص للعودة الى الأصل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**...﴾[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن تمني لقاء العدو، فيقول: «لاتتمنوا لقاء العدو، فاذا لقيتموه فاصبروا»[2].

والاسلام لم يشرع القتال والجهاد للسيطرة على الاراضي والسكان، ولا طلباً للغنيمة، ولم يكن القتال من أجل مجد شخصي أو طبقي أو قومي، وانّما لإعلاء كلمة الله ودفاعاً عن القيم النبيلة وردعاً للعدوان.

ولا نبالغ اذا قلنا: ان جميع معارك الاسلام التي قادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت معارك دفاعية لرد عدوان واقعي أو محتمل الوقوع، ويمكن تحديد دوافع القتال وأهدافه القريبة والبعيدة كما جاء في القرآن الكريم بالنقاط التالية[3]:

١. دفع العدوان.

٢. الدفاع عن المستضعفين.

٣. نصرة المظلومين.

---

١. سورة الانفال، آية ٦١.

٢. كنز العمال، ٤، ٣٩١.

٣. سورة البقرة: آية١٩٠، سورة الحج: آية٣٩، ٤٠، سورة النساء: آية٧٥، سورة الأنفال: آية٧٢، سورة التوبة: آية١٣، سورة البقرة: آية١٩٣، سورة الانفال: آية٥٨.

٤. قتال ناكثي العهد.

٥. حماية المسلمين ورد العدوان المحتمل الوقوع.

واكدّ المنهج الاسلامي على اشاعة قيم الرحمة والشفقة والعفو حتى في ساحة القتال، وتتجسد أخلاقية القتال وانسانية التعامل في المظاهر التالية ـ كما جاء في القرآن والسنة وآراء الفقهاء من مختلف المذاهب ـ[1]:

١. حرمة القتال قبل القاء الحجّة.

٢. النهي عن قتل المستضعفين كالصبي والشيخ الفاني والمرأة.

٣. حرمة القاء السم في بلاد المشركين.

٤. حرمة الغدر والغلول.

٥. حرمة المثلة.

٦. حرمة التخريب الاقتصادي.

٧. وجوب الاستجابة للاستجارة وطلب الأمان.

٨. الوفاء بالعهد.

٩. حسن المعاملة مع الأسرى.

ودوافع القتال المتقدمة وكذلك أخلاقيته قد جسدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي عليه السلام في الواقع العملي، وجسدّها الكثير من المسلمين وان كانوا يقاتلون تحت راية حكام الجور والانحراف، وسيجسدها الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في حكومته لانّه جاء من أجل إقامة القسط والعدل في جميع انحاء الأرض، وقد دلت الروايات على ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تأوي اليه أمته كما تأوي النحلة يعسوبها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً»[2].

وفي نسخة اخرى «كما يأوي النحل الى يعسوبها».

وقال الامام علي عليه السلام: «... فيسير المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بمن معه لايُحدث في بلد حادثة إلاّ الأمن

١. ذكرنا أدلتها بالتفصيل في كتابنا: مبادئ العلاقات وحقوق الأقليات الدينية.

٢. الفتن، ٢٥٢، نعيم بن حماد.

والأمان والبشرى»[1].

وعنه عليه السلام قال: «لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها وذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السّباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدماً الاّ على النبات، وعلى رأسها مكتلها لا يهيجها سبع ولا تخافه»[2].

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «اذا قام القائم عجل الله فرجه حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وآمنت به السبل»[3].

ولاتضاد بين الروايات المتقدمة والروايات التالية:

روي عن الامام الحسين عليه السلام انّه قال: «اذا خرج المهدي عليه السلام لم يكن بينه وبين العرب وقريش الاّ السيف، وما يستعجلون بخروج المهدي! والله مالباسه الاّ الغليظ، ولا طعامه الاّ الشعير، وماهو الاّ السيف، والموت تحت ظل السيف»[4].

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: «يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلاّ السيف لا يستتيب أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم»[5].

وعن الامام الحسين عليه السلام قال: «ما بقاء قريش إذا قدم القائم المهدي منهم خمسمائة رجل فضرب أعناقهم صبراً، ثم قدّم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً، ثم قدّم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً؟»[6].

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: «انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار في امتّه باللين كان يتألف الناس، والقائم عجل الله فرجه يسير بالقتل، بذلك أمر في الكتاب الذي معه: أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً، ويل لمن ناواه»[7].

---

١. عقد الدرر، ١٣٦.

٢. منتخب الأنوار المضيئة، ٣٥٦.

٣. الارشاد، ٣٦٤.

٤. عقد الدرر، ٢٨٧.

٥. الغيبة، للنعماني، ٢٣٣.

٦. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٤٩.

٧. نفس المصدر، ج٥٢، ص٣٥٣.

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ علياً عليه السلام قال: كان لي ان اقتل المولّي واجهز على الجريح، ولكن تركت ذلك للعاقبة من أصحابي إن جرحوا لم يقتلوا، والقائم له ان يقتل المولّي ويجهز على الجريح»[1].

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: «لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحبّ أكثرهم ان لا يروه ممّا يقتل من الناس، أما إنّه لايبدء إلاّ بقريش، فلا يأخذ منها إلاّ السيف ولا يعطيها إلاّ السيف، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم»[2].

وقيل له عليه السلام: انّهم يقولون إنّ المهدي لو قام لاستقامت له الامور عفواً ولا يهريق محجمة دم، فقال: «كلاّ والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ادميت رباعيته، وشجّ في وجهه، كلاّ والّذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق، ثم مسح جبهته»[3].

ووردت رواية عنه عليه السلام انّه قال: «... ثم يدخل الكوفة فيقتل بها كلّ منافق مرتاب، ويهدم قصورها ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عزّ وجلّ»[4].

وإذا تتبعنا الروايات ـ بغض النظر عن السند ـ لوجدنا امكانية الجمع بينها، فالروايات المتقدمة الأولى التي تشير إلى الأمن والسلام ناظرة إلى ما بعد استقرار حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه، امّا الروايات المتأخرة فانها تشير إلى مرحلة ما قبل الاستقرار، حيث يكون القتل كنتيجة طبيعية للمقاومة والدفاع، وخصوصاً انّ الكفار والمنحرفين والمجرمين سيواجهون الامام المهدي عجل الله فرجه مواجهة عنيفة للقضاء عليه وعلى حركته وهذه المواجهة تؤدي إلى قتلهم، فهم يستحقون القتل لتآمرهم على الامام عليه السلام، وسيقتلون داخل المعركة، ومن جهة اخرى انهم سيقفون أمام طريق الخلاص من الظلم والاضطهاد والعبودية، بحيث يصبحون أداة

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر، ص٣٥٤.

٣. نفس المصدر، ص٣٥٨.

٤. إعلام الورى بأعلام الهدى: ٤٣٢.

تعويق لبسط العدل، ومن جهة ثالثة انهم يستحقون القتل لقيامهم بأعمال اجرامية بحق البشرية قبل واثناء الظهور، فتكون عقوبتهم القتل.

ويمكن الجمع من ناحية اخرى من خلال الرجوع إلى الاصل وهو تجنب القتل والقتال ابتداءً كما ورد في الرواية المتقدمة «لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً» وتوقفه على المقاومة والمواجهة، فحينما يجد الامام عليه السلام مقاومة ومواجهة يقابلها بالمثل فيكون القتل والقتال وإلاّ فلا.

وقتل الكفار المعاندين والمحاربين، وكذلك قتل المجرمين يكون مقدمة للعدل والقسط ومقدمة للأمان العام، لأن هؤلاء هم مصدر الاضطراب وإنعدام الأمن، وبقتلهم واستئصالهم يتحقق الأمان في الأرض وهذه حقيقة لا تقبل مزيداً من إمعان النظر.

وهؤلاء يستحقون القتل لأنّهم مرّوا بمراحل من الامتحان والتمحيص، ويستحقون الاجهاز على جريحهم أيضاً، لانهم فشلوا في التمحيص بعد سلسلة من الدلائل والبينات على احقية الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأحقية نهجه، وفي ظرف ومرحلة تتطلع فيها الانسانية إلى منقذ ومصلح بعد طول المعاناة واستشراء الظلم والجور، فانّ بقاءهم احياءً يعيق تحقيق العدل والقسط ويعيق تحقيق الأمن والأمان، ومع جميع ذلك فانهم لم يتخلوا عن المواجهة ولم يتخلوا عن اهدافهم المعلنة في القضاء على الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والقضاء على المنهج والنظام العادل المراد اقراره في الأرض.

وفي جميع الظروف والأحوال وعلى جميع التقديرات فانّ فترة القتل والقتال لاتدوم أكثر من ثمانية أشهر.

عن الامام علي عليه السلام انّه قال: «تفرج الفتن برجل منّا يسومهم خسفاً لا يعطيهم إلاّ السيف، يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر، حتى يقولوا: والله ما هذا من ولد فاطمة، ولو كان من ولدها لرحمنا»[1].

وهنالك روايات عديدة تؤكد على مباشرة الحرب أو القتل أو تجريد السيف لمدة ثمانية أشهر، ويعلق السيد محمد الصدر على ذلك قائلاً: انّ لتبرير القتل الكثير الذي يقع خلال

١. الحاوي للفتاوي، ج٢، ص١٤٦.

الثمانية أشهر اطروحتين رئيسيتين:

الاطروحة الأولى: إنّ هذا القتل، هو الذي يحدث خلال الغزو العالمي، والثمانية اشهر هي المدّة التي يتم فيها الاستيلاء على العالم.

الاطروحة الثانية: إنّ هذا القتل الكثير الذي يحدث خلال الثمانية اشهر، ليس للفتح العالمي، بل لاجتثاث المنحرفين نحو الباطل من المجتمع.

ومعنى ذلك: أنّ الفتح العالمي سينتهي بمدة أقل من ذلك بزمن غير يسير، وخاصة إذ كان الفتح سلمياً، إلاّ أنّ المنحرفين سوف يبقى وجودهم ونشاطهم إلى جانب الباطل ساري المفعول، ومن ثم سيحتاجون إلى قتل إضافي بعد إستتاب الدولة العالمية، وهذا ما سوف يمارسه المهدي عليه السلام واصحابه إلى الثمانية أشهر[1].

ومهما كانت التفسيرات فانّ القتل والقتال سينتهي بعد الثمانية أشهر سواء كان خارجياً أم داخلياً موجهاً للكفار أم المنحرفين من المسلمين، وبعدها سيعم الأمان والسلام أرجاء الأرض فلا حرب ولا قتال ولا قتل، وإلى ذلك أشارت الروايات.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «... فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيّهم، ويلقى الاسلام بجرانه»[2].

وضرب «الجران» مثلاً للاسلام إذا استقر قراره فلم يكن فتنة ولا هيج وجرت أحكامه على العدل والاستقامة[3].

وتعيش الانسانية الامان الحقيقي؛ حيث تشعر بعدل الحكومة المهدوية وتطمئن لفعالياتها ونشاطاتها، ولا يخطر في البال ان تظلم أحداً من الناس؛ حيث يشعر كل انسان بالأمان الداخلي والإطمئنان الداخلي لأنّه يؤمن بعدل المنهج الاسلامي، وبعدل القائد الأعلى وهو الامام المهدي عليه السلام، فلا قلق ولا اضطراب ولا خلخلة روحيةٍ، ومن الناحية الواقعية يشعر الانسان بالأمان لعدم وجود المعكرين أو المعوقين له لاستئصالهم أثناء القتال ولبسط الحكومة سيطرتها على العالم أجمع وعلى جميع الميادين، بحيث لا يبقى للمجرمين وللمنحرفين أيّ

١. تاريخ ما بعد الظهور، ج٥٩٠، ص٥٩١.

٢. سنن أبي داود، ج٤، ص١٠٧.

٣. معالم السنن، ج٤، ص٣١٨.

قوة تهدد أمن الناس، والأهم من ذلك قيام الحكومة المهدوية باصلاح وتغيير الواقع عن طريق الوعظ والارشاد والتربية المتواصلة، اضافة إلى القضاء على العوامل والأسباب التي تؤدي إلى الجريمة أو القتل أو سلب الأمن من الناس، حيث يتم إشباع الحاجات لجميع الناس وهي أهم عامل يؤدي إلى الاستقامة الروحية والنفسية وازالة الحسد والحقد والروح العدوانية من الذات الانسانية.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «لتذهبنّ الشحناء والتباغض»[1].

وفي رواية: «ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد»[2].

وذهاب هذه العوامل يؤدي إلى شيوع الأمن في المجتمع الانساني، فلا قلق ولا اضطراب ولا خلخلة روحية.

التآلف والاتحاد وانتهاء الخلافات

التآلف والاتحاد ورص الصفوف من أهم مقوّمات البناء الحضاري للامة الاسلامية، وهي ضرورة شرعية وعقلية اكدّ عليها القرآن الكريم والسنة الشريفة، وحكم بها العقل السليم، واثبت لنا التاريخ ضرورتها في تتبعه لسير الحضارات التي نمت وترعرعت وازدهرت بالتآلف والاتحاد ورص الصفوف، وتدهورت واضمحلت بالتدابر والاختلاف والتمزق.

والتآلف والاتحاد ورص الصفوف سر انتصار الاسلام واستمرار وجوده ودوره في قيادة البشرية، وقد أرسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعائم الوحدة وكذلك الامام علي عليه السلام وبقية ائمة أهل البيت عليهم السلام، وستتحقق الوحدة الحقيقية في عهد حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف لتحقق الأسباب والعوامل المهيئة لها والواقعة في طريقها، وهذا هو الظاهر من الروايات الشريفة.

عن الامام علي عليه السلام قال: يارسول الله المهدي منّا أئمة الهدى أم من غيرنا؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بل منّا، بنا يختم الدين كما بنا فتح، وبنا يستنقذون من ضلالة الفتنة كما استنقذوا من ضلالة الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم في الدين بعد عداوة الفتنة كما ألف

---

١. صحيح مسلم، ج١، ص٩٤.

٢. ينابيع المودّة، ج٣، ص٣٥٧.

الله بين قلوبهم ودينهم بعد عداوة الشرك»[1].

وفي رواية اخرى وردت اضافة على ما تقدم: «... وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً كما اصبحوا بعد عداوة الشرك اخواناً في دينهم»[2].

وروي عن الامام الحسن عليه السلام انّه قال: «لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ويتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض» فقيل له: مافي ذلك خير، قال: «الخير كله في ذلك عند ذلك يقوم قائمنا فيرفع ذلك كلّه».[3].

وفي ظل حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف وفي ظل امامته وقيادته تنتهي الخلافات الموروثة والمكتسبة، وتنتهي جميع مظاهر الصراع العقائدي والسياسي والاجتماعي؛ لانتهاء وانتفاء الأسباب والعوامل المهيئة له؛ حيث تتوحد الصفوف تحت قيادته، ويستسلم الجميع لاوامره ونواهيه وارشاداته وتوجيهاته، وهو عليه السلام سيوضح لهم جذور وعوامل وحقيقة الخلافات الموروثة من جيل إلى آخر، وستنكشف الحقائق كما هي فلا يبقى مجال لأن يتمسك الفرد أو الكيان المعين بمتبنيات موروثة تخالف توضيحات الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

وإذا كانت بوادر الاختلاف والفرقة والتمزق انطلقت بعد إقصاء الامام علي عليه السلام عن منصبه، أو بعد اجتماع السقيفة باختيار أبي بكر خليفة دون مشورة بني هاشم وعلى راسهم عليّ عليه السلام، فانّ الامام عليه السلام سيوضح الحقيقة التي اختلف المسلمون فيها، وبهذا التوضيح سيكون المجتمع على بينة من متبنياته وولاءاته؛ وسيكون على رأي واحد وتوجه واحد وولاء واحد.

والامام عليه السلام سيحسم الخلافات الناجمة عن الاراء والولاءات المختلفة في مسألة الامامة، وكما قال الشهرستاني: (واعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة؛ إذ ماسلّ سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ماسلَّ على الامامة في كل زمان)[4].

---

١. الفتن: ٢٦٢، الملاحم والفتن: ٨٥.

٢. الحاوي للفتاوي ٢: ٦١، مجمع الزوائد ٧: ٣١٧، ونحوه في: كشف الغمة ٢: ٤٧٣.

٣. بحار الأنوار ٥٢: ٢١١.

٤. الملل والنحل، ج١، ص٣٠.

وإذا تدخلت السياسة سابقاً في إختلاق الأحاديث وتزوير الحقائق، فانّ تدخلها سيتضح بعد الظهور، وحينها فلا لبس ولا خلط، وستنكشف الحقائق المتعلقة بالتراث الواسع من المناقب والفضائل لهذا أو ذاك، وفي التجريح والتعديل، وبالتالي سيتوحد الولاء للماضين من الأئمة والخلفاء.

ومن جهة اخرى سيتوحد الجميع لوجود قيادة واحدة وهي قيادة الامام المهدي عجل الله فرجه، فإذا كانوا مختلفين بسبب اختلاف مصادر التوجيه والارشاد ومصادر إصدار الأوامر والنواهي، فانّ هذه المصادر ستتوحد في الامام المهدي عجل الله فرجه وتنطلق منه وحده بلا منازع ولا منافس.

إنتهاء اسباب الفرقة

من خلال متابعة الأحاديث الشريفة، ومن خلال النظرة الموضوعية للواقع يمكن تحديد أسباب الفرقة بجملة من النقاط، نذكرها اختصاراً ونكتفي بذكر الأحاديث دون تعليق في كثير من الأحيان

أولاً: الأسباب الفكرية للفرقة

١. الاختلاف

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»[١].

وقال الامام علي عليه السلام: «سبب الفرقة الاختلاف»[٢].

٢. الجهل

قال الامام علي عليه السلام: «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»[٣].

٣. اتباع أصحاب البدع

قال الامام علي عليه السلام: «انّما بدءُ وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجال رجالاً على غير دين الله»[٤].

---

١. كنز العمّال، ح ٨٥٥.
٢. تصنيف غرر الحكم، ٤٦٦.
٣. بحار الانوار، ٧٨، ٨١.
٤. نهج البلاغة، ٨٨.

٤. اتّباع الشكوك والظنون والشبهات

قال الامام علي عليه السلام: «واحذروا الشبهة فانها وضعت للفتنة»[١].

وقال الامام علي بن الحسين عليه السلام: «... فإنّ الشكوك والظنون لواقح الفتن»[٢].

ثانياً: الأسباب النفسية للفرقة

١. حب الدنيا

قال الامام علي عليه السلام: «إياكم وحب الدنيا فانّها رأس كل خطيئة وباب كل بلية وقران كلّ فتنة وداعي كل رزية»[٣].

وقال عليه السلام: «حب الدنيا رأس الفتن وأصل المحن»[٤].

٢. التعصب

قال الامام علي عليه السلام: «... فالله الله في كبر الحميّة وفخر الجاهلية، فانّه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان»[٥].

٣. الأمراض النفسية

أ. خبث السرائر

قال الامام علي عليه السلام: «إنما أنتم اخوان على دين الله، ما فرّق بينكم إلاّ خبث السرائر وسوء الضمائر؛ فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادّون...»[٦].

ب. الهوى

قال الامام عليه السلام: «الهوى مطية الفتن»[٧].

وقال عليه السلام: «اياكم وتمكن الهوى منكم فانّ اولّه فتنة وآخره محنة»[٨].

---

١. تحف العقول، ١٠٤.
٢. الصحيفة السجادية الجامعة، ٤١١.
٣. تحف العقول، ١٥٠.
٤. تصنيف غرر الحكم، ١٣٩.
٥. نهج البلاغة، ٢٨٩.
٦. نهج البلاغة، ١٦٨.
٧. تصنيف غرر الحكم، ٣٠٦.
٨. م.ن: ٣٠٦.

ج. الحقد والبغض والجفاء

قال الامام علي عليه السلام: «سبب الفتن الحقد»[1].

وقال عليه السلام: «لا تباغضوا فانها الحالقة»[2].

وقال عليه السلام: «إياك والجفاء فإنّه يفسد الاخاء ويمقت إلى الله والناس»[3].

ثالثاً: الأسباب العملية للفرقة

١. الاستئثار

قال الامام علي عليه السلام: «الاستئثار يوجب الحسد، والحسد يوجب البغضة، والبغضة توجب الاختلاف، والاختلاف يوجب الفرقة، والفرقة توجب الضعف، والضعف يوجب الذل، والذل يوجب زوال الدولة وذهاب النعمة»[4].

٢. تعدد الولاءات

قال الامام علي عليه السلام: «ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترّفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربّهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فإنّهم قواعد اساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة...»[5].

٣. ضعف العلاقة بين الوالي والرعية

قال الامام علي عليه السلام: «... وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفتّ هنالك الكلمة...»[6].

٤. المراء والخصوصة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ذروا المراء لقلّة خيره، ذروا المراء فانّ نفعه قليل وأنّه يهيّج العداوة

١. م.ن: ٢٩٩.
٢. م.ن: ٤٦٢.
٣. م.ن: ٤٢٤.
٤. شرح نهج البلاغة، ٢٠، ٣٤٥.
٥. نهج البلاغة، ٢٨٩.
٦. نفس المصدر، ٣٣٣.

بين الإخوان»[1].

وقال الامام علي عليه السلام: «ثمرة المراء الشحناء»، «سبب الشحناء كثرة المراء»، «اللجاج ينتج الحروب ويوغر القلوب»[2].

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «إيّاكم والخصومة، فانّها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن»[3].

رابعاً: الأسباب الخارجية للفرقة

١. أعداء الاسلام.

٢. المنافقون.

٣. الحكّام المنحرفون.

وهذه الأسباب سينحسر تأثيرها في عصر ظهور الامام عليه السلام لمجيء نظام متكامل يتجاوز الواقع الفاسد ويستبدله بواقع صالح يتوجه فيه الانسان والمجتمع نحو السمو والكمال، ويتكاتف ويتآزر الجميع من أجل البناء والاعمار في جميع جوانب الحياة الانسانية، وبوجود الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف ستتوحد الرؤى والمواقف والممارسات، ولا يبقى موضوع أو مورد للخلاف والنزاع والصراع مادامت القيادة واحدة ومادام الجميع يؤمنون بامامته.

المعالجة الموضوعية لجذور الفرقة

انّ التربية الشاملة لها دورها الأساسي في معالجة جذور الفرقة، وإعادة المجتمع الانساني إلى الأصل وهو التآلف والتآخي والتآزر ضمن عقيدة واحدة ومصالح واحدة ومصير واحد.

وفيما يلي نستعرض هذه المعالجة باختصار وعلى شكل نقاط:

١. الاعتصام بالله تعالى.

٢. التآخي في الله.

---

١. المحجة البيضاء، ٣، ٣٢٩.

٢. تصنيف غرر الحكم، ٤٦٤.

٣. الكافي، ج٢، ص٣٠١.

٣. الحب في الله والبغض في الله أساس العلاقات.
٤. عدم اتباع السبل المخالفة لسبيل الله تعالى.
٥. رفض البدع.
٦. تقوى الله.
٧. الرجوع إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الامام المهدي عليه السلام.
٨. ترك الممارسات غير الصالحة.
❖. التدابر والتباغض والتقاطع.
❖. التخاذل والتنابز.
❖. البهتان والاشاعات والنميمة.
❖. الظلم والخيانة والغش.
❖. التعصبّ.
٩. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.
١٠. اصلاح ذات البين.
١١. الدفع بالتي هي أحسن.
١٢. نسيان مساوىء الماضي.
١٣. الالتزام بالأخلاق الاسلامية في العلاقات.
❖. اللين والعفو والتسامح.
❖. الاستشارة.
❖. التناصح والتناصر والتعاون.
❖. حسن العشرة.
❖. المداراة.
❖. الانصاف.
❖. الايثار.
❖. الالتزام بمكارم الأخلاق.
١٤. الاقتداء بالسلف الصالح.

انتهاء المذاهب

إنتهاء المذاهب أحد أهم العوامل المؤدية إلى وحدة المسلمين، وانتهاؤها في عهد الامام المهدي عجل الله فرجه حقيقة موضوعية لأنّها إجتهادات فقهاء وعلماء لاترقى إلى علم الامام المهدي عجل الله فرجه الذي يكون رأيه هو المقياس والمعيار لصحة الآراء على جميع المستويات.

والمذاهب الاسلامية ماهي إلاّ مظهر من مظاهر الاجتهاد في فهم الاسلام بمفاهيمه وقيمه، وقد بدات حركة الاجتهاد في ظروف الابتعاد عن عصر النصّ.

وقد بدأ الاجتهاد عند أهل السنة بعد غياب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه غياب النص أو الابتعاد عن النص، بل انّ الاجتهاد كان يقع من الصحابة (إذا بعدوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فانهم كانوا يجتهدون)[1].

واختلف الصحابة في طرق الاجتهاد بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

❖. منهم من كان يجتهد في حدود الكتاب والسنة.

❖. منهم من كان يجتهد بالرأي ان لم يجد نصاً.

❖. منهم من كان يجتهد بالقياس، ومنهم من كان يجتهد بالمصلحة في غير موضع النص.

وفي عصر التابعين كان لهم اجتهاد وراء ماينقلون من أحاديث وفتاوي، ولم يخرجوا عن منهاج الصحابة الذي رسموه لهم ولمن جاءوا بعدهم.

وكان أكثر الاجتهاد عند مدرسة العراق يعتمد على القياس، وأمّا الاجتهاد عند مدرسة الحجاز فكان يسير على منهاج المصلحة، وقد تبع ذلك ان كثرت التفريعات الفقهية في العراق والافتاء فيما لم يقع، ولم يوجد ذلك النوع في الحجاز لأنّ الاساس كان المصلحة وهي لا تتحقق إلاّ في الوقائع، فلا يأتي فيها الفرض والتقدير.

وقد توسع الاجتهاد ووصل إلى أوج توسعه في عصر أئمة المذاهب (مالك، أبو حنيفة، الشافعي، أحمد).

وامّا عند الشيعة فانّ بدايات ظهور الاجتهاد وكيفية معالجة الأحاديث واستعمال القواعد والاصول قد ظهر في عصر أئمة أهل البيت عليهم السلام وبارشاد وتوجيه منهم، وذلك في كيفية

---

١. تاريخ المذاهب الاسلامية، ٢٣٧.

استنباط الحكم الشرعي مباشرة من القرآن الكريم أو في التوسعة على الناس بالبراءة من التكليف المحتمل فيما لم يرد فيه بيان من الشارع، وفي جريان الاستصحاب في الموضوعات التي لها حالات سابقة متيقنة ويشك المكلف فيها بعد ذلك.

إلاّ انّ الاجتهاد كمدرسة ذات ملامح واضحة لم يظهر إلاّ بعد غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه ؛ حيث مسّت الحاجة إلى ذلك[1].

واستمر الاجتهاد عند الشيعة منذ عصر الغيبة إلى يومنا هذا، بينما انحسر عند أهل السنة، وبدأ الانحسار بعد عصر ائمة المذاهب حيث لم يتجاوز المجتهدون آراء الأئمة الأربعة، وبقي الاجتهاد محدوداً بحدود أصول واساسيات المذهب باستثناء اجتهاد بعض الفقهاء المطلق وهم قلة قليلة.

وبانتهاء القرن الثالث الهجري وحلول القرن الرابع ضعف مركز الاجتهاد، ولم يسمع صوت قوي كاصوات الأئمة الأربعة ومن هم في درجتهم في الاوساط العلمية، وقد اغلق باب الاجتهاد المطلق بعد وفاة محمد بن جرير الطبري عام ٣١٠هـ ولم يقم أحد به، وقد حصل ان بنيت المدارس لتدريس المذاهب الاربعة واغدقت الأموال ممّا صرف انظار طلاب العلم عن غيرها وأمات فيهم ملكة الاجتهاد، بل وصل الأمر إلى حدّ انّ المستعصم العباسي أمر اساتذة المدرسة المستنصرية ببغداد أن لا يتعدوا كلام المشايخ السابقين[2].

وبالتدريج انحسر الاجتهاد وتوسع التقليد خلافاً لتوجهات الأئمة الاربعة فهم نهوا الآخرين عن تقليدهم وأمروا ـ إذا رأوا قولاً في الكتاب والسنة أقوى من قولهم ـ ان يأخذوا به ويدعو اقوالهم[3].

وغلق باب الاجتهاد كان نوعاً من التقديس للفقهاء السابقين، وأصبح أصحاب المذاهب الأولون كانّهم معصومون، وأصبح الفقيه لايستطيع الحكم في مسألة إلاّ إذا كانت مسألة جزئية تطبيقاً على قاعدة كلية قالها امامه من قبله[4].

---

١. الاجتهاد والتقليد، ص٦١.
٢. في ميدان الاجتهاد، ج٩، ص١٠.
٣. الفتاوى الكبرى، ج١، ص٤٠٩.
٤. ظهر الاسلام، ج٢، ص٧.

ومن خلال ما تقدم نرى انّ انحسار الاجتهاد يخالف روح الاسلام الذي يواكب التطور الحاصل في الحياة الانسانية، وممّا يخالف روح الاسلام أيضاً تحول إجتهاد السابقين إلى مذاهب بينما هي إجتهادات لمجتهدين يخطأون ويصيبون، وعلى ضوء ذلك فان حسر ذلك بمذاهب معينة لاينسجم مع حركية الاسلام ولاينسجم مع روح الاجتهاد، بل هو بدعة تخالف حتى توجهات أئمة المذاهب الاربعة.

وإذا تنزلنا واستسلمنا إلى الأمر الواقع وتابعنا ذلك بالايمان بوجود عدة مذاهب: الامامية، الزيدية، المالكية، الحنفية، الشافعية، الحنبلية، الأباضية، فنقول: هل انّ الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سيتبع أحد هذه المذاهب أم سيأتي بمذهب جديد، أم يحدث تعديلات على أحد أو بعض المذاهب.

وإذا تتبعنا عقائد ومتبنيات المذاهب الفكرية لوجدناها على نحوين أساسيين:

النحو الأول: الايمان بانّ الامامة منصب الهي وإنّ الله تعالى قد عيّن إثني عشر إماماً أولهم الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

والايمان بعصمة جميع الأنبياء وجميع الأئمة عليهم السلام، ويترتب على هذا الايمان حبّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم والبراءة من أعدائهم، وكذلك أخذ مفاهيم وقيم وتشريعات الاسلام منهم دون غيرهم لأنّ السنة الشريفة تمتد بهم.

النحو الثاني: الايمان بانّ الامامة منصب متروك لاختيار المسلمين، فمن اختاره المسلمون إماماً وجبت طاعته على الباقين، وانّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك أمر الامامة إلى الناس ولم يعيّن إماماً من بعده.

ولا يشترط في الامام أن يكون معصوماً، وان السنة الشريفة مختصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله وفعله وتقريره.

هل المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إمامي المذهب؟

انّ الاخبار المتقدمة في الفصل الأول والتي تنص على أنّ الأئمة اثنا عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانهم من العترة الطاهرة تنطبق مع رأي الامامية من المسلمين، وفي خصوص الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يتفق الجميع على أنّه من العترة الطاهرة، فهل يمكن القول: انّ الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إمامي المذهب؟ وفي مقدمات الجواب نقول:

١. انّ ائمة أهل البيت عليهم السلام يتبنون المذهب الامامي في مسألة الامامة فهم عليهم السلام تبنوا النص والتعيين ولم يتبنوا البيعة أو الشورى أو الغلبة بالسيف أو العهد والاستخلاف من الآباء للأبناء.

٢. وردت عن جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام روايات عن الامام المهدي عجل الله فرجه عن غيبته وعن ظهوره، وعن طاعته والحث على أتباعه والاستسلام له.

٣. ليس من المحتمل ان يقوم أئمة أهل البيت عليهم السلام بتأييد الامام المهدي عجل الله فرجه وهو شخص يختلف عنهم في المذهب وفي المتبنيات العقائدية.

٤. لو قلنا بانّ الامام المهدي عجل الله فرجه يخالفهم في المذهب لزم بطلان أحد المذهبين، وهذا لا يمكن الالتزام به تجاه مذهب الأئمة أو مذهب الامام المهدي عجل الله فرجه.

وعلى ضوء هذه المقدمات نقول: انّ مذهب الامام المهدي عجل الله فرجه لا يخالف مذهب آبائه وأجداده وخصوصاً في الأساسيات الثابتة عنه، فهو عليه السلام لا يخالفهم في جميع ماثبت صدوره منهم، وإذا ثبت هذا فلا يعقل ان يترك متبنيات ابائه ويتبنى ماورد عن مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم.

والقدر المتيقن انه لا يخالف مذهب آبائه وأجداده، وهذا لا يعني انّه لا يخالف المذهب الإمامي الحالي، لأنّ المذهب الحالي هو مزيج من متبنيات أئمة أهل البيت عليهم السلام واجتهادات فقهاء المذهب، واجتهادات الفقهاء عرضة للخطأ والاشتباه وانها أحكام ظاهرية لا أحكام واقعية.

والامام المهدي عجل الله فرجه لا يأخذ بآراء الفقهاء لاسباب عديدة:

١. انّ الفقهاء غير معصومين.

٢. انّهم يجهلون الأحكام التالفة.

٣. انّهم يجهلون ظروف الرواية والقرائن المتعلقة بها.

٤. انّهم يجهلون حقيقة الرواة من حيث التعديل والتجريح.

والأهم من ذلك انّ وجود الامام المهدي عجل الله فرجه يعني التخلي عن آراء غيره من قبل الناس جميعاً، لأنّه وحده القادر على تبيان المفاهيم والقيم والأحكام، وانّه وحده القادر على ملء ما يسمى منطقة الفراغ التشريعي التي تركت من قبل الشريعة ليملأها ولي الأمر، وهو عليه السلام

صاحب هذا المنصب.

وفي جميع الظروف والأحوال فانّ المهدي عجل الله فرجه سيأتي بمفاهيم وقيم وأحكام جديدة يخالف فيها أغلب أو بعض المألوف عند فقهاء المذاهب بما في ذلك المذهب الامامي، وعلى ضوء ذلك لا يبقى للمذاهب أي وجود، فليس من المعقول ان يترك الناس متبنيات الامام المهدي عجل الله فرجه ويقدمون آراء المذاهب عليها وهم يؤمنون بامامته.

وإذا ثبت انتهاء المذاهب فيكون ماجاء به الامام المهدي عجل الله فرجه ليس مذهباً وانّما هو الدين الواحد بلا مذاهب.

والظاهر انّ الروايات تدل على ذلك.

روى عن الامام الباقر عليه السلام أنّه قال: «يقوم بأمر جديد وسنة جديدة وقضاء جديد»[1].

وعنه عليه السلام انّه قال: «انّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانّ الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدا، فطوبى للغرباء»[2].

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا قام القائم عجل الله فرجه جاء بامر جديد كما دعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بدو الاسلام إلى أمر جديد»[3].

والظاهر ان مايأتي به الامام المهدي عجل الله فرجه هو فهم جديد للسنة وللشريعة وللقضاء، وبالتالي ستنتهي جميع المذاهب وسيعود الدين واحداً كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما يطابق رأي ابن عربي حين يقول: (به يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلاّ الدين الخالص)[4].

وانتهاء المذاهب ظاهرة طبيعية لانّ المسلمين سيتبعون ما جاء به الامام المهدي عجل الله فرجه دون النظر إلى وجوده في مذاهبهم السابقة، فقد يكون مطابقاً لبعض ماجاء فيها وقد لا يكون، وانتهاء المذاهب يعني انتهاء الخلافات العقائدية والفكرية والسياسية والتشريعية، والانضواء تحت عقيدة واحدة وفكر واحد مصدره الامام المهدي عجل الله فرجه.

---

١. الزام الناصب، ج٢، ص٣٠٣.
٢. الغيبة، للنعماني، ٣٢١.
٣. الارشاد، ٣٦٤.
٤. الاشاعة لاشراط الساعة، ١٠٨.

انتهاء العنصرية

امتاز الانسان على سائر المخلوقات الأرضية بالعقل والاستخلاف وتسخير مافي الكون له وحده، وقد خُلق لاقرار منهج الله تعالى في الحياة وتحقيقه في صورة عملية ذات مظاهر منظورة تترجم فيها المفاهيم والنصوص إلى مشاعر وأعمال وممارسات، وقد راعى المنهج الاسلامي في ذلك الطبيعة الانسانية فلم يبدلها أو يعطلها، وكان ناظراً للانسان بما هو انسان بلا صفة اضافية خارجة عن تلك الطبيعة، لذا جاءت توجيهاته وتعاليمه لتساوي بين الناس، وتقرّر هذه المساواة في واقع الحياة، فالناس مخلوقون لله تعالى ومتساوون في كل وجميع الخصائص بلا فرق بين انسان وآخر.

وإذا تتبعنا الايات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام لوجدنا انّ الناس متساوون في جميع الخصائص، والتي يمكن استعراضها في النقاط التالية:

أولاً: المساواة في الخصائص الذاتية والتصورية

١. المساواة في غريزة التدين والانتساب للخالق.

٢. المساواة في الخصائص الانسانية، فقد خلقهم الله تعالى من مصدر واحد، وخلقوا من أب واحد وأم واحدة، وهم متساوون في الصفات المرافقة لضعف الانسان ومحدوديته، ومتساوون في حب الشهوات، ومتساوون في الموت والحياة والبعث والنشور، وهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

٣. المساواة في الحرية، فهم خلقوا أحراراً، فلا عبودية ولا استعباد إلاّ لله تعالى.

٤. المساواة في التكريم، بانهم مخلوقون في أحسن تقويم، ومتساوون في الاستخلاف وحمل الامانة، وتسخير مافي الكون لهم جميعاً.

٥. المساواة في التكليف والجزاء في الدنيا والآخرة.

٦. المساواة في الارادة والاختيار.

٧. المساواة أمام السنن الالهية المتحكمة في الكون والحياة.

ثانياً: المساواة في الحقوق العملية

١. حق الحياة.

٢. حق الاعتقاد.

٣. حق التفكير وابداء الرأي.

٤. حق الأمان والحماية.

٥. حق الكفاية المادية.

٦. حق المساواة أمام القانون.

ثالثاً: المساواة أمام أسس وموازين التفاضل

من أهم أهداف الاسلام هداية الانسانية إلى الطريق القويم، ببناء الانسان الصالح في فكره وعاطفته وارادته؛ لتكون سيرته مطابقة للمفاهيم والقيم التي أرادها الله تعالى.

ولا يتحقق ذلك إلاّ بوضع اسس وموازين للتفاضل بين بني الانسان، لتستنهض الهمم وتستجيش العزائم ليبدأ باصلاح نفسه والمجتمع، ومن هذه الموازين:

١. الايمان.

٢. التقوى.

٣. العلم.

٤. العمل الايجابي.

وعلى ضوء ذلك فانّ الناس متساوون فلا تمييز بينهم، ولا فرق بين عنصر وعنصر، وسلالة واخرى، ولون وآخر، ولغة واخرى.

قال سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «انّ ربكم واحد، وانّ أباكم واحد؛ كلكم لآدم وآدم من تراب، انّ اكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلاّ بالتقوى»[2].

١. سورة الحجرات، آية ١٣.

٢. تحف العقول، ص٢٤.

وقد انتفت العنصرية في عهد رسول الله ﷺ فلا تمييز في عهده بين عربي واعجمي، ولابين مكي ومدني وشاميّ، ولا بين أبيض أو اسود، ولابين هاشمي أو غير هاشمي، وانتفت كذلك في عهد الامام علي عليه السلام، وستنتفي في عهد الامام المهدي عجل الله فرجه وستكون منتفية على مستوى الحكومة ومستوى المجتمع لقناعة الجميع بانها مخالفة لثوابت الاسلام، فيستخلى عنها الناس عن قناعة ودراية، ويكون التقييم قائماً على موازين التفاضل التي حددّها المنهج الاسلامي وهي: الايمان، والتقوى، والعلم، والعمل الايجابي.

والادلة على انتفاء العنصرية يمكن اختصارها بالنقاط التالية:

أولاً: انّ حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه تتبنى الاسلام منهجاً لها في الحياة، وانّها جاءت لتطبيقه في الواقع، والاسلام يخالف العنصرية، فمن الطبيعي ان تخالف الحكومة العنصرية.

ثانياً: انّ حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه حكومة عالمية، والعالمية مخالفة للعنصرية ومتعالية عليها، لانّ الدعوة العنصرية ستقلل من دائرة العالمية.

ثالثاً: انّ هدف الحكومة هو تطبيق العدل والقسط وهما مخالفان للعنصرية، فليس من العدل والقسط تقديم عنصر على آخر أو تفضيل الناس على أساس عنصري: طبقي أو قومي أو عشائري.

رابعاً: انّ إقرار العنصرية يخالف الاعتصام بالله تعالى ويخالف الوحدة التي دعا اليها القرآن الكريم ورسول الله ﷺ وائمة أهل البيت عليهم السلام.

خامساً: ان اقرار العنصرية سيؤدي إلى النفور من الحكومة الجديدة، وسيؤدي إلى الصراع العنصري وهو مخالف للروايات المشيرة لا حلال الأمن والسلام في الأرض.

سادساً: دلت الروايات على ان الامام المهدي عجل الله فرجه سيكون شديداً على العرب لتقصيرهم بحق الرسالة، فلو كان الامام(عليه السلام) عنصرياً لمال إلى أبناء لغته.

سابعاً: دلت الروايات على ان اصحاب الامام المهدي عجل الله فرجه وهم أصحاب الالوية وحكام الله في الأقاليم والقضاة ليسوا من جنس واحد أو عنصر واحد.

ثامناً: ان التمييز العنصري يخالف المصلحة الاسلامية العليا، ولهذا فلا يعمل به.

هل يفرض الامام المهدي عجل الله فرجه اللغة العربية على الناس؟

انّ المنهج الاسلامي ـ الذي سيطبقه الامام المهدي عجل الله فرجه ـ لم ينشأ في فراغ، ولم يتحرك في

فراغ، ولم ينشأ في قوالب ومظاهر مثالية، وانّما ينشأ في الواقع الموضوعي للحياة، وينطلق في النفس الانسانية من أعماقها واغوارها ومشاعرها الباطنية؛ فهو منهج واقعي ناظر إلى واقع الانسان من حيث هو انسان بما يحمل من غرائز روحية ومادية، ولذا فهو لايبدل ولا يعطل الوقائع والحقائق، بل يحافظ على الواقع السليم، ومنه الحفاظ على وسائل التفاهم بين الناس وفي مقدمتها اللغة، فاختلاف اللغات أمر طبيعي، وقد أقرّه المنهج الاسلامي، فلم يفرض لغة معينة على الناس بما في ذلك لغة القرآن الكريم ولغة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة أهل البيت عليهم السلام.

وفي عهد الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف سيكون الأمر على حاله في العهود السابقة لظهوره، فتعدد اللغات أمر طبيعي، ولا يعقل أن يفرض الامام عليه السلام اللغة العربية على الناس، لانّ ذلك يغاير سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الامام علي عليه السلام، بل يغاير ويخالف أدبيات القرآن الكريم، ويخالف ثوابت المنهج الاسلامي، وهو خلاف لبسط العدل والقسط.

ومع عدم فرض اللغة العربية إلاّ اننا نتوقع ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للحكومة المهدوية العالمية للأسباب التالة:

أولاً: من الضروري أن تتبع الحكومة المهدوية لغة معينة، وستكون اللغة العربية هي المختارة للمرجحات التالية:

١. انّها لغة القرآن الكريم.

٢. انّها لغة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. انها لغة أهل البيت عليهم السلام.

٤. انها لغة الامام المهدي عليه السلام.

٥. انها لغة الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

٦. انّها لغة الاذان والاقامة والصلاة ونداءات الحج.

٧. انّها لغة الزيارة لقبور الأئمة والأولياء والصالحين.

ثانياً: انّ المسلمين وخصوصاً الجدد منهم سيأنسون للغة العربية للمرجحات السابقة، اضافة إلى انّها لغة المنتصر وهو الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف، والانبهار بالمنتصر يجعل الناس يتبنون لغته انبهاراً به فيسهل عليهم تعلمها.

ثالثاً: ظروف وحوادث وأوضاع ماقبل الظهور ستساهم في توجيه الانظار نحو دراسة اللغة العربية لانّها تتعلق بمنطقة أو بقعة جغرافية سيكون لها دور هام في مسقبل البشرية وهي «الحجاز، اليمن، العراق الشام»، وهذا الأمر ظاهرة واقعية، حيث دلت الدراسات والملاحظات الميدانية على توجه انظار الغربيين نحو دراسة اللغة العربية، بل توجه انظارهم نحو دراسة اللغة الفارسية بعد انتصار الامام الخميني(رضي الله عنه) في عام ١٩٧٩.

رابعاً: ان دراسة اللغة العربية ظاهرة ملموسة في الواقع، وقد وجدنا انّ اغلب علماء المسلمين وأغلب طلاب العلوم الدينية لهم اطلاع واسع على اللغة العربية وعلومها، وفي مقدمتهم علماء إيران وباكستان وافغانستان والهند وروسيا، حيث انّ بعضهم لا يختلف عن ابن اللغة في ضبط القواعد اللغوية.

خامساً: وجود جامعات ومعاهد في اغلب أنحاء العالم تدرّس فيها اللغة العربية، بل انّها مخصوصة لدراسة العلوم باللغةّ العربية.

سادساً: انتشار العرب في كل بقاع العالم يساهم مساهمة فعالة في انتشار اللغة العربية.

سابعاً: انتشار حفظ وقراءة القرآن الكريم في العالم من أهم العوامل المساعدة على تعلّم اللغة العربية.

وستتوجه الشعوب إلى اللغة العربية دون إكراه أو إجبار من قبل حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

المعالم الاقتصادية والعمرانية في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

الدكتور سعيد العذاري

الخلاصة:

من أهداف حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إزالة الفقر والحرمان كمقدمة لتحقيق الرفاهية للجميع بعد طول المعاناة بسبب الظلم والاستغلال وسوء التوزيع .

فقبل قيامه يمن الله على الانسانية ببركات وخيرات تهيأ الاجواء للنمو الاقتصادي والعمراني ومنها الامطار الغزيرة المساعدة على استصلاح الارض وتنمية الثروة الزراعية والحيوانية وهي أساس النمو الاقتصادي .

وفي عهد حكومته تنتهي أسباب وعوامل الازمات الاقتصادية ويكثر المال والسيولة النقدية بحيث يكون في متناول الجميع .

وتخلق الحكومة أجواء تربوية تسمو بالانسان نحو المثل والقيم الروحية التي تتعالى على المادة .

وسياسة التوزيع الحكومية تقوم على أساس القسمة العادلة مع مراعاة الفوارق العقلية والبدنية ويكون نظام الرواتب والمخصصات متميزا ويساعد الاعلام على تشجيع المحتاجين لمراجعة دوائر الحكومة للحصول على حقهم وما يحتاجونه من خدمات.

ويرتقي الامام بالعمران بتطوير الثروات بجميع الوانها وأنواعها وتطوير الصناعة ووسائل النقل ليكون العمران واضح المعالم .

الانسان مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو روح وعقل وغرائز وجسد متعدد الجوارح، ولهذا تعددت حاجاته الروحية والمادية، وهذا الأمر فطري لايختلف ولا يتخلّف من انسان لآخر ومن جيل لآخر، وهو بحاجة إلى الرفاهية في جميع مصاديقها وميادينها، فهو بحاجة إلى المأكل والملبس والمسكن الواسع وبحاجة إلى عصب الحياة وهو المال الذي ينفقه في أموره الكمالية والرفاهية.

وقد راعى المنهج الاسلامي هذه الحاجة فلم يعطلها أو يلغيها أو يحمّل النفس الانسانية مالا تطيق، لانّ اشباع الحاجات الاساسية للانسان يمنعه من الانحرافات التي يولدها الفقر، ويمنع من الأمراض النفسية والروحية كالحسد والحقد والطمع، والهمّ بسبب الفقر والحرمان، وقد اكدت الروايات الشريفة على الآثار السلبية للفقر والحرمان، كما ورد عن الامام علي عليه السلام أنّه قال:

«انّ الفقر مذلة للنفس مدهشة للعقل جالب للهموم».

«العسر يشين الأخلاق ويوحش الرفاق».

«العسر يفسد الأخلاق».

«انْ افتقر قنط ووهن».

«الفقر يخرس الفطن عن حجته»[1].

«الفقر الموت الأكبر»[2].

وقد وضع الاسلام منهجاً اقتصادياً متكاملاً يحقق التكافل العام، والضمان الدائم، ويحقق التوازن الاقتصادي، ويزيل الفقر والحرمان، ويشبع جميع الحاجات المشروعة للانسان، وهذا المنهج الاقتصادي سيكتب له النجاح التطبيقي الاكمل والأسمى في عصر ظهور الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ حيث تكون الظروف والأحوال الطبيعية والانسانية مهيئة لتحقيق الرفاهية والرخاء وازالة شبح الفقر والحرمان، وانّ (السعادة التي تعم البشرية تحت نظام تلك

١. تصنيف غرر الحكم، ٣٦٥.

٢. نهج البلاغة، ٥٠٠.

الدولة العالمية لا تشبهها ولا تقاس عليها أيّ سعادة سابقة لأي مجتمع بشري من الزوايا: الاجتماعية والاقتصادية والثقافية)[1].

وقد دلت الروايات الشريفة على هذه الحقيقة، وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه عن عهد الامام المهدي:

«وتمطر السماء مطرها وتخرج الأرض بركاتها، وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعشه قبل ذلك»[2].

«وتنعم امتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط»[3].

«يكون في امتي المهدي عجل الله فرجه يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وتمطر السماء مطراً كعهد آدم عليه السلام وتخرج الأرض بركتها، وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعشه قبل ذلك في زمان قط»[4].

«يكون في امتي المهدي عجل الله فرجه... تتنعم أمتي في زمانه نعيماً لم يتنعم مثله قط البر والفاجر»[5].

ويصل العمران في عهده إلى أقصى مراتبه، ولا يبقى في الأرض خراب إلاّ عمرّ كما جاء عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: «القائم منّا منصور بالرعب مؤيد بالنصر... وتظهر له الكنوز، ولا يبقى في الأرض خراب إلاّ عمّر»[6].

ويتحقق العمران وتكثر الخيرات ويفيض المال ببركات وجود وظهور الامام المهدي عجل الله فرجه، وببركات التطبيق العادل للمنهج الاسلامي، وببركات الاخلاص لله تعالى من قبل انصار وأتباع الامام المهدي عجل الله فرجه وعودة الناس إلى الاستقامة.

ممهدات العمران

قبل ظهور الامام المهدي عجل الله فرجه وأثناء ظهوره تتنزل الرحمة الالهية لتمهد للعمران الاكمل

١. اليوم الموعود، ٥٢٦.
٢. الكتاب المصنّف، ج١٥، ص١٩٦.
٣. نفس المصدر، ص١٩٩.
٤. الملاحم والفتن، لابن طاووس، ص١٦٥.
٥. الزام الناصب، ج١، ١٦٣.
٦. إعلام الورى بأعلام الهدى، ٤٣٣.

وللرفاهية العظمى، وأول بوادرها نزول المطر بغزارة وهو أساس العمران الزراعي والصناعي والصحي وغير ذلك.

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا آن قيامه مطر الناس في جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير الناس مثله»[1].

وعن سعيد بن جبير قال: (انّ السنة التي يقوم فيها القائم المهدي تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة ترى آثارها وبركتها ان شاء الله)[2].

ووردت عدة روايات تنص على انّ الله تعالى يسقيه الغيث، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «يخرج في آخر امتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها...».[3]

وفي رواية: «... يرسل الماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلاّ اخرجته».[4]

وغزارة المطر مقدمة لزيادة المياه وزيادة الأنهار، وكما جاء في الروايات.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «... وتزيد المياه في دولته، وتمدُّ الأنهار، وتضعف الأرض أكلها وتستخرج الكنوز كلّها»[5].

وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «... تمدّ الانهار، وتفيض العيون، وتنبت الأرض ضعف أكلها»[6]

وممهدات العمران تتحقق بالايمان بالله تعالى والتقوى والاستغفار والالتزام بالمنهج الالهي، وهذه سنة من سنن الله تعالى في الكون والحياة، وكما جاء في الآيات الكريمة:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَات مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[7]

---

١. المصدر السابق، ٤٣٢.
٢. المصدر السابق، ٤٢٩.
٣. المستدرك على الصحيحين، ٤، ٥٥٨.
٤. الزام الناصب، ١، ١٦٤.
٥. عقد الدرر، ص١٢٠.
٦. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٤.
٧. سورة الأعراف، آية٩٦.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ...﴾.[1]

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَال وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّات وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾.[2]

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾.[3]

ومن الطبيعي ان يكون المجتمع المترقب لظهور الامام عليه السلام متوجهاً للاستغفار والتوبة، ولتقوى الله، والالتزام بتعاليمه وأوامره، والانتهاء عن نواهيه، وكذلك وجود الدولة والحكومة العادلة التي ترعى كل ذلك وتوجه المجتمع نحو الله تعالى ليسمو ويتكامل في ظل المفاهيم والقيم والموازين الالهية.

وستتحقق سنة الله تعالى التي تتبع تلك المقدمات، وتكون جزاءً لاخلاص الانسانية وتجردها لله تعالى بعد التمحيص الطويل الواقع في طريق العودة الى المفاهيم والقيم الالهية وجعلها الحاكمة على الأفكار والعواطف والممارسات.

وكثرة المياه تساهم مساهمة فعالة وأساسية في نمو الحركة العمرانية وفي مختلف جوانبها ومنها:

١. إصلاح الأراضي الزراعية.
٢. نمو النباتات الطبيعية.
٣. كثرة الماشية.
٤. كثرة الطيور.
٥. إزدياد الثروة السمكية.
٦. إزدياد الطاقة الكهربائية.
٧. توسع المواصلات البحرية.

---

١. سورة هود، آية٥٢.
٢. سورة نوح، آيات١٠، ١١، ١٢.
٣. سورة الجن، آية١٦.

٨. توسع الصحة العامة عن طريق:

ـ القضاء على تلوث البيئة.

ـ الخضار العام يدخل السرور على النفس.

ـ توفير مجالات الاصطياف.

٩. توفير فرص العمل لجميع العاطلين، وهذا يساهم في:

ـ استثمار الطاقات.

ـ القضاء على التنافس اللامشروع.

ـ زيادة الانتاج.

ـ الابداع وتحسين الانتاج.

١٠. توفر السيولة النقدية لدى جميع الوجودات:

ـ الفرد.

ـ الاسرة.

ـ المجتمع.

ـ الدولة.

أسباب الأزمة الاقتصادية والعمرانية قبل عصر الظهور

قال سبحانه وتعالى: **﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**.[١]

وفي الحديث الشريف عن الامام علي عليه السلام انّه قال: «كلكم عيال الله، والله سبحانه كافل عياله».

وقال أيضاً: «لايملك إمساك الأرزاق وإدرارها الاّ الرزاق».[٢]

---

١. سورة ابراهيم، آيات ٣٢، ٣٤.

٢. تصنيف غرر الحكم، ٣٩٦، ٣٩٧.

وماتقدّم يدل دلالة واضحة على انّ الموارد الطبيعية كافية لاشباع حاجات الانسان، فقد خلقها الله تعالى وسخرها لخدمة الإنسان، وتبقى كافية مهما ازداد عدد البشرية لانّ الحياة بيد الله تعالى والرزق بيده، وهو تعالى يتكفل أرزاق عباده، وهذه حقيقة واضحة لمن يدقق النظر في واقعنا حيث يرى انّ الموارد الطبيعية متوفرة ولكن بحاجة الى استثمار، ولا تزال ملايين الأراضي الزراعية بحاجة الى من يستثمرها، ولا تزال المعادن بحاجة الى من يستخرجها وهكذا، فالازمة الاقتصادية والعمرانية في عصرنا هذا وفي عصر ماقبل الظهور وفي جميع العصور تكمن في الانسان نفسه والذي عبّرت عنه الاية الكريمة (لَظَلُومٌ كَفَّارٌ).

وقد اكدّ العلماء على هذه الحقيقة (فظلم الانسان في توزيع الثروة وكفرانه للنعمة بعدم استغلال جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه استغلالا تاماً هما السببان المزدوجان للمشكلة التي يعيشها البائس منذ أبعد عصور التاريخ).[1]

ومن السخف (ان يقال انّ البشرية متجهة نحو المجاعة، وانّ زيادة النسل يؤدي حتماً الى قلة الارزاق في العالم، انّ ذلك انما يتحقق حين يكون الإخلاص ضئيلا والعمل مبعثراً والتشريع ظالماً).[2]

وعلى ضوء ذلك فالانسان هو المسؤول عن الأزمة أو الأزمات الاقتصادية والعمرانية بسبب ظلمه في التوزيع وكفرانه في النعمة، ومن العوامل الدخيلة في الأزمة هي:

١. عدم استثمار الموارد الطبيعية.

٢. جور وظلم الحكومات.

قال الامام علي عليه السلام: «آفة العمران جور السلطان»[3].

٣. جور وظلم الناس بعضهم بعضاً في الانفاق.

قال الامام علي عليه السلام: «ماهلك مال في برّ ولا بحرّ إلاّ لمنع الزكاة منه».[4]

---

١. اقتصادنا، ٦٧٤.

٢. تاريخ مابعد الظهور، ٧٨٨.

٣. تصنيف غرر الحكم، ٣٤٦.

٤. مستدرك الوسائل، ج٧، ص٢٢.

وقال ايضاً: «إذا منعوا الخمس بلوا بالسنين الجدبة».[1]

٤. البغي والظلم.

قال الامام علي عليه السلام: «البغي يسلب النعمة».[2]

٥. الذنوب.

قال الامام علي عليه السلام: «ما كان قوم قط في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها لأنّ الله ليس بظلام للعبيد، ولو انّ الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربهم بصدق من نيّاتهم، ووله من قلوبهم لردّ عليهم كلّ شارد، واصلح لهم كلّ فاسد»[3].

٦. الأعمال السيئة.

قال الامام علي عليه السلام: «أنّ الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر».٤

٧. إهمال الدول والشعوب للمشاريع العمرانية.

٨. الأمراض الجسيمة والنفسية.

٩. تكديس الثروة.

١٠. الاحتكار.

١١. الكسل والتواكل.

١٢. غياب الابداع والطموح بالتطور.

١٣. الربا.

١٤. الاسراف والتبذير.

١٥. الغش والاستغلال.

---

١. دستور معالم الحكم، ٢١.

٢. تصنيف غرر الحكم، ٣٤٥.

٣. نهج البلاغة، ٢٥٧.

٤. شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٧٦.

١٦. اتلاف المال بالمنكرات:
ـ شرب الخمر.
ـ لعب القمار.
ـ الملاهي.
ـ الانحراف الجنسي.
١٧. انفاق المال على السجناء.
١٨. انفاق المال والثروات على الاسلحة والحروب.
١٩. عدم الاهتمام بأصحاب الكفاءات.
٢٠. كثرة الوسطاء في المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية.
٢١. كثرة العاطلين عن العمل.
٢٢. سوء الادارة السياسية والاقتصادية.
٢٣. عدم الاخلاص في العمل.
٢٤. طغيان القيم المادية على القيم الروحية.
٢٥. الأنانية وحب الذات.

حقائق وأرقام من الواقع

انّ الموارد الطبيعية كافية لاشباع حاجات الانسانية إلاّ انّ الظلم بسوء التوزيع وكفران النعمة هو أهم عامل للأزمة الاقتصادية، وهذه حقيقة اكدتها وقائع الحياة المعاصرة، والتي سنتطرق إلى بعض منها:

وصلت ثروّة بعض الأميركيين إلى ١٠ مليارات دولار في حين لايتجاوز نصيب الانسان الافريقي دخله السنوي عن ٤٠ دولار على أحسن تقدير[١].

وهنالك المئات من التجار والامراء والحكّام وذويهم يملكون عشرات المليارات من الدولارات، وهي كافية لاشباع حاجات المحتاجين والمعوزين والفقراء في جميع أنحاء العالم.

وفي سنة ١٩٦٠ أُتلف مائة وخمس وعشرون مليون طن من الخبز في المخازن الامريكية،

١. مشكلة التخلف، ٤٣٥.

وكان هذا وحده يكفي لاشباع أكثر من خمسمائة مليون من الهنود لسنة واحدة.

وفي كل عام تتلف امريكا كميات كبيرة جداً من المواد الغذائية للاحتفاظ بذخائرها وقدرتها، وقد زاد في السنين الأخيرة ضغط الأجهزة الغربية لاستمرار القحط والجوع الموجودين في العالم.[1]

وكتب الفيلسوف (برتراندراسل): بذلت أمريكا خلال أربع عشرة سنة أربع مليارات من الدولارات لشراء فاضل الحنطة من الفلاحين، وقد بقيت ملايين الأطنان من الحنطة والشعير والذرة والجبن والزبد في مخازن الحكومة حتى فسدت، وذلك من أجل الاحتفاظ بالاسعار في الأسواق العالمية على ما هي عليه.[2]

وانفقت مئات المليارات على تصنيع وشراء الأسلحة التقليدية واسلحة الدمار الشامل.

وانفقت عشرات المليارات من الدولارات على الحيوانات الأليفة، وإلى ذلك أشارت رابطة شولمان قائلة: انّ أصحاب الكلاب والحيوانات الأليفة عموماً انفقوا ٢٣ مليار دولار في العام ١٩٩٨، ويتوقع ان يرتفع إلى أكثر من ٢٨ مليار دولار في العام المقبل.[3]

وفي اسبانيا كلفت حوادث المرور بسبب تناول الخمر خزينة الحكومة ٤ مليارات دولار امريكي في سنة ١٩٩٨.[4]

وفي امريكا لوحدها يوجد ١٥ مليون مدمن على الكحول.[5]

وافادت الاحصائية العالمية بأنّ عدد الاصابات بفايروس الايدز منذ بداية هذا الوباء وحتى الآن هي كالتالي:

مليون إصابة في امريكا الشمالية.

مليون إصابة في أمريكا اللاتينية والحوض الكاريبي.

نص مليون إصابة في أوروبا الغربية.

---

١. مجلة (روشنفكر) العدد: ٧١٩، عن: الاسلام والحضارة الغربية: ٦٢.

٢. المصدر السابق، ٦٣.

٣. نور الاسلام العدد، ٧١: ٩٠.

٤. نور الاسلام العدد ٧٣: ٩٩.

٥. نور الاسلام العدد ٥٧: ٩٤.

أكثر من ستة ملايين إصابة في أفريقيا.

مليون إصابة في جنوبي وجنوبي شرقي آسيا.[1]

وهذه السعة من الاصابات تحتاج إلى مئات الملايين من الدولارات لمكافحتها، ففي روسيا لوحدها يحتاج التصدي لهذا المرض إلى ٧٠ مليون دولار ولثمانين الف اصابة حسب الاحصاءات الرسمية.[2]

والاصابة بالايدز تعني تعطيل الانسان عن العمل أولاً وانفاق الثروة على معالجته والوقاية منه والحد من انتشاره، وكذا الحال في بقية الأمراض الناجمة عن الانحراف والشذوذ الجنسي، اضافة إلى الامراض النفسية التي تكلّف ملايين الدولارات للعلاج.

وتنفق مليارات الدولارات على اللهو والمجون اضافة إلى تعطيل الطاقات وانصرافها للعمل في الملاهي ودور الدعارة، حتى اتخذ الملايين من النساء والرجال البغاء والدعارة حرفة.

وعلى الرغم من قدرة الدول على توفير فرص العمل إلاّ انها لم تتحرك تحركاً حقيقياً في علاج مشكلة البطالة، ففي تقرير لمنظمة العمل الدولية: انّ حوالي ٨٢٠ مليون شخص من قوة العمل العالمية، عانوا من البطالة أو من البطالة الجزئية في نهاية عام ١٩٩٤.[3]

ولو كان المجتمع الدولي مجتمعاً صالحاً يتبنى الدين منهجاً له في الحياة لاستثمر جميع الأراضي وجميع الطاقات البشرية من أجل البناء والعمران، ولأنفقت الثروة في مجالات صلاح الارض والانسان.

وقد تنبأ مفكرو الغرب بانّ الرفاهية لا تتحقق إلاّ في ظل الاسلام، ومنهم المفكر موري الذي قال: (بالاسلام سيصبح كوكبنا الأرضي جنّة نعيم، تغمر فيها السعادة الحقّة خلق الله جميعاً، بالغين في ظلها مايريد الله لهم من كمال الحياة بشطريها: المادي والروحي).[4]

---

١. الجنس والنفس، ج٢، ص٢٨٠.

٢. صحيفة الوفاق العدد: ١٠٠٢، كانون الثاني ٢٠٠١.

٣. نور الاسلام، ٥٧: ٩٨.

٤. الغرب نحو الدرب بأقلام مفكريه، ٣٧٣.

كثرة المال والسيولة النقدية

يمتاز عهد الامام المهدي عجل الله فرجه بكثرة المال وتوفره، وهذا مادلت عليه الروايات الشريفة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون في أمتي المهدي ... فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط... والمال يومئذ كدوس».[1]

والكدوس: المجموع الكثير.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «... وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرض عليه لا أرب لي فيه».[2]

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام انّه قال: «إنَّ قائمنا اذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها... وتظهر الأرض من كنوزها حتى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته، فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، واستغنى الناس بما رزقهم الله من فضله».[3]

وكثرة المال ظاهرة طبيعية في حكم عادل وحكومة عادلة على رأسها إمام معصوم يديرها أشخاص ممحصون مخلصون متفانون في خدمة الدين والانسانية.

ولكثرة المال أسباب وعوامل عديدة تدور مدار العدالة والادارة الكفوءة واخلاص المسؤولين والناس معاً، ومن هذه الأسباب والعوامل:

١. الاستيلاء على خزائن الدول الكافرة والجائرة.

٢. الاستيلاء على المؤسسات الانتاجية للدول الكافرة والجائرة.

٣. الاستيلاء على الثروة الناشئة عن: الربا والغصب والرشوة والاختلاس والسرقة والقمار ومراكز الفساد.

٤. استيلاء الحكومة المهدوية على: الأراضي الموات، والأراضي المهجورة، والمناجم، والبحار، والانهار، والمياه العامة، والجبال، والوديان، والغابات، والأحراش الطبيعية.

---

١. سنن ابن ماجة ٤: ٤٥٣، المستدرك على الصحيحين ٤: ٥٥٨، روضة الواعظين: ٤٨٥.

٢. صحيح البخاري، ج٩، ص٧٤.

٣. إعلام الورى بأعلام الهدى، ص٤٣٤.

٥. إستيلاء الحكومة المهدوية على الأموال المجهولة المالك.

٦. إشراف الحكومة المهدوية على جميع المرافق الاقتصادية.

٧. التنظيم المركزي للشؤون الاقتصادية والعمرانية.

٨. إنتزاع الأرض من صاحبها اذا عطلها وأهملها حتى خربت.

٩. نشر العلوم والفنون والمهارات بين الجميع.

١٠. التشجيع على الابداع والابتكار.

١١. توفير فرص العمل للجميع والحث على العمل.

١٢. وضع وسائل العمل تحت تصرف جميع الاشخاص القادرين على العمل الفاقدين لوسائله.

١٣. مراعاة حرية إختيار نوع العمل.

١٤. الغاء دور الوسطاء في الاجارة والبيع والشراء.

١٥. الغاء الروتين والتقليل من الأعمال الادارية غير الضرورية وتحويل العاملين فيها الى عمّال منتجين.

١٦. القضاء الكلي على الربا.

١٧. منع الأعمال العقيمة كالمقامرة والسحر والشعوذة.

١٨. منع اللهو والمجون.

١٩. إستثمار الوقت.

٢٠. منع اكتناز الذهب والفضة.

٢١. منع تركيز الثروة بيد طبقة دون اخرى.

٢٢. إحلال التوازن بين الطبقات.

٢٣. المنع من التسول.

٢٤. المنع من الاسراف والتبذير.

٢٥. أخذ الخمس والزكاة والخراج.

٢٦. وضع الهدايا التي تعطى للامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أو ولاته ووزرائه وقضاته في بيت المال.

٢٧. التدخل في تحديد الأسعار.

٢٨. حماية الثروة من اللصوص والمستغلين.
٢٩. تقييم أصحاب الكفاءات وتكريمهم.
٣٠. قيام الحكومة بالخدمات المجانية في أغلب الميادين ممّا يوفرّ المال لدى الناس.

تداول الثروة وعلاقات التوزيع

في أجواء التربية المهدوية تتوجه العقول والقلوب نحو المفاهيم والقيم المعنوية، ويتعالى الانسان على اثقال الأرض متوجهاً نحو السمو والكمال ونحو رضوان الله تعالى ورضوان الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فتصبح موازينه ومقاييسه غير قائمة على أساس ماديّ، ويكون الاقتصاد أو تداول الثروة مرتبطاً بالخلق الاسلامي الرفيع وبقيم التسامح والايثار ونكران الذات والتضحية في سبيل سعادة الآخرين، ويكون الكرم والعطاء نتيجة طبيعية للالتزام بهذه القيم.

وحينما ترى البشرية انّ القائد أو الحاكم الأعلى يعيش زاهداً في الدنيا ويعيش أصحابه كذلك، فانها ستقتدي به وستتنافس في أعمال الخير وفي العطاء وبذل المال والكرم وما شابه ذلك.

وأول المفاهيم انّ المال ليس ملكاً لأحد وانّما هو مال الله وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾[1]

وقال الامام علي عليه السلام: «... انّما المال مال الله»[2].

ومن الايمان بهذا المفهوم والاعتراف بانّ المال الذي في ايدي البشرية هو من رزق الله، ينبثق البر والاحسان والتضامن بين عيال الخالق، والشعور بالاصرة الانسانية وبالاخوة، وبهذا المفهوم تتطهر النفس من الشح والبخل والطمع، وتتزكى بالبر والانفاق والبذل والاحسان.

والايمان بنعيم اليوم الآخر واستشعاره في أعماق النفس الانسانية يدفعها للانفاق والبذل، وما يدفع النفس الشحيحة الى الانفاق الاّ دافع أقوى من شهوة المال وثقلة الحرص، وهو

١. سورة المائدة، آية ١٢٠.
٢. نهج البلاغة، ١٨٣.

العوض في اليوم الآخر.

قال الامام علي عليه السلام: «انفقوا ممّا رزقكم الله عزّوجل، فانّ المنفق بمنزلة المجاهد في سبيل الله، فمن أيقن بالخلف جاد وسخت نفسه بالنفقة».[1]

وقال عليه السلام: «من تيقن انّ الله مخلف ماينفقه لم يمسك عن الانفاق»[2]

وعلى ضوء التثقيف المستمر والتربية المتواصلة ستعود البشرية الى الموازين الاسلامية في التقييم والتفاضل والتكريم، فلا يبقى للمال وللثروة ايّ مجال للتفاضل أو الافتخار، بل يكون كذلك اذا أصبح متداولا بالانفاق والعطاء والبذل.

ومن هذه الموازين ما جاء في أقوال الامام علي عليه السلام:

«العلم خير من المال، العلم يحرسك وانت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله».[3]

«ليس الخير ان يكثر مالك وولدك، ولكنّ الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك».[4]

«ان المحروم من حرم خير ماله، والمغبوط من ثقل بالصدقات والخيرات موازينه واحسن في الجنة بها مهاده وطيب على الصراط بها مسلكه».[5]

«السخاء أشرف عادة».

«الصدقة أفضل الحسنات».

«ازكى المال ما اشتري به الاخرة».[6]

«فمن أتاه الله مالا فليصل القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاءً لثوابه فإنّ فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الاخرة».[7]

---

١. الخصال، ج٢، ص٦١٩.
٢. ارشاد القلوب، ١٣٨.
٣. صفة الصفوة، ١، ٣٣٠.
٤. نثر الدرر، ١، ٢٨٢.
٥. عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٩٨.
٦. تصنيف غرر الحكم، ٣٦٧، ٣٩٥.
٧. نهج البلاغة، ١٩٨.

والى جانب هذا الانفاق التطوعي أوجب المنهج الاسلامي على المسلمين إنفاق الفائض من أموالهم على الفقراء والمعوزين من اجل اشباع حاجاتهم ومن أجل احلال التوازن الاقتصادي بين الطبقات.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾.[1]

والانفاق الواجب يصل احياناً الى حد الإجبار والاكراه في حال عدم الالتزام به أوتنفيذه، كدفع الخمس والزكاة والخراج وبعض الضرائب الاضافية، لكي لا تتكدس الثروة عند البعض دون البعض الآخر.

والتوازن الاقتصادي القائم على تداول الثروة يحقق جملة من الامور من أهمها:

١. التكافل العام.

٢. الضمان الدائم.

٣. ازالة الفقر.

٤. تهذيب النفس.

٥. المنع من الأمراض النفسية والروحية كالحسد والحقد والطمع.

والظاهر ان الاجبار والاكراه ان وقع انّما يقع في بداية عصر الظهور أو في بداية تشكيل الحكومة العالمية لوجود رواسب نفسية وسلوكية جاهلية عند البعض، والاّ فانّ الروايات تشير الى انّ البعض لايجد لصدقته ولزكاته أحداً يدفعها اليه، وذلك حينما تستقر الحكومة وتحقق بعض أهدافها عن طريق التثقيف والتربية المتواصلة الدؤوبة.

وبعد قطع أشواط من التثقيف والتربية تتجذر في النفوس والممارسات عقيدة الاستخلاف التي يقوم على أساسها المنهج الاقتصادي الاسلامي، والتي تتجسد بما يلي:

١. انّ الملكية والمال لله وحده.

٢. انّ الله تعالى أعار هذه الملكية وهذا المال للانسان.

٣. انّ الله تعالى سخر الملكية والمال لخدمة الدين والانسان.

٤. انّ الانسان خليفة الله في الارض مع الرقابة عليه.

---

١. سورة النور، آية٣٣.

٥. الملكية ليست مقياساً للتفاضل والتقييم.

٦. محاربة المبدأ الخاطئ (المال غاية) واعتباره وسيلة.

وعلى ضوء هذه العقيدة سيتنافس الجميع في اعمال الخير والبر والاحسان والبذل والعطاء، وسيتخلى الجميع عن الطمع والجشع والشح وتكديس وتجميد الثروة، وستكون في متناول الجميع.

وسيصل التكافل والتراحم الى أقصاه كما جاء في رواية عن الامام محمد الباقر عليه السلام: قيل له: أنّ أصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة، فلو أمرتهم لأطاعوك واتّبعوك، فقال: يجي أحدهم الى كيس أخيه فيأخذ منه حاجته؟ فقيل: لا، قال: فهم بدمائهم أبخل، انّ الناس في هدنة تناكحهم وتوارثهم، ويقيم عليهم الحدود، وتؤدى أمانتهم، حتى اذا قام القائم جاءت المزايلة، ويأتي الرجل الى كيس أخيه فيأخذ حاجته لا يمنعه[1].

سياسة التوزيع الحكومية

سياسة التوزيع التي ينتهجها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف تكون تجسيداً حقيقياً للعدل والقسط، وستكون موضع قبول من الجميع؛ حيث لا يبقى محتاج أو محروم، ويحصل الجميع على حاجاتهم بسهولة ويسر، حيث انّ سياسة التوزيع قائمة على خطوات وانجازات يكمّل بعضها بعضاً وتتظافر لتحقق أُمنيات الجميع، ومن هذه الخطوات والانجازات:

القسمة المتساوية

تشير الروايات الشريفة الى انّ الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يقسم المال بالسوية بين الناس، فلا تفاوت بين انسان وآخر، ولابين طبقة واخرى.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «ابشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس...، فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً».

قيل له: ماصحاحاً؟

---

١. الاختصاص، ٢٤.

قال ﷺ: «بالسوية بين الناس ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غناءً ويسعهم عدله».[1]

وفي رواية: «يقسم المال بالسوية ويجعل الله الغنى في قلوب هذه الامة».[2]

وعن الامام محمد الباقر عليه السلام: «اذا قام مهدينا أهل البيت قسّم بالسوية وعدل في الرعية».[3]

والتقسيم بالسوية له احتمالات عديدة ومنها:

١. التقسيم على الناس جميعاً.

٢. التقسيم على العاملين في الجهاز الحكومي.

٣. التقسيم على العاملين في الجهاز الحكومي وغيره.

وهذه الاحتمالات جميعها واردة لانّ المال سيكون كثيراً في عهد الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف وانّه يكفي للتقسيم على جميع الناس ويستوعبهم جميعاً.

وعلى جميع الاحتمالات فانّ تقسيم الأموال سيكون بالتساوي بلا تفاوت ولا تمييز بين عامل وآخر وموظف وآخر، ولا ينظر الى المهنة أو الاختصاص، فليس لها أي دخل بكمية المال المُعطى، فالطبيب كالمهندس وكالعامل وكالقاضي وكالموظف الاداري، فالاجور تعطى لهم بالتساوي لانهم يبذلون طاقتهم لخدمة الانسانية وخدمة الحكومة المهدوية بلا تقصير ولا خلل، وانّ التفاوت في الذكاء وفي الطاقة الجسدية أمر خارج عن إرادتهم، وهذا التساوي في الاجور له فائدته على الجميع، لانّ الانسان سيتوجه الى الاختصاص الذي يرغب فيه، أو الاختصاص الذي يساعده على الابداع وعلى خدمة الحكومة والمجتمع، على عكس مانلاحظه في واقعنا المعاصر، فالانسان يتوجه الى العمل أو الاختصاص الذي يعود له بكثرة المال والراحة والرفاهية.

وطريقة القسمة المتساوية تساعد على تجاوز كثير من الأخطاء والاشتباهات، وتجعل الانسان متفاعلا مع اختصاصه وعلى ضوء طاقته وقدرته، وقد تدفعه لتقديم خدمة اضافية في اختصاص آخر.

وهذه الطريقة لاظلم فيها بل هي عين العدل، لانّ حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف لا تقتصر

---

١. مجمع الزوائد، ج٧، ص٣١٣، بنحوه في: فرائد السمطين، ج٢، ص٣١١.

٢. الحاوي للفتاوي، ج٢، ص٦٤.

٣. عقد الدرر، ٦٧.

على هذا العطاء، بل انّها تقدّم العطاء في مجالات اخرى ولا تبخل على أحد في العطاء، وفي هذه الحالة فانّ كلّ موظف في الحكومة أو كلّ عامل فيها أو في خارجها يمكنه الحصول على ما يحتاجه من المال من الحكومة نفسها.

والأهم من ذلك انّ الغنى هو غنى النفس حيث يصل التكامل الى مراحل متقدمة تسمو فيه النفس الانسانية وتتعالى على أثقال الأرض، وتتوجه الى المعنويات والمثاليات لتكسب الربح والأوفر وهو رضوان الله تعالى ورضوان الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومع هذه المعنويات لايجد ايّ إنسان غبناً في العطاء والتوزيع بهذه الطريقة المتساوية.

نظام الرواتب والمخصصات

النظام الذي يتبعه الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يختلف عن بقية الأنظمة الادارية والاقتصادية المعمول بها في جميع العصور، حيث انّ التوزيع سيكون كلّ اسبوعين مرة، وهنالك عطاء ـ الظاهر انّه اكثر من المخصص ـ يوزع في السنة مرتين، أي كل ستة أشهر.

والتوزيع بهذه الصورة مرغوب فيه من قبل الانسان، حيث يحصل على ما يحتاجه كلّ اسبوعين يستطيع تنظيم مصروفاته على ضوئها وترتيب أوضاعه وأحواله دون قلق أو اضطراب.

روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: «كأنني بدينكم هذا لا يزال موليّاً يفحص بدمه ثمّ لا يردّه عليكم إلاّ رجل منّا أهل البيت، فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين».[1]

العطاء الجديد المتميّز

انّ عطاء الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عطاء متميز، لم يشابهه أحد قبله من قائد أو حاكم أو رئيس أو تاجر، وهذا يعني انّ عطاءه غير محدود، وانّه لايردّ أحداً في الكم والنوع، ولا يبخل عليه بشي، وبالتالي فهو يشبع جميع حاجاته ورغباته.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «... يجمع اليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها،

١. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٥٢.

فيقول للناس: تعالوا الى ماقطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ماحرّم الله عزّوجل، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله».[1]

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي عطاؤه هنيئاً»[2].

العطاء بغير عدّ

اذا تتبعنا عطاء القادة والحكّام والرؤساء والفقهاء وغيرهم وجدنا انّه عطاء محدّد ومعدود، حيث يأمر المعطي باعطاء مبلغ محدّد لطالبه، ويسجل هذا العطاء في سجل خاص، وكذا الحال لو خصصت الحكومة مساعدات ومنح مالية في الاقاليم التابعة لها، فانها ستكون معدودة بعدد، وهذا اللون من العطاء لا وجود له في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث سيكون العطاء بلا عدّ، وهذه طريقة فريدة في العطاء يختص بها الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كما ورد في الروايات الشريفة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «يكون في امتي خليفة يحثي المال حثياً لايعدّه عداً»[3].

والحثو: هو الحضن باليدين لكثرة المال.

وفي رواية: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسّم المال ولا يعده».[4]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي المال بغير عدد».[5]

وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج رجل من أهل بيتي عند إنقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثياً».[6]

وقد يشكل البعض على ذلك العطاء بانّه حالة أو ظاهرة مثالية لا يساعد عليها الواقع وان كان في ظل حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، والجواب على ذلك: انّ أغلب الناس في ذلك الزمان

١. الزام الناصب، ج١، ص١٧٣.
٢. البيان في أخبار صاحب الزمان، ٤٠٦.
٣. دلائل النبوة، ج٦، ص٣٣٠.
٤. الفصول المهمة: ٢٧٩، الفتح الكبير، ج٣، ص٤٣٣.
٥. الفتن، ٢٥١.
٦. الكتاب المصنّف، ١٥، ١٩٦.

يعيشون الغنى النفسي أولا والمادي ثانياً فلا يطلبون شيئاً من الامام أو من حكومته، وبالنتيجة انّ المحتاجين للمال سيكونون قلة قليلة، وهم مهما كثروا فانّ الأموال كافية لاشباعهم.

التشجيع على طلب الحاجات

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «ابشركم بالمهدي يبعث في امتي على اختلاف من الناس ...، فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً بالسوية بين الناس، ويملأ الله قلوب امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم غنى ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادي، فيقول: من له في المال حاجة؟ فما يقوم من الناس الاّ رجل واحد، فيقول: أنا.

فيقول: اين السدان يعني الخازن، فقل له: انّ المهدي يأمرك أن تعطيني مالا.

فيقول له: احث حتى اذا جعله في حجره وابرزه ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً أو عجز عني ما وسعهم، فيرده، فلا يقبل منه.

فيقول: انّا لا نأخذ شيئاً أعطيناه...».[1]

والرواية تدل دلالة واضحة على تشجيع المحتاجين على طلب حاجاتهم احتياطاً في إشباعها، فلعل البعض يتردد في الطلب أو إبراز الحاجة، ولكنّه سيندفع حينما يجد كرماً ولطفاً ومنادياً ينادي باشباع الحاجات.

والنداء يحفظ للانسان كرامته أو ما يسمى ماء وجهه لانّه لم يكن إبتداءً من طالب الحاجة، وانّما استجابة لنداء الحكومة التي يدير شؤونها خير أهل الأرض في ذلك الزمان.

إجابة المحتاجين

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «انّ في امتي المهدي... فيجي اليه رجل فيقول: يامهدي اعطني اعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله».[2]

---

١. الزام الناصب، ج٢، ص٤٠٦، الحاوي للفتاوي، ج٢، ص٥٨، ينابيع المودة، ج٣، ص٣٤٤.
٢. الجامع الصحيح، ج٤، ص٥٠٦، الجامع الكبير، ج٤، ص٨٦.

وفي رواية: «... فيقوم الرجل فيقول: يامهدي اعطني فيقول: خذ».[1]

وفي رواية: «... يأتيه الرجل فيسأله فيحثي له».[2]

وهذا الانجاز وغيره من الانجازات يساهم في إشباع حاجات جميع الناس فلا يعقل أن يبقى محتاج أو محروم، في ظل حكومة عادلة تعرض خدماتها على الجميع وتستجيب الى طلبات الجميع، وفي ظل مجتمع يتفاضل بالمفاهيم والقيم الصالحة، ويتنافس على أعمال البر والخير والاحسان.

وهكذا يتنعم الناس بنعمة فريدة من نوعها حيث الرفاهية والرخاء، والغنى النفسي والغنى المادّي.

إنتهاء الفقر

قال الامام علي عليه السلام: «امّا وجه الصدقات فانّما هي لأقوام ليس لهم في الإمارة نصيب ولا في العمارة حظّ ولا في التجارة مال ولا في الاجارة معرفة وقدرة، ففرض الله في أموال الأغنياء ما يقوتهم ويقوم به أودهم».[3]

والظاهر من الروايات ان هذه الأصناف لا وجود لها في حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولا وجود للمحتاجين للصدقة، فلا يبقى فقير ولا محروم ولا محتاج.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تصدقوا فانّه يوشك أحدكم أن يخرج بصدقته فلا يجد من يقبلها منه».[4]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «... وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم ربّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرض عليه لا أرب لي فيه».[5]

وقال أيضاً: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لايجد

---

١. سنن ابن ماجة، ج٤، ص٤٥٣.
٢. روضة الواعظين، ص٤٨٥.
٣. وسائل الشيعة، ج٩، ص٢١٣.
٤. مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٣٩٦.
٥. صحيح البخاري، ج٩، ص٧٤.

أحداً يأخذها».[1]

وانتهاء الفقر نتيجة طبيعية للتطبيق العادل في ظل حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ووصول البشرية الى مراتب متقدمة من الايمان والاخلاص والا رتباط بعالم الغيب والدنو من المعنويات والتعالي على أثقال الأرض.

والرفاهية التي يتمتع بها الناس في عهد الظهور نتيجة طبيعية لكثرة المال وكثرة الخيرات وتوفر المواد الغذائية والا ستهلاكية، وفي ذلك يقول ابن كثير: (وفي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم والعدو راغم، والخير في أيامه دائم).[2]

ووفرة المواد والمال معاً يؤديان الى انخفاض السعر، وبالتالي زيادة القدرة الشرائية.

ومن العوامل المؤثرة في الأسعار:

١. قانون العرض والطلب.

٢. تدخل الدولة.

٣. سياسة التجّار.

٤. أساليب الاستهلاك.

وهذه العوامل تؤثر متظافرة على الأسعار، وفي أجواء الايمان والسمو والتكامل تنطلق السياسة العادلة ويتوجه الجميع نحو تطبيق القيم الصالحة ومنها إشباع حاجات المحتاجين، وينتهي الطمع والجشع لدى التجار، وتكون علاقات التوزيع والاستهلاك عادلة، وبالتالي تقل قيمة الأسعار.

وحول قانون العرض والطلب فان المعادلة الاقتصادية تكون كالتالي:

قيمة السلعة = ندرة السلعة × الرغبة في الطلب.

والسلع في ظل حكومة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف متوفرة بشكل واسع، ويكون الطلب عليها قليلا جداً، بمعنى انّه طلب طبيعي، وكل سلعة ستكون في متناول اليد لوفرتها وقلة قيمتها النقدية.

---

١. المصدر السابق، ج٢، ص١٣٦.

٢. الفتن والملاحم، ج١، ص٣١.

والظاهر أنّ المفاهيم والقيم الاسلامية ستكون حاكمة على جميع العلاقات والممارسات، وحينما تكون المعنويات سائدة في المجتمع فانّ كثيراً من القوانين الاقتصادية والتجارية ستتغيرّ أو لا يعمل بها، ومنها: قوانين مرونة العرض، وقوانين مرونة الطلب.

المقياس العددي لمرونة العرض = الزيادة النسبية في الكمية المعروضة

الزيادة النسبية في السعر

المقياس العددي لمرونة الطلب = الزيادة النسبية في الكمية المطلوبة

النقص النسبي في السعر

حيث انّ السلع متوفرة بشكل واسع، وبالتالي معروضة بشكل واسع، اضافة إلى انّ الحكومة تقوم بخدمات مجانية، أو أن انخفاض السعر يصل إلى حد المجّان وخصوصاً إذا كان الإخاء هو السائد في العلاقات الاقتصادية وانّ الانسان يبحث عن الثواب والحصول على الحسنات قبل بحثه عن المال.

شبهة وجواب

إذا كان الامام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف يعطي من لم يسأله ومن يسأله ويشبع جميع حاجات الانسان، وانّ المال متوفر بشكل واسع وان الاسعار منخفضة جداً، فانّ جميع ذلك يدفع الانسان إلى عدم العمل والكسل وانعدام الابداع والابتكار مادام يحصل على مايريد حيث تموت فيه روح المنافسة فيخلد للراحة وللرخاء لانه يحصل على حاجاته سواء بذل جهداً أم لم يبذل!

والجواب: انّ التربية التي تسود في عهد الامام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف تجعل العمل وظيفة شرعية ومسؤولية دينية يتوجه اليها الانسان بشوق وإندفاع ذاتي، وتتعدد دوافع العمل ودوافع الابداع والابتكار ومنها:

١. الدافع الشرعي وهو طاعة الامام المهدي(عليه السلام) وطاعة الحكومة المهدوية العادلة.

٢. الحصول على رضوان الله تعالى ورضوان الامام المهدي(عليه السلام).

٣. اعتبار هذه المسؤولية كمسؤولية الجهاد حيث انّ الناس يتوجهون للجهاد بأموالهم وأنفسهم من أجل اداء التكليف الشرعي والمسؤولية الشرعية، فمن الأولى التوجه إلى العمل والابداع والابتكار.

٤. الدافع الانساني للعمل لتأمين الغذاء والسلع والخدمات لأبناء دينه وأمته ومدينته.

٥. الحب الذاتي للعمل وللاختصاص وللمهنة.

٦. إحترام الأعراف الاجتماعية السائدة.

٧. الانقياد للموازين الاسلامية المتحكمة في الحياة والتي تقدّم منفعة الناس على المنافع الشخصية والذاتية.

والدوافع المعنوية والروحية للعمل تجعله يختلف عن العمل بدافع الحصول على اجور مادية، فهو يتميز عنه في أغلب الأحيان بنقطتين أو بميزتين:

١. الإخلاص في العمل.

٢. الإتقان في العمل.

امثلة من الواقع

وفاءً منّا للمخلصين وللصالحين نذكر نماذج عملية من واقعنا عاشت الاخلاص للعمل والاخلاص للدين والاخلاص للقيم دون ان تبحث عن اجر من أُجور الدنيا، وهذه النماذج تتكرر كل حين وكل زمن وتصل إلى القمة في عهد الامام المهدي(عليه السلام) بعد التمحيص الذي تمر به الانسانية:

١. الكثير من التجّار الايرانيين رفدوا الجبهة بأموالهم، واشتركوا في الخطوط المتقدمة لها حباً للثواب وحباً للامام الخميني(رضي الله عنه) وإخلاصاً للدين والوطن.

٢. الكثير من قوات التعبئة الايرانية كانوا ينفقون مخصصاتهم الشهرية على المحتاجين من اخوانهم المجاهدين.

٣. الكثير من المجاهدين العراقيين المتطوعين في قوات الشهيد الصدر في معسكر «غيور أصلي» في الثمانينات كانوا لايستلمون المساعدات والمعونات المقدّمة لهم لأنّهم يرون انهم لايحتاجونها وهم في الخطوط الأمامية للجهاد، وان الشهادة هي هدفهم.

٤. الشهيد أبو علوي الموسوي كان يتبرع براتبه ـ قبل الزواج ـ للمحتاجين من المجاهدين، وقد وصلت له هدية من أخيه في فرنسا تعادل ثلاثين ضعفاً لراتبه الشهري، فتبرع بها.

٥. المجاهد «عدنان الأسدي» أبو غسان يترك محلّه في السوق ويلتحق هو وإبناؤه وأبناء

أخيه بجبهات القتال ويفضل التضحية على الحياة الرغيدة، فيقدّم ولديه شهيدين في سبيل الله، وهو قادر على ان يصبح من الرأسماليين المتقدمين بمساعدة ولديه له، ولكنّه توجه للجهاد بلا أجور أو باجور لا تعادل عُشر مايحصل عليه من العمل.

٦. حينما خرج إقليم كردستان العراق عن سيطرة الحكومة المركزية بقي الموظفون من اطباء ومهندسين ومعلمين وعمّال وشرطة وغيرهم يعملون في دوائرهم دون أُجور لعدة أشهر حباً منهم للعمل، وهم غير مضطرين للعمل وبامكانهم الخروج من كردستان، ولكنّهم اثروا خدمة شعبهم على الاجور.

٧. الكثير من المعلّمين يقومون بتدريس طلاب الابتدائية والمتوسطة والثانوية في العطلة الصيفية وبلا اجور لارتباطهم النفسي والعاطفي بحب التعليم، ونذكر منهم السيد طالب جواد المرعبي.

٨. عشرات بل مئات بل آلاف المبلغين الذين يبلّغون للاسلام مجاناً، بل يقدمون أنفسهم وأرواحهم من أجل تبليغ المفاهيم والقيم الاسلامية.

المعالم العمرانية

في عصر الظهور يصل العمران إلى مراحل متقدّمة في جميع المجالات والميادين، وتتظافر الجهود من أجل الإحياء والبناء وعمران الأرض والحياة، وتساهم جميع العوامل المؤثرة في دفع حركة العمران نحو الأمام، ومن هذه العوامل:

١. الرعاية الالهية.

٢. وجود القائد المعصوم.

٣. وجود الممّحصين المخلصين.

٤. الاندفاع الذاتي.

٥. الإخلاص.

٦. طواعية الطبيعة.

وفي جميع الأحوال فانّ أي أمر يمكن تحققه بدون معجزة، فهو يتحقق تبعاً للظروف والأحوال والقوانين الطبيعية التي أو دعها الله في الكون والحياة، وليس من الضروري أن

تكون الأمور قائمة بالمعاجز، فقد يصل الوعي الانساني إلى قمّته فيكون قادراً على الابداع والابتكار وتذليل الطبيعة وتسخيرها بما ينفع البشرية وينسجم في نفس الوقت مع الثوابت الشرعية.

وفيما يلي نستعرض المعالم العمرانية في عهد الظهور:

أولاً: الثروة الزراعية

في عصر الظهور ستصلح جميع الأراضي لتكون قابلة للزراعة أو غير الزراعة كما ورد عن الامام محمد الباقر عليه السلام انّه قال: «... ولا يبقى في الأرض خراب إلاّ عمر».[1]

ووردت روايات تتحدث عن عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً وذكرت أرض العرب باعتبارها معهودة في اذهان أبناء المدينة آنذاك، بالاضافة إلى انّها تملك صحاري شاسعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله لا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً».[2]

ووردت روايات عديدة عنه صلى الله عليه وآله وسلم حول إخراج الأرض نباتها، وهي اشارة إلى نمو الثروة الزراعية بشكل واسع.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج المهدي في أمتي يبعثه الله غياثاً للنّاس تنعم الامة، وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً»[3].

وفي رواية قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فيبعث الله عزّ وجلّ رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلاّ اخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً الاّ صبته عليهم مدراراً... تتمنى الإحياء الأموات ممّا صنع الله عزّ وجلّ بأهل الأرض من خيره».[4]

ووردت عملية اخراج الأرض للنبات بصيغ اخرى، منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «... ولا تحبس

١. إعلام الورى بأعلام الهدى، ٤٣٣.
٢. مصابيح السنة، ج٣، ص٤٨٨؛ مرقاة المفاتيح، ج٩، ص٣٣٥.
٣. الحاوي للفتاوى، ج٢، ص٦٣؛ كشف الغمّة، ج٢، ص٤٧٠.
٤. المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٤٦٥.

الأرض شيئاً من نباتها»[1].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «... وتخرج الأرض بركاتها».[2]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «... وتنبت الأرض ضعف اكلها».[3]

وقد وصف الامام علي عليه السلام إزدهار الثروة الزراعية قائلاً: «لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها... حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لاتضع قدميها إلاّ على النبات...»[4].

وفي رواية: «حتى تمشي بين العراق والشام لا تضع قدماً إلاّ على النبات»[5].

ثانياً: الثروة المائية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... وتزيد المياه في دولته، وتمدّ الأنهار».[6]

وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «... تمدّ الأنهار وتفيض العيون».[7]

وزيادة المياه ناجمة عن زيادة المطر، وينجم عنها زيادة الأنهار وتوسعها طبيعياً.

وأحياناً تكون التوسعة بأمر من الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وكما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: «... ثم يأمر من يحفر من ظهر مشهد الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغريين حتى ينزل الماء في النجف، ويعمل على فوهته القناطير والارحاء...».[8]

وزيادة المياه تساعد على انشاء المراكب للنقل وللسياحة وللنزهة أو العمل، وما شابه ذلك.

قال الامام علي عليه السلام: «ثم يأمر المهدي بانشاء مراكب فيبني أربعمائة سفينة في ساحل

---

١. روضة الواعظين، ٤٨٥.
٢. الكتاب المصنّف، ج١٥، ص١٩٦.
٣. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٤.
٤. الخصال، ج٢، ص٦٢٦.
٥. منتخب الأنوار المضيئة، ص٣٥٦.
٦. عقد الدرر، ص١٢٠.
٧. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٤.
٨. إعلام الورى بأعلام الهدى، ٤٣٠.

عكا».[1]

وحفر الانهار وانشاء السفن لا يقتصر على ماذكرته الرواية، فلعلّها ذكرت ذلك من باب المثال، أو ذكرت مصداقاً من مصاديق العمران، وإلاّ فانّ التوسعة في العمران ستكون ممتدة في جميع بقاع الأرض.

ثالثاً: الثروة الحيوانية

توفير المياه والنبات يؤدي إلى نمو الثروة الحيوانية، فمن الطبيعي ان تكثر الحيوانات الأليفة والصالحة للأكل، وقد دلت الروايات على ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج المهدي في أمتي يبعثه الله غياثاً للناس تنعم الامة وتعيش الماشية وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً».٢

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج في آخر امتي المهدي، يسقيه الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية وتعظم الامة»[3].

ولكثرة الماشية أسباب وعوامل ممكنة وهي اهتمام حكومة الامام المهدي(عليه السلام)بهذا الأمر ووجود رغبة عند الكثير من الناس لاقتناء الماشية وتكثيرها، وليس ببعيد ان يقوم الانسان بتربيتها أو تنميتها في بيته، وقد دلت الروايات على أهمية هذا العمل، وعلى ايجابيات تدجين الحيوانات، واقتنائها في البيوت، وخصوصاً إذا آمنا بانّ البيوت ستتوسع في مساحتها وشكلها، أو قد يملك الانسان بيتين أحدهما للسكن والثاني لتربية الماشية.

وقد يصبح تدجين الحيوانات وتربيتها، أو يصبح الرعي ظاهرة مدنية وحضارية في نظر أهل ذلك الزمان، لانه يقع في طريق خدمة الناس.

رابعاً: الثروة المعدنية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من ولدي... يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك».[4]

---

١. الزام الناصب، ج٢، ص٢٨٨.
٢. الحاوي للفتاوي، ج٢، ص٦٣.
٣. المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٥٥٨؛ كنز العمّال، ج١٤، ص٢٧٣.
٤. الزام الناصب، ج١، ص٦٣؛ فرائد السمطين، ج٢، ص٣١٤.

وقال ﷺ: «وتقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً».[1]

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام انّه قال: «... وتظهر الأرض من كنوزها حتى يراها الناس على وجهها».[2]

وفي رواية عن رسول الله ﷺ قال: «... ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها».[3]

وظهور المعادن أو اكتشافها أو استخراجها أمّا ان يكون بشكل اعجازي في بعض الأحيان وهذا ممكن، وأمّا ان يكون عن طريق العمل والبحث، وأحياناً تصبح لدى الناس خبرة بالأرض التي تحتوي على المعادن عن طريق شكل الأرض أو بعض العلامات.

وظهور وكثرة المعادن ظاهرة طبيعية، فالامام المهدي عجل الله فرجه كقائد للحكومة سيأمر باستخراج المعادن فيتوجه المهندسون والعمّال لهذا العمل، وأحياناً يفسح المجال لعموم الناس لاستخراج المعادن، وفي كلتا الحالتين فانّ العمل سيكون قائماً في هذا المجال بعد توفر التسهيلات من قبل الحكومة، وبعد تظافر الجهود والطاقات للعمل معاً.

خامساً: البناء والتعمير

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «انّه إذا تناهت الامور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى كل منخفض من الأرض، وخفض كل مرتفع منها حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فايّكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها».[4]

وهذا الترتيب في الأرض امّا ان نحمله على العمل الاعجازي وهو ممكن أو نحمله على العمل الطبيعي، أو نحمله على كليهما، حيث يأتي الاعجاز في المجالات التي يتوقف عليها حين يعجز الانسان عن عملها، وإلاّ فكل أمر مقدور من قبل الانسان يترك له للعمل بلا

١. مصابيح السنة، ج٣، ص٤٨٩؛ مرقاة المفاتيح، ج٩، ص٣٣٨.
٢. إعلام الورى بأعلام الهدى، ص٤٣٤.
٣. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٢٣.
٤. كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٧٤.

حاجة إلى معجزة.

وكذا الحال في الخبر المرفوع عن عبد الله بن عمرو بن العاص: (يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاً).[1]

ومن انجازات الامام المهدي عليه السلام في مجال البناء بناء أوسع مسجد في العالم.

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد عليه السلام بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهري كربلاء».[2]

ولا مبالغة في مساحة هذا المسجد؛ لأنّ الناس سيقدمون من جميع أنحاء العالم للصلاة خلف الامام المهدي عجل الله فرجه، ومع كثرتهم لايسعهم إلاّ مسجد كهذا له ألف باب، اضافة إلى ذلك فانّ الكوفة ستصبح عاصمة للعالم، وهذا يستلزم كثرة السكان فيها، وكثرة المسافرين والزوّار اليها، ففيها الامام المهدي عجل الله فرجه وفيها الصالحون من أنصاره، وفيها مقام الامام علي عليه السلام ومقام الامام الحسين(عليه السلام) حيث تتصل الكوفة بكربلاء، وفيها مقام العشرات من الأولياء والصالحين.

ومن انجازاته عجل الله فرجه كما ورد عن الامام الباقر عليه السلام: «إذا قام القائم عجل الله فرجه سار إلى الكوفة وهدم بها أربع مساجد، ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلاّ هدمه وجعلها جماً، ووسع الطريق الاعظم، وكسر كل جناح خارج في الطريق، وأبطل الكنف والميازيب، ولا يترك بدعة إلاّ ازالها، ولا سنة إلاّ أقامها»[3]

وفي رواية عن الامام الباقر عليه السلام قال: «... ويوسع الطريق الاعظم فيصير ستين ذراعاً، ويهدم كل مسجد على الطريق».[4]

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم عجل الله فرجه هدم المسجد الحرام حتى يردّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه».[5]

---

١. الفتن، لنعيم بن حماد، ٢٦٣.
٢. الارشاد، ٣٦٢، كشف الغمة ج٢، ص٤٦٣.
٣. إعلام الورى بأعلام الهدى، ٤٣٢.
٤. منتخب الانوار المضيئة، ٣٤١.
٥. الارشاد، ٣٤٣.

وفي رواية اخرى عنه صلى الله عليه وآله انّه قال: «القائم يهدم المسجد الحرام حتى يردّه إلى اساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه، واقامه على اساسه...».[1]

سادساً: التطور التقني

عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: «انّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون اليه، وهو في مكانه».[2]

وقال عليه السلام: «انّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي في المشرق».[3]

وهذه الأخبار كان ينظر اليها كأمور اعجازية إلى وقت قريب، ناهيك عن عصر صدورها، امّا في زماننا الحاضر فانّ الامر معقول جداً بعد انتشار الانترنيت وما يرتبط به من تطورات، إضافة إلى النقل المباشر عبر الفضائيات، والظاهر من الروايات ان هذا التطهور التقني سيدخل في كلّ بيت وليس محدوداً كما هو الحال في هذا العصر، فهو محدود لعدم قدرة الجميع على شرائه في ظروف الفقر والجوع والحرمان، وسيكون التطور التقني في عصر الظهور رحمة للناس جميعاً، وأول الرحمة انهم يرون إمامهم ويكلمّونه.

ووردت روايات عديدة حول التطور التقني، ظاهرها الحمل على الأمر الاعجازي، ويمكن حملها على التطور التقني، ويمكن الجمع بينهما.

عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: «إذا أذن الامام دعا الله باسمه... فاتيحت له صحابته الثلاثمائة وثلاثة عشر قزع كقزع الخريف وهم أصحاب الألوية، منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً...».[4]

وفي رواية عن الامام محمد الباقر عليه السلام يشير فيها إلى طي الأرض قائلاً: «... وتصير اليه

---

١. الغيبة، للطوسي، ٢٨٢
٢. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٣٦.
٣. المصدر السابق، ص٣٩١.
٤. المصدر السابق، ص٣٦٨.

شيعته من اطراف الأرض، تطوى لهم طياً حتى يبايعوه».[1]

وعن عبد الله بن عجلان قال: ذكرنا خروج القائم عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت: كيف لنا ان نعلم ذلك؟

قال: «يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب (طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ)».[2]

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض كلّ اقليم رجلاً يقول: عهدك في كفّك، فإذا ورد عليك مالا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه، فانظر إلى كفك واعمل بما فيها».[3]

وقال عليه السلام: «ويبعث جنداً الى القسطنطينيّة فاذا بلغوا الى الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء، فاذا نظر اليهم يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم باب المدينة فيدخلونها فيحكمون فيها بما يريدون».[4]

وهذه الاخبار امّا ان تحمل على ظاهرها وتفسر بالمعجزة، وامّا أن تحمل على التطور التقني، وقد أشارت اليه الروايات بلغة الرموز لعدم استيعاب عقول ذلك الزمان لهذا التطور، وعدم إدراكهم لحقيقته.

وفي جميع الأحوال فانّ التطور التقني حقيقة موضوعية، وانّ الحياة متوجهة نحو التطور عن طريق الابداع والابتكار، والتطور ضروري في عهد الامام المهدي عجل الله فرجه لقيام الحكومة الواحدة وهي بحاجة الى سرعة المواصلات والاتصالات.

---

١. عقد الدرر، ٩٨.

٢. بحار الانوار، ٥٢، ٣٠٥.

٣. المصدر السابق، ص٣٦٥.

٤. المصدر السابق.

التمهيد للظهور، رسالة المنتظرين

ابراهيم انصاري

قال تعالى: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.[1]

سأعرض في مقالتي هذه إضاءات في عقيدة الإنتظار وكيفية التحلّى به و تطبيقه في الحياة الفردية والإجتماعية، وستكون للكلمة خمسة محاور رئيسة تدور حولها الإضاءات كما أنّ لكلّ محور عددا من المقامات التفصيلية:

المحور الأوّل: مدخل قرآني في علّة الإنتظار:

المقام الأوّل: الخلافة الإلهيّة في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] الظاهر من الآية المباركة حيث أطلقت فيها كلمة "الجعل" دون "الخلق" أنّه ليس المراد أنّ آدم نفسَه هو خليفة الله في الأرض بل كان خلق آدم لأجل تلك الخلافة التّي سوف يمنحها ويجعلها سبحانه لبعضٍ من وُلده وهم الخُلَّص من عباده وهم الذين يجدر أن يطلق عليهم الإنسانُ الكامل بمعنى الكلمة وهم الذين ورد في شأنهم (خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه مُحدقين حتَّى منَّ علينا بكم

١. هود، ٨٦.

٢. البقرة، ٣٠.

فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه)[1] وبالطبع هم نور واحد وحقيقة فاردة وإن تكثّروا في عالم الطبيعة ومن هنا نشاهد أنّه سبحانه لم يذكر الخليفة بصورة الجمع فلم يقل خلائف أو خلفاء بل جعلها مفردة وهذه الخلافة هي الأمانة الإلهيَّة بعينها و تعني النيابة عنه تعالى في جميع شئونه وصفاته الجمالية والجلالية وهو أمر عظيم قد ذكره سبحانه في قوله: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾[2]

والسر في تحمله تلك الأمانه يكمن في أنّه مظهر لأسماء الله الجلالية والجلال معاً بخلاف سائر الموجودات حيث أنّها إمّا هي تجليات الجمال كالملائكة أو تجليات الجلال كالجنّ و بعض الحيوانات ولذلك قال سبحانه مخاطباً لإبليس: ﴿**يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ**﴾[3]

قال الإمام الخميني قدِّس سرُّه:

"فهو تعالى بحسب مقام الإلهية مستجمع للصفات المتقابلة كالرحمة والغضب، و البطون والظهور، و الأوّليَّة والآخريّة، و السخط والرضا، وخليفته لقربه إليه ودنّوه بعالم الوحدة والبساطة مخلوق بيدي اللطف والقهر وهو مستجمع للصفات المتقابلة كحضرة المستخلف عنه. ولهذا اعترض على إبليس بقوله تعالى: ﴿ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[4]. مع أنّك مخلوق بيد واحدة. فكل صفة متعلقةٌ باللطف فهي صفة الجمال، وكل ما يتعلق بالقهر فهو من صفة الجلال. فظهور العالم ونورانيّته وبهائه من الجمال وانقهاره تحت سطوع نوره وسلطة كبريائه من الجلال وظهور الجلال بالجمال واختفاء الجمال بالجلال. جمالك في كل الحقايق ساير وليس له إلاّ جلالك ساتر"[5]

---

١. بحار الأنوار، ج١٠٠، البلد الأمين، ص٣٠٠.

٢. الأحزاب، ٧٢.

٣. ص، ٧٥.

٤. ص، ٧٥.

٥. شرح دعاء السحر، ص٤٠- ٤١.

وعندما اعترضت أو بالأحرى سألت الملائكة ربّها ﴿...**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1] أجابهم سبحانه و ﴿**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[2]

فلم يُنكر سبحانه تلك الأمور أعني الإفساد في الأرض وسفك الدماء كظاهرة سوف تصدر من هذا البشر بل الظاهر أنَّه قد قرَّرها، ولكنه سبحانه بيَّن للملائكة أنَّهم جاهلون بحقيقة الأمر.

ومن هنا ظهرت مقولة مقدّسة قد تحلّت بها الملائكة ألا وهي "الإنتظار" وأعني به انتظار أمر البشر، فهل سيرتقي إلى قمّة الكمال والعروج والهداية أو كما ظنّت الملائكة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء؟

المقام الثاني: الإنتظار لغةً واصطلاحاً.

قال صاحب المفردات في مادة نظر: النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص...والنظر الانتظار يقال نظرته وانتظرته و أنظرته.

وأيضاً قال: في مادة "صبر" ويعبّر عن الانتظار بالصبر لما كان حق الانتظار أن لا ينفك عن الصبر بل هو نوع من الصبر، قال: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ)[3] أي انتظر حكمه لك على الكافرين.

أقول: " إنَّ هذا الاستعمال هو استعمال مجازي من باب استعمال اللازم وإرادة الملزوم وهو شائع في كلام العرب. هذا و للانتظار معنىً في الاصطلاح ويعنى به خصوص انتظار "فرج الله" الذي هو فرج حجة الله الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر روحي و أرواح العالمين له الفداء الذي به يكشف الله الغم و ينفِّس الهم، ومن هذا المنطلق تُبعت الكلمة بكلمة الفَرَج الذي هو الانكشاف، وهذا المعنى للكلمة هو المقصود منه في أحاديثنا الشريفة.

١. البقرة، ٣٠.

٢. البقرة، ٣٠.

٣. الإنسان، ٢٤.

المقام الثالث: شواهد قرآنية دالة على الإنتظار:

هناك آيات كثيرة تؤكّد على ضرورة الإنتظار وأعنى به (انتظار الأمر) أمر الفرج والمخرج والهداية والكمال، حيث أنّه من أعظم المقدّسات الإلهية وهو ذروة العشق ففي كتاب إكمال الدين باسناده عن (يَحْيَى بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ قَالَ سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ (الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) فَقَالَ الْمُتَّقُونَ شِيعَةُ عَلِيٍّ عليه السلام، وَ أَمَّا الْغَيْبُ فَهُوَ الْحُجَّةُ الْغَائِبُ وَ شَاهِدُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)[1].

وعند التأمّل في سيرة الأنبياء والأولياء نشاهد أنّ من أهم أمنياتهم و أشدّ آمالهم هو مجيء المهدي عليه السلام الذي به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلا، وكانوا دائماً بصدد هداية الناس إلى أمره الذي هو أمر الله بعينه كما قال تعالى في توصيفهم (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ...)[2] ومن هذا المنطلق نشاهد أنّ الأنبياء كانوا دائماً يذكرون ذلك الأمر ويشتاقون إليه كما صرّح بذلك القرآن الكريم في مواطن عديدة عن لسان كثير منهم كما ورد عن لسان لوط عليه السلام **﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾**[3] (في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده إلى أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: ما كان قول لوط: **﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾**[4] الا تمنيا لقوة القائم عليه السلام، ولا ذكر (ركن) الا شدة أصحابه، لان الرجل منهم يعطي قوة أربعين رجلا وان قلبه لاشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد لقطعوها لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله عزوجل)[5]

وأيضاً ما ورد عن لسان شعيب **﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾**[6] ففي اصول الكافي. باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سأله رجل عن القائم يسلّم

---

١. بحارالأنوار، ج ٥١، ص٥٣.
٢. الأنبياء، ٧٣.
٣. هود، ٨٠
٤. هود، ٨٠.
٥. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٢٨.
٦. هود، ٨٦.

عليه بامرة المؤمنين؟ قال: لا ذاك اسم سمى الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسمّ به أحد قبله ولا يتسمّى به بعده إلا كافر، قلت: جعلت فداك كيف يسلِّم؟ قال: يقولون السلام عليك يابقية الله، ثم قرأ: بقية الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين)[1]

المحور الثاني: إنتظار الفرج:

المقام الأوّل: أهمّية إنتظار الفرج:

عندما نتمعَّن في الأحاديث المختلفة الصادرة عن المعصومين عليهم السلام نستنتج أنَّ الأعمال كلَّها مع ما فيها من الأهميَّة والاعتبار فهي قليلة الشأن في قبال الانتظار فهو: (أفضل الأعمال)[2] فجميع الأعمال العبادية مع ما لها من القدسيَّة والروحانيَّة دون مستوى الانتظار فهو: (أفضل عبادة الأمَّة)[3] والجدير بالذكر أنَّ هذه العبادة أعني الانتظار قد دخلت في ساحة أهمّ العبادات وهو الجهاد في سبيل الله وصار "أفضل جهاد الأمة" كما في الحديث التالي الصادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حيث قال (أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج)[4] ومن زاوية عرفانيَّة فللانتظار أيضاً مستوى رفيع من العرفان والروحانيَّة حيث صار "أحبَ الأعمال إلى الله" حتَّى وصل المنتظر إلى مستوى الشهيد في سبيل الله.

(قال أمير المؤمنين عليه السلام: انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحبَّ الأعمال إلى الله عزَّ وجل انتظار الفرج... و المنتظرُ لأمرنا كالمتشحِّطِ بدمه في سبيل الله)[5]

فما هو الأمر المتوقع من المجاهد في سبيل الله حين الجهاد ؟ وما قيمة المجاهد لولا النيّةُ الصادقة المنطلقة من رضا الله ؟ هذا الأمر بنفسه في أعلى مستواه متوفِّرٌ في المنتظر الحقيقي الذي يتمنَّى في كلِّ صباحٍ ومساءٍ أن يعيش في ظلِّ ذلك المعشوق روحي لتراب مقدمه الفداء و لسان حاله: (فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملبياً دعوةَ الداعي

١. الكافي، ج١، ص٤١٢.
٢. بحار الأنوار، ج١٠، ص٩٩ و ج ٥٢، ص١٢٢.
٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص١٢٢ و ج ٥٢، ص١٢٥.
٤. بحار الأنوار ج ٧٧ ص١٤٣، تحف العقول ص٣٧.
٥. بحار الأنوار ج ٥٢ ص١٢٣.

في الحاضرِ و البادي)[1] وهو بقربه إلى الله وشهوده مقامَ ربِّه صار كالشهيد متشحِّطاً بدمه في سبيل الله، وليس للشهيد خصوصيةٌ في الخارج بل الخصوصية والقيمة لمفهوم الشهادة التي تعني الوصول إلى الله وشهود وجه المحبوب، والمنتظِر يؤدِّي نفس الدور حيث يشاهد وجهَ ربه وهو في نفس الوقت يعيش مع الناس. والحديث التالي قد بيَّن السر الذي رفع مستوى الانتظار إلى هذه الدرجة:

(عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: تمتدُّ الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم و الأئمة بعده، يا أبا خالد إنَّ أهل زمان غيبته والقائلين بإمامته المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى ذكرُه أعطاهم من العقول و الأفهام و المعرفة ما صارت به الغيبةُ عندهم بمنزلةِ المشاهدة وجَعلهم في ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله و سلَّم بالسيف، أولئك المخلصون حقاً و شيعتُنا صدقاً و الدعاةُ إلى دين الله سراً و جهراً)[2]

وهناك أحاديث تؤكِّد على أنَّ "انتظار الفرج من الفرج" بل "انتظار الفرج من أعظم الفرج". (...عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال سألته عن شئٍ من الفرج فقال أليس انتظار الفرج من الفرج ؟ إنَّ الله عزَّ و جلَّ يقول فانتظروا إنِّي معكم من المنتظرين)[3]وهذا المعنى من الانتظار قد اكتسب قسطاً من القدسية والاعتبار بحيث صار من علائم الإخلاص الحقيقي والتشيُّع الصادق ومن مميزات الدعاة إلى دين الله سراً وجهراً و قد ورد في الحديث: (..أولئك المخلصون حقا و شيعتنا صدقا و الدعاة إلى دين الله سرا و جهرا..)[4]

المقام الثاني: السرّ في أهميّة الإنتظار:

إن التقييم في المنطق الإلهي يختلف تماماً عن التقييم في المنطق المادِّي ومن الخطأ جداً محاولة تقييم القضايا المعنوية الراقية والمفاهيم الروحانية السامية بالمعايير الماديَّة، حيث أن هناك بونًا

١. بحار الأنوار ج ٥٣ ص٩٦، البلد الأمين ص٨٢.

٢. بحار الأنوار ج ٥٢ ص١٢٢، الاحتجاج ص٣١٧، كمال الدين ص٣١٩.

٣. بحار الأنوار ج٥٢ ص١٢٨.

٤. بحار الأنوار ج ٣٦ ص٣٨٧

بعيداً بينهما بل هما في طرفي النقيض، وقد وصل التضادّ بينهما إلى مستوى بحيث لا يمكن أن ينقطع الإنسان إلى المعنويات إلا بالابتعاد الكامل عن الماديّات، ولا أعنى من الإبتعاد عن المادة هو تركها من رأس بل أعني الزهد فيها وعدم انشغال الذهن بها.

فبما أنّ الله سبحانه هو القدّوس فمن المستحيل أن يتحلّى أمر ما بالقدسيّة إلاّ بارتباطه بالله تقدّس وتعالى، وقدسيةُ الشيء تزيد و تنقص حسب ظهور اسم الله فيه، فلنترك إذاً المجال المادي ولنبحث عن الأفضلية في الساحة الإلهية المعنوية.

وحينما نتحدّث عن انتظار فرجِ الله فلابدّ أن نبحث عن الإسم الذي يندرج فيه الفرج ؟ إنّ الرفج في الحقيقة يندرج تحت اسم "الكاشف" ففي الدعاء: (يا صريخ المكروبين و يا مجيب المضطرين و يا كاشف الكرب العظيم)[1] (يا كاشف الغم)[2] (يا كاشف الكرب العظام)[3] فماذا بعد الفرج إلا كشف الكربة عن وجه المؤمن برؤية الواقع والأمر، حينما تتحقق تلك الدولة العظيمة التي يعزّ بها الله الإسلام واهله ويذل النفاق و أهله.

فالانتظار إذاً له نتيجتان:

١ -إنَّه بالفعل يُحقِّق "كشف الكربة" بنحو مجمل.

٢ -إنَّه عاملٌ جذري أساسي للفرج بظهوره سلام الله عليه حيث يسود الحكمُ الإلهي الأرضَ كلّها.

المحور الثالث: الهدف من الإنتظار:

المقام الأوّل: التقرّب إلى الله:

لا يخفى على كلِّ من آمن بالله سبحانه أنه ليس في القاموس الإلهي إلاّ ميزان واحد يقاس به الأفضلية وهو الميزان الحقيقي ألا و هو الحق، وغيرُ الحق لا تعدُّ موازين بل يُترائى أنها موازين فلا حقيقة لها ولا ثِقل فيها، قال تعالي: **﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا**

١. بحار الأنوار ج ٨٦ ص٣٢٣

٢. بحار الأنوار ج ٣٦ ص٢٠٥

٣. بحار الأنوار ج ٨٦ ص٢٣٥

يَظْلِمُونَ﴾[1]. **﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّا تُصْرَفُونَ﴾**.[2]

والوصول إلى الحق يعني "التقرب إلى الله سبحانه وتعالى"، فينبغي أن يكون هدف المنتظر هو الوصول إلى القرب الإلهي ورضاه جلّ وعلا، وبذلك يمكننا تقييم أعمالنا، فوزانُ الانتظار وزانُ النية التي هي خير من العمل حيث جاء في الحديث: (نية المؤمن خير من عمله)[3] لأن هذه النية من ناحيةٍ هي التِّي ترفع مستوى الإنسان ومن ناحية أخرى تلازم العمل بل توجده قال تعالى: **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾**.[4]

فالرؤية المهدوية هي التي تصحح سائر الأعمال من العبادات وغيرها، وقد ورد في دعاء الندبة (وَ اجْعَلْ صَلَاتَنَا بِهِ مَقْبُولَةً وَ ذُنُوبَنَا بِهِ مَغْفُورَةً وَ دُعَاءَنَا بِهِ مُسْتَجَاباً وَ اجْعَلْ أَرْزَاقَنَا بِهِ مَبْسُوطَةً وَ هُمُومَنَا بِهِ مَكْفِيَّةً وَ حَوَائِجَنَا بِهِ مَقْضِيَّةً)[5]

المقام الثاني: تنمية روحية الرجاء بالله تعالى:

إنَّ من أهم نتائج انتظار الفرج تنميةَ روحيةِ الرجاء بالله في الإنسان المؤمن، حيث يُشاهد أمامَه مجالاً وسيعاً من الفضل والكرم والخير الإلهي الذي سوف تظهر مصداقيَّتُها في تلك الدولة العظيمة المباركة، وهي دولة المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه، تلك الدولة الكريمة التِّي يعزُّ الله بها الإسلام وأهلَه ويذلُّ بها النفاق وأهلَه، ومن الطبيعي أن من يحوز على تلك الرؤية النورانيَّة أن يترفَّع عن الدنيا و زخرفها و مغرياتها وتسويلاتها الشيطانية، وهذا الأمر (أعني تحقير المظاهر الدنيويَّة) هو أوَّل خطوة يخطوها السالك إلى الله وهي (التخلية) التِّي تستتبعها (التحلية)، ومثل هذا الإنسان المؤمن قد وصل بالفعل إلى مُستوى من العرفان والعبودية بحيث يكون لسان مقالِه و حالِه وعملِه هو: (صلِّ على محمدٍ و آل محمد و أثبتْ رجائك في قلبي واقطعْ رجائي عمَّن سواك حتى لا أرجو إلا

---

١. الأعراف/٨،٩

٢. يونس/٣٢

٣. الكافي ج٢ ص٨٥

٤. الإسراء/٨٤

٥. بحارالأنوار ج: ٩٩ ص: ١١٠

إيّاك)[1] ثمَّ يترقَّى في العبوديَّة فيقول: (بسم الله الذي لا أرجو إلاّ فَضله)[2] (يا من ارجوه لكل خير)[3]

هذه الروحية إن تركَّزت في الإنسان المؤمن فسوف تُعمِّق جذورَها فتزيل جميعَ الأشواك والموانع الصادَّة، لتنشرَ فروعَها الطيِّبة وثمارَها الجنيَّة في السماء حتَّى تؤتى أكلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها.

ونظراً إلى الحديث المتواتر (إنَّ أمرَنا صعبٌ مستصعبٌ لا يَحتمله إلا مَلَكٌ مقرَّب أو نبيٌّ مُرسلٌ أو عبدٌ امتَحَن اللهُ قلبَه للإيمان)[4] نعرف أن الواقع الذي سوف يحققه ولي الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف هو واقع يختلف تماماً عمّا نعيشه نحن في عصرنا الحالي من العيشة المادية الصرفة التي لا تتحلى بالمعنوية و النورانية أصلاً، وقد مَلئَت هذه الدنيا أفكارَنا وأذهاننا بحيث لم تسمح لنا أن نتصور تلك الدولة تصوراً صحيحاً ناهيك عن التصديق بها كما هي، وبالفعل صار هذا الأمر أمراً صعباً مستصعباً علينا.

وعليه: يتأكد علينا أن نجدد النظر في فهم و معرفة تلك الدولة المباركة كي نرغب فيها فنطلبها فننتظرها وفي زيارة الجامعة الكبيرة: "عارفٌ بحقكم مقر بفضلكم **محتمل لعلمكم** محتجبٌ بذمتكم، معترفٌ بكم مؤمنٌ بإيابكم، مصدِّقٌ برجعتكم، منتظرٌ لأمركم، مرتقبٌ لدولتكم)[5]

المحور الرابع: قوام الإنتظار من الناحية الباطنية والظاهرية

المقام الأوّل: جانب اليأس وجانب الرغبة في المنتظر:

إنَّ كلمة الانتظار تدُّل على حالتين كامنتين في روح المنتظر، لكل منهما دور مهمّ في معنى الكلمة وهذان الجانبان هما:

---

١. بحار الأنوار ج ٨٦ ص٢١٦

٢. بحار الأنوار ج ٩٠ ص١٦٤

٣. بحار الأنوار ج ٤٧ ص٣٦

٤. الكافي ١ ص٤٠١

٥. من لايحضره الفقيه ج: ٢ ص: ٦١٥

١ -الجانب المطلوب والمحبوب للمنتظِر والمتوقَّع الوصول إليه، وهو الخير والبركة وتمكين الدين على الأرض كلِّه، فلو لم يتوقع حدوث حالة جديدة وإيجابية في المستقبل فلا مصداقية للانتظار ولا معنى له.

٢ -الجانب غير المطلوب وغير المحبوب الذي يتمثَّل في الحالة الفعلية التي يعيشها المنتظر، تلك الحالة المؤلمة التي يرجو المنتظر الخلاص منها، فلو كان الوضع الفعلي هو الوضع المطلوب فلا معنى للانتظار إذن ولا مبرر له أصلا.

وبعبارة أوضح: هناك تناسب عكسي بين أمرين هما:

١ -اليأس من الحالة الفعليَّة المعاشَة.

٢ -الرغبة في الحالة المستقبليَّة المتوقعة.

هذا ما يستفاد من نفس كلمة الانتظار من دون النظر إلى أي أمرٍ آخر خارج عنها وتشهد لهذه الحقيقة الآية الكريمة التِّي وردت في هذا المجال حيث السياق وحيث الأحاديث الدالَّة على ذلك. قال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)(النمل/٦٢).

الآية الكريمة تشير إلى الجانبين المتواجدين في نفس المضطر:

١- سوءٌ غير مكشوف وهو السوء المطلق الذي من خلاله نشأت سائر ألوان السوء، وهذا السوء يتمثَّل في أمرٍ واحد وهو أنَّ الخلافة الظاهرية للأرض ليست بيد المُضطَر.

٢- هناك توقُّع ورجاء ورغبة كامنة في نفس المضطر وهي أن تكون الخلافة العامَّة على جميع الأرض له ولمن يقتدي به ويخطو خطاه.

وأمّا الحديث عن شخصيَّة المضطر وأنَّه من هو؟ فهو خارج عن بحثنا ههنا ولكن قوله تعالى "ويجعلَكم خلفاء الأرض" يُنبأنا عن حقائق أخرى تعرف بالتأمّل.

فلا يمكن للمؤمن ممارسةُ عمليةِ الانتظار إلاّ بعد معرفة أمرين متلازمين:

الأول: وهو الأصل والأهم، ويتمثَّل في "معرفة تلك الخلافة الإلهيَّة" وهذا هو التولِّي الذي يُعدُّ من فروع الدين.

الثاني: وهو تابعٌ وملازم للأصل، وهو "معرفة السوء" الذي يتمثَّل في الواقع الفعلي ومن ثمَّ التبرِّي منه الذي هو أيضاً من فروع الدين.

وهنا قد حان الحديث عن مقولة "الرفض" الذي هو من أركان الإنتظار فنقول:

المقام الثالث: الإنتظار والرفض الإجتماعي:

إنَّه من الضروري لمن يعيش حالة الانتظار أن يعرف مدى إنحراف الواقع الفعلي عن الحقيقة والصواب، وينبغي أن يصل إلى مستوى من الإنزجار والتنفُّر بحيث يحسّ بأنَّه بالفعل سجين في هذه الدنيا مقيّدٌ بأنواع القيود التّي لا مفكَّ و لا خلاص منها إلاّ بظهور المنجي الحقيقي وهو "الحجة بن الحسن المهدي" عجل الله تعالى فرجه.

وينبغي له أن يشعر بأنَّ المشكلة التّي يعيشها ليست هي مُشكلةٌ جزئيَّة يمكن التخلُّص منها بسهولة بل هي مُشكلةٌ كبيرة ومعضلةٌ عظمى قد رسَّخت جذورَها في جميع الأرجاء ونشرت سمومَها في كافة الأنحاء، فعندما نلاحظ المجتمع نري بشاعة الظلم و انتشار الجور و ضياع الحقوق و الحرِّيات و اختلاط الحق بالباطل.

فمثلاً نشاهد أنَّ أجهزة الإعلام العالميَّة تجسِّد الباطل كأنَّه الحقّ وتصوِّر الكذب كأنه الصدق، وكلُّ شئٍ حول الإنسان مزيَّف ولكنَّه لا يشعر بهذه المشكلة التي تحيط به، بل يتوهَّم الحريَّة الزائفة، فلا يفكر إذن في تبديل ما هو عليه من الانحراف والإغفال.

فإذاً للتعجيل في فرجه عليه السلام ولإيجاد الداعي في المجتمع يجب أن يعُمَّ، وعلى الأقلّ الشعور بالمظلوميَّة كي يعلم الإنسان ويحس بكلِّ وجوده بأن الظلم قد شمله هو أيضاً و أنَّه يعيش تحت ظلّ تلك الشجرة الخبيثة التّي غرسها من أسَّس أساس الظلم و الجور على أهل البيت عليهم السلام حيث ظهر الفساد في البرِّ والبحر، وبعد انتشار هذا المنطق لا محالة سوف يفكر المنتظِر في إنقاذ نفسه و أهله و مجتمعه من هذه المشكلة.

و للخلاص من هذه المعظلة من رأس ينبغي لنا أن نعرفَ أنَّه لا محيص ولا مناص إلاّ بتوجُّهه عليه السلام، ومن ثمَّ ظهوره ومباشرته للحلّ بأسلوبٍ ملكوتي إلهي.

وعلينا أن نُدرك هذه الحقيقة بجميع وجودنا، و أن ندافع عنها بأرواحنا ودمائنا و أجسادنا وجوارحنا، بحيث لا تمرُّ علينا ساعة بل لحظة واحدة إلا و نشعر بفقدان النور وهيمنة الظلام، وهذه الحالة لا تحصل إلا بالمعرفة، أعنى معرفة الله ومعرفتهم عليهم السلام ودولتهم المباركة، فلا بد أن نكون على بصيرة من أمرنا حيث أن الأعمى لا يمكنه أن يدرك النور مهما شُرِح له.

وهـذه المعرفة تلازمهـا معرفة أخـرى وهـي معرفـة أسـاليب الأعـداء الـشيطانيَّة ومـستوى عداوتهم للحق وانحرافهم عن الواقع وبُعدهم عن الله تعالى.

فعند وصول المؤمن إلى هذه المرحلة من الوعي والإدراك ينبغي له أن يلتزم بواجب هو من أهمِّ الواجبات ألا وهو التبرى من أعداء الله.

ثمَّ إنَّ هذه الحالة النفسية أعـني الـرفض سـوف تكـون لهـا آثار إيجابيَّـة في أخلاقـه وأعمالـه تجعله يشتاق إلى ما سيحقَّق من النصر وتمكين الحق، وهكذا سوف يزداد الاشتياق إلى أن ينقلبَ إلى قرارٍ حاسمٍ ومن ثمَّ إرادة جدِّية وطلب مؤكَّد، وحينئذ سوف يراه المهدي عليه السلام: "متى ترانا"

ومثل هذا الإنسان سوف يتفاجأ برؤية الإمام عليه السلام فلا يرى نفسَه إلاّ ويعيش دولته العظيمة وظلِّه الملكوتي المبارك: "ونراك وقد نشرت راية الحق"

*الرفض من العبادات الاجتماعيَّة

من النتائج الخبيثة والآثار السيِّئة التي نشأت جرّاء عزل الدين عن المجتمع وفصلة عن الحُكم خلال قرونٍ متواليةٍ، هو تحريف المفاهيم الدينية وتفسيرها تفسيراً مؤطَّراً بإطار الفرد لا يتخطاه قيد أنملة وكأنَّ الدين لا يمتُّ إلى المجتمع بصلة، وهذه الآفة قد تسرَّبت بشدّة في تقييم المفاهيم الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فقد فُسِّرت جميعها أو أكثرها تفسيراً فردياً وكأنَّها لا علاقة لها بالمجتمع ولا مساس لها بالأمَّة، وكأن الغاية من بعث الرسل وإنزال الكتب هي إيصال الأفراد فحسب إلى الكمال المطلوب.

ومن المؤسف أنَّ هذا النوع من التفسير مع غاية بعده عن روح الإسلام صار كالبديهي عند أكثر المسلمين حتى عند علمائهم، فترسَّخت جذورها في المجتمع الإسلامي إلى حدٍّ أصبح كلٌّ من يخالفها من جملة الشاذِّين عن الدين وفي زمرة المنحرفين عن الصراط المستقيم وبالنتيجة من المطرودين والخارجين عن ربقة الإسلام والمسلمين !!

هذا والقرآن بصريح العبارة يبيِّن السرّ في بعث الرسل بقوله:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]

١. الحديد/٢٥

ومن الواضح أنَّ "للحديد" الذي هو كناية عن القدرة دورٌ مهم وأساسي في بناء المجتمع فهو الساعد الآخر الذي يضمن تنفيذَ قوانين الدين بعد "الإيمان بالله". ولم يكتف القرآن بذلك بل حرَّضَ كافة المؤمنين على القيام بالقسط فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**﴾[1]

وعلى ضوئه ينبغي أن لا ننظر إلى المفاهيم الإسلامية من منظار فردي فحسب، بل لا بد أن يكون المنظار الاجتماعي هو الحاكم وهو المخيم عليها.

فالتقوى مثلاً ليس مفهوماً أخلاقياً فردياً فحسب بل هو مفهوم إجتماعي أيضا، فهناك تقوى في الإنسان كفرد وهناك تقوى أهمّ و هو التقوى بمفهومه الاجتماعي الذي يرجع إلى الأمَّة المؤمنة، ولكلٍ أثره الخاص به و جزائه المترتب عليه و ثوابه المنسجم معه. وكذلك مفهوم الإيثار و الإخلاص و الكرم و الجود و الغيرة والشجاعة وغيرها من القيم الإنسانية الإسلامية.

نفس الكلام يتأتّى في المفاهيم المضادَّة و القِيم المنحرفة الشاذَّة كالبخل و الرياء و النفاق و الخيانة و الشره و الجبن وغيرها.

نعم هناك بعض المفاهيم، وهي قليلة، يتغلَّبُ عليها الجانب الفردي كما أن هناك مفاهيمَ يتغلب عليها الجانب الاجتماعي، مع ذلك لا يعني هذا أن نتمسك بها كمفاهيم خاصّة فرديَّة.

والمتأمل في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة سوف يذعن بما قلناه ولا بأس بذكر مثال واحد و هو ما ورد في سورة الشعراء في آياتٍ ثمانية عن لسان عددٍ من الأنبياء:

﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[2]

وكذلك في سورة الزخرف[3] فهذا الخطاب هو خطابٌ للمجتمع البعيد عن واقع الدين، وليس الخطاب متوجِّهٌ إلى الأفراد خاصَّةً.

---

١. النساء/١٣٥

٢. الشعراء/١٠٨

٣. الزخرف/٦٣

ومن هذا المنطلق نقول لو أن القيم الأخلاقية أو المفاهيم الاعتقادية رسخت في عدد من الأفراد حق الرسوخ ولكن لم تتجسد تلك المفاهيم في الأمة الإسلامية كأمَّة فهل يجدي ذلك نفعا للأمة ؟ وهل يرتفع الضرر عن الأمة ؟ من الواضح أن ذلك لا يجلب منفعة للأمَّة كما أنه سوف لا يدفع شراً عنها بل الآفة حينئذٍ سوف تتسرَّب إلى الأفراد أيضًا مهما حاولوا التخلُّص منها ! قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]

وذلك حيث لا استثناء في القانون الإلهي، بل لو دققنا النظر وتعمقنا في الأمر لوصلنا إلى حقيقة أخرى قد استترت عن الكثير وهي: أنه من الصعب أن نحكم بصلاح فرد وهو يعيش في أمة فاسدة، ذلك الفرد الذي لم يوصل نفسَه إلى مستوى القيادة والإشراف على أمَّته أو لم يهجرهم هجراً جميلاً كي يسلم من آفاتهم !!

وربما نستلهم هذا الأمر من الآيتين السابقتين:

فبالنسبة إلى الآية الأولي نلاحظ أنَّ الذين نجَوا هم الذين "ينهون عن السوء"، وأمّا الذين ظلموا وهُمْ الفسّاق، سواء المظهِر لفسقِه أو الساكت عن الجريمة، فإنَّ الله سوف يأخذهم بعذابٍ بئيس.

وبالنسبة إلى الآية الثانية نشاهد أنَّ غير الظالمين أيضاً قد شملتهم الفتنة و ذلك لأنَّ الاستسلام للظلم هو ظلمٌ أيضاً.

*الرفض الاجتماعي

وههنا وبصريح العبارة نقول:

أنَّ التكليف الرئيس الذي يُمثِّل أهم التكاليف في عصر الغيبة هو ما أشرنا إليه سابقاً وهو

---

١. الأعراف/١٦٥

٢. الأنفال/٢٥

"**الرفض**" ولكن هذا التكليف ليس هو تكليفاً فردياً فحسب بل هو تكليفٌ اجتماعي، فيلزم على المؤمن أن يكون رفضُه رفضاً ينطلق من منطلق شرعي إلهي حتى يتقرب به إلى الله فيكون عبادةً من نمط العبادات الاجتماعية التي تخيِّم على جميع العبادات الفردية.

ولأجل أن يتَّسم الرافض للمجتمع الفاسد بوسامٍ إلهي ينبغي له أن يمارس الأمور التالية:

الأول: البناء الفردي

و هو السعي للتقرب إلى الله سبحانه و تعالى بالتلبس بلباس التقوى الذي هو خير لباسٍ حتَّى يرتفع مستوى رفضه هذا من السلب المطلق الذِّي هو (لا) إلى سلبٍ يتضمَّن إيجاباً، وعندئذ سوف يكون رفضُه رفضاً مقدَّساً له معنى ومفهوم رسالي عميق، فليس كلُّ "لاءٍ" هي بالفعل لاء المذمومة، بل هذه "اللاء" التي يعتقد بها المنتظر الحقيقي هي أفضل من ألف "نعم"، إن صحَّ القياس بينهما !!

فهذا الرفض ليس من السكوت المذموم الذي هو حالةٌ سلبيةٌ جوفاءُ تُعرقل الإنسان والمجتمع، كلاّ ! بل هو حالةُ صراخٍ ليس مثلها صراخ (ويكفيك نموذجاً سكوت عليٍّ عليه السلام طوال خمسة وعشرين سنة) وهذه الحالة هي الحالة التكاملية التِّي تبني الإنسان وترفع من مستواه إلى الأعلى وتجعله يتكامل شيئاً فشيئاً من دون الوقوف عند حدٍّ، وكذلك تُنمِّي المجتمع وترفع مستواه وتجعله يعيش عيشة عزيزة لا يعتريها ذلٌّ وهوان ولا تحتوشه آفةٌ وخذلان.

المحور الخامس: كيفيات الإنتظار، وصفات المنتظرين:

المقام الأوّل: الإرتقاب:

الإرتقاب:

قال تعالى عن لسان شعيب: (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)[1] وفي اللغة (الرقيب الحافظ وذلك إما لمراعاته رقبةَ المحفوظ وإما لرفعه رقبته قال تعالى: (وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)[2] وقد

١. هود/٩٣

٢. هود/٩٣

وردت أحاديث استعملت فيها هذه الكلمة بمعنى الانتظار منها: ما ورد في نهج البلاغة عن عليٍّ عليه السلام قال: (و من ارتقب الموت سارع في الخيرات)[1] منها: في كتابه عليه السلام لمحمَّد بن أبي بكر (إرتَقبْ وقت الصلاة فصلِّها لوقتها و لا تعجلْ بها قبلَه لفراغٍ و لا تُؤخِّرها عنه لشغل..)[2] وقد وردت أحاديث في جري الآية المباركة على مقولة الإنتظار (ففي تفسير العياشي عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن انتظار الفرج من الفرج؟ قال: ان الله تبارك و تعالى يقول: وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ.) كما أنّ في كتاب كمال الدين و تمام النعمة باسناده الى احمد بن محمد بن أبى نصر قال: قال الرضا عليه السلام: ما أحسن الصبر و انتظار الفرج أما سمعت قول الله عز و جل يقول: «وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ» و قوله عز و جل: «فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» فعليكم بالصبر فانه انما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذي من قبلكم أصبر منكم.)[3] وفي زيارة الجامعة الكبيرة نخاطب أئمتنا عليهم السلام ﴿مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ﴾[4]

أقول: من خلال المعنى اللغوي للإرتقاب و الأحاديث الواردة في هذا المجال نستنتج: أن الإنتظار كما يفهم من نفس الكلمة حيث أنها مشتقّة من النظر، إنّما هو رؤية مقدّسة ينبغي أن يمتلكها المؤمن، دون الارتقاب فهو عمل خارجي وحركة ميدانية لابدّ وأن تتحقّق في المجتمع، فوزان الارتقاب بالنسبة إلى الإنتظار وزان العمل (كالصلاة) بالنسبة إلى النيّة، فلا صلاة بلا نيّة ولا معنى للنية من غير الصلاة، كذلك لا ارتقاب من دون انتظار ولا معنى للإنتظار من دون الارتقاب، فلو كان الارتقاب بمعنى رفعة الرقبة كما ورد في المعنى اللغوي للكلمة، فيعني ذلك المرتقب يكون دائماً رافع الرقبة وهو كناية عن الإستعداد الكامل والتهيئة المستمرّة حيث أن الإنسان الرافع رقبته مستعدّ للعمل غير متخاذل بخلاف الإنسان المطرق رأسه إلى الأسفل، و يدلّ على الفرق الذين ذكرناه ما ورد في الزيارة الجامعة (منتظر

١. بحار الأنوار ج ٦٨ ص٣٤٧

٢. بحار الأنوار ج ٨٣ ص١٤

٣. تفسير نور الثقلين، ج٢، ص: ٣٩٤

٤. من لايحضره الفقيه ج: ٢ ص: ٦١٥

لأمركم) فالإنتظار له ارتباط بأمر الأئمة عليهم السلام (مرتقب لدولتكم) والإرتقاب له علاقة بدولتهم الكريمة.

ولو سألت عن المدّة التي ينبغي أن يرتقب المؤمن فيها دولة الحق لقلت: أن قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)[1] يبيّن مدى ذلك فالحقب يعني الدهر و الزمان و تنكيره يدل على وصف محذوف و التقدير حقباً طويلا. قال في مجمع البيان: أي لا أزال، و الحقب الدهر و الزمان و جمعه أحقاب قال الزجاج: و الحقب ثمانون سنة .وفي المفردات: الصحيح أن الحقبة مدة من الزمان مبهمة .

هذا، وهل لنا الإكتفاء بالارتقاب ؟ أقول: كلا بل هناك أمر آخر لابدّ وأن يلازم الارتقاب و هو:

المقام الثاني: التربّص:

التربّص كما ورد في قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى)[2] وفي الحديث (...عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال سألت أبي عن قول الله عز و جل فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى قال: الصراط السوي هو القائم، و المهدي من اهتدى إلى طاعته و مثلها في كتاب الله عز و جل وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى قال إلى ولايتنا)[3] وفي تفسير قوله تعالى (... فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ)[4]

ورد الحديث عن الامام الباقر عليه السلام.

(..التَّرَبُّصُ انْتِظَارُ وُقُوعِ الْبَلاءِ بِأَعْدَائِهِمْ)[5]

---

١. الكهف/٦٠

٢. طه/١٣٥

٣. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٣١٨

٤. التوبة/٥٢

٥. الكافي ج: ٨ ص: ٢٨٧

المقام الرابع: التحسس:

(يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ)[1]

وهي مرحلة ميدانية حسّاسة تستدعي الدقّة الفائقة في فهم مجريات الأحداث والأمور للوصول إلى زمن المعشوق الإلهي أعني وليّ الله الأعظم أرواحنا لتراب مقدمه الفداء .

ففي قضيّة التمهيد لظهور الإمام الحجّة (عجّل الله فرجه الشريف) لابدَّ وأن نعرف أنّ هناك مراحل مختلفة حسب الأزمنة والحالات، وعلى أساس ذلك نشاهد تنوُّع الأحاديث حيث تأمر بعضها بالجلوس والسكوت في مرحلة، و **الحركة** في مرحلة أخرى، كما في حديث (سدير الصيرفي) حيث خاطبه أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قائلاً: يَا سَدِيرُ الْزَمْ بَيْتَكَ وَ كُنْ حِلْساً مِنْ أَحْلَاسِهِ وَ اسْكُنْ مَا سَكَنَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ السُّفْيَانِيَّ قَدْ خَرَجَ فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَ لَوْ عَلَى رِجْلِكَ)[2] وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وآله (تَجِيءُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ زُبَرُ الْحَدِيدِ فَمَنْ سَمِعَ بِهِمْ فَلْيَأْتِهِمْ فَبَايِعُوهُمْ وَ لَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ)[3]

وأبلغ حجّة في بيان المرحلتين أعني (مرحلة)السكوت و (مرحلة) التحسس ما نجده في موقف النبي يعقوب (ع) مع بنيه:

ففي بداية الأمر حيث جاء بنوه وقالوا: (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)[4] ففي هذه المرحلة قال: (... بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)[5] فهذا النمط من الصبر رغم كونه جميلاً ولكن كان متلازماً مع السكوت والسكون حيث لم يجدِ التحرّك والقيام، بخلاف المرحلة الأخرى من الصبر حين قال لهم أكبر أخوتهم (ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ

---

١. يوسف/٨٧

٢. الكافي ج: ٨ ص: ٢٦٥

٣. بحارالأنوار ج: ٥١ ص: ٨٤

٤. يوسف/١٧

٥. يوسف/١٨

فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ)[1] (وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)[2] هنا نشاهد أن التعبير الذي استخدمه النبي يعقوب (ع) هو نفس التعبير السابق حيث قال (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) ولكن الموقف قد اختلف تماماً حيث قال (...عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[3] وهنا قد التجأ يعقوب إلى البكاء (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)[4] بحيث قد أوشك إلى الهلاك، ولذلك توجّه إليه بنوه و (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ)[5] فيا ترى ما هذا النمط من البكاء ؟ إنّه بكاء العشق والإنجذاب واللقاء الذي ينطلق من العلم بالمستقبل المشرق و يندفع من الاعتقاد بالله سبحانه لذلك (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[6] فكانت نتيجة هذا الصبر و البكاء والإلتجاء إلى الله تعالى أمراً مهمّا وهو التحسس حين خاطب الأب بنيه و قال لهم (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ)[7]

فأفضل الأعمال في هذه المرحلة هو التحسس وأعنى به البحث عن الإمام حتى الوصول إلى مرحلة الإحساس به، كما حدث لأخوة يوسف (ع)، والتحسس لا ينافي الإنتظار بل هو عين الانتظار بمستواه الراقي والإرتقاب في مرحلته المتكاملة، والتحسس هو الذي يتطلب الثورة والإنطلاق والتحرّك حتى مرحلة العثور.

أمّا السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا و في هذه المرحلة بالخصوص هذا النمط من

---

١. يوسف/٨١
٢. يوسف/٨٢
٣. يوسف/٨٣
٤. يوسف/٨٤
٥. يوسف/٨٥
٦. يوسف/٨٦
٧. يوسف/٨٧

التكليف أعني التحرّك والتحسس؟

والجواب هو: أنّ في هذه المرحلة تكون الشواهد و العلامات قد بدأت بالظهور، تلك العلامات التي تؤكّد على وجود يوسف في مكان معيّن وهو (مصر) بل في منصب خاص وهو (الحكم)، هذه العلامات هي التي فرضت على الأب أن يدفع الأبناء دفعاً فوريّاً إلى التحسّس والبحث بجدّ وعدم اليأس والتهاون في الأمر وهذه الشواهد هي:

١- إصرار يوسف على مجيء أخيه من أبيه (..قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) والتجاؤه في ذلك إلى التشويق (..أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) ثمّ التهديد (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِي).

٢- إنّه وضع بضاعتهم في رحالهم بحيث أنّهم و بمجرّد أن (... فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ) وأصرّوا على أخذ بنيامين معهم وأصرّوا على ذلك (.. قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ).

٣- أنّ يوسف قد أولى الإهتمام الخاص بأخيه من أبيه بنيامين وذلك حينما (دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ)

٤- وأيضاً موضوع السقاية حيث (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ).

فبوجود هذه العلامات ماذا ينبغي ان يفعل الأب ؟ صار تكليفه أن يقول لهم (.. بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ثمّ يحرّضهم ويدفعهم إلى التحسس الفوري من ولي الله كما هو المستفاد من أداة العطف (فاء) الدالة على الفورية فيقول:

(يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ)[1]

❖العلامات المهدوية في الوضع الراهن:

إن الثورة الإسلامية المباركة قد اجتازت ثلاثين عاماً وهي في حال التقدّم والرقي من الإنتصارات العظيمة التي حققتها في شتّى المجالات السياسية والعلمية والتقنية والعسكرية من

١. يوسف/٨٧

حيث العدّة والعُدّة، والإنتشار السريع في أوساط المسلمين بل المستضفين في العالم بحيث صار الناس أفواجا افواجاً يعتنقون المذهب الحق من دون أن يخافوا في الله لومة لائم فلا يبقى شك في قرب ظهوره عجلّ الله فرجه، بل هذه العلامات تدلّ على أن الوقت قد حان للتحسّس من ولي الله حتّى العثور عليه وقد حان أن تطبّق الآية المباركة (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ)[1] فمن أراد الإمام الحجّة ينبغي له أن ينطلق إليه ويستبق الخيرات كما قال يعقوب)اذْهَبُوا)، وقال الإمام الحسين (عليه السلام): (فليرحل معنا) ولا يحتاج التحسس إلى اليقين بل الإحتمال يكفي، كما احتمل يعقوب (ع) وجود ابنه في مصر فقال (يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ) فالتحسس يعني البحث الذي يؤول و ينتهي به إلى اللمس والإحساس الحقيقي.

وبذلك قد وُضِّح لنا كيف أننا نعيش زمن التكليف بالتحسس من ولي الله حتّى لقاؤه الشريف، وهذا التكليف العظيم يتطلّب أموراً:

١. تزكية النفس ورفع الحجب المانعة للوصال:

فأخوة يوسف عندما تركوا التكبّر والغرور والأنانية ولم يأتوا في هذه المرّة إلى مصر للحصول على الطعام بل كانت رحلتهم هذه من أجل الوصول إلى يوسف نفسه، حينئذ حَضَوا بعزيز مصر فعرّف نفسه لهم. فالفناء في الإمام هو الشرط الرئيس للعثور عليه كما قال الإمام الحسين عليه السلام: (من كان فينا باذلا مهجته) وقال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[2] فينبغي رفع كافة الحجب حتّى نتمكن من رؤيته. وأغلظ حجاب هنا هو حجاب الأنانية الناشئة من حبّ الذات، فأخوة يوسف بمجرد أن قرّروا أن يبعدوا عن أنفسهم هذا الحجاب نشاهد أن يوسف قد عرّف نفسه لهم.

٢- ضرورة معرفة الحق ويميزه من الباطل:

فالتحسس يتطلّب المعرفة والتعبئة لذا ينبغي من جميع الشيعة بل المسلمين من دون استثناء

---

١. يوسف/٨٧

٢. العنكبوت/٦٩

أن يذهبوا و يتحسّسوا من الإمام المهدي (عجّل الله فرجه)، وحينئذٍ سوف يحسُّوا به قطعاً، ومن أراد أن يكون من هذه المجموعة ينبغي له الابتعاد عن الدنيا الدنية وزخرفها و زبرجها ويولي أشدّ الإهتمام بإمامه، بحيث يكون الإمام هو المحور والأصل في تفكّراته وفي أعماله، ويكون تابعاً محضاً له وحينئذٍ له أن يقول: (...يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)[1]

بقى سؤال آخر وهو: من هو أخو الإمام في هذا العصر ؟ ذلك الأخ الذي يدّلنا عليه؟

أقول في الجواب: هذا الأخ لابد وأن تنسجم نواياه و تصرّفاته مع رؤية إمامه ويكون بصدد تهيئة الأرضية لخروج الإمام (عجّل الله فرجه الشريف)، فهل نعلم جهة أقرب إلى الإمام المهدي (روحي فداه) من الدولة الإسلامية المباركة المتمثّلة في وليّها الفقيه الإمام الخامنئي (حفظه الله) ؟ فممّا لا شك فيه أنّ الطريق للوصول إلى حجّة الله في أرضه هو الطريق عينه الذي رسمه روح الله الموسوي الخميني (قدّس سرّه)، و تبعه تلميذه وابنه البار السيد الإمام الخامنئي (حفظه الله) ... وقد أكّدت عدد من الآيات المباركة وكثير من الأحاديث إلى ذلك نشير إلى بعضها:

قال تعالى: (.. وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[2]

١- في مجمع البيان روى ابوهريره ان اناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله قالوا: يا رسول لله من هؤلاء الذين ذكرالله في كتابه؟ وكان سلمان الى جنب رسول الله صلى الله عليه واله فضرب عليه السلام يده على فخذ سلمان فقال: هذا وقومه، والذى نفسى بيده لوكان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس)[3].

٢- عن يعقوب بن قيس، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا بن قيس وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ عنى أبناء الموالي المعتقين».[4]

---

١. يوسف/٨٨

٢. محمد/٣٨

٣. بحار الأنوار ج ٢٢ ص٥٢

٤. تفسير القمي ج ٢ ص٣٠٩

٣ روى أبو بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إِنْ تَتَوَلَّوْا، يا معشر العرب يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ يعني الموالي».[١]

وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٢]

١- (عن سليمان بن هارون قال: قال الله: لو ان أهل السماء و الأرض اجتمعوا على ان يحولوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا، و لو ان الناس كفروا جميعا حتى لا يبقى أحد لجاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون هم من أهله، ثم قال اما تسمع الله يقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ)[٣]

٢- (في تفسير على بن إبراهيم قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قال: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذين غصبوا آل محمد حقهم و ارتدوا عن دين الله فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ نزلت في القائم و أصحابه الذين يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ).[٤]

٣- (في مجمع البيان و روى عن على عليه السلام انه قال يوم البصرة، و الله ما قوتل أهل هذه الاية حتى اليوم و تلا هذه الاية،)[٥]

٤- (روى ان النبي صلى الله عليه و آله سئل عن هذه الاية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا و ذووه، ثم قال: لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس، و قيل: هم أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين و القاسطين و

١. بحار الأنوار ج ٦٤ ص١٦٩
٢. المائدة/٥٤
٣. بحار الأنوار ج٢٧ ص٤٩
٤. بحار الأنوار ج٣١ ص٥٧٨
٥. بحار الأنوار ج ٣٢ ص٢٨٣

المارقين).[1]

وقال تعالى: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(الأنعام/٨٨). (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ)[2]

١- عن سليمان بن هارون العجلي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (إن صاحب هذا الأمر محفوظ له أصحابه، لو ذهب الناس جميعا أتى الله له بأصحابه. و هم الذين قال الله عز و جل: فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ، و هم الذين قال الله فيهم: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ)[3]

وأمّا الأحاديث فكثيرة نكتفي بحديث واحد: أحاديث قم، والرجل الموعود منه: فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: (رجل من قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، لا يملون من الحرب ولايجبنون، وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين) [4] ولعلّ الحديث يشير إلى قوله عزّ من قائل: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[5]

سائر صفات المنتظرين:

مضافاً إلى الصفات التي تحدثنا عنها لابدّ للمنتظر أن يتّصف بصفات أخرى أبرزها:

١-الصبر:

وهذه الصفة هي أهم تلك الصفات، لأنَّها في الواقع هي الضمان لاستمرار الرفض.

---

١. نور الثقلين في ذيل الآية المباركة

٢. الأنعام/٨٩

٣. بحار الأنوار ج٢٧ ص٤٩

٤. البحار: ٦٠/٢١٦

٥. الأعراف/١٢٨

والصبر ههنا يختلف عن الصبر في المواطن الأخرى، فهذا النوع من الصبر في الواقع هو الصبر الحقيقى الذي هو كالأم لسائر موارد الصبر حيث اشتماله على جميع أنواع الصبر التي نطقت بها أحاديثنا الشريفة، وهي ثلاثة كما في الحديث الذي نقله المحدِّث الكليني قدِّس سرُّه:

(بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: الصبر ثلاثة صبرٌ عند المصيبة، وصبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية)[1]

ثمَّ ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله درجاتٍ أخروية لكلٍّ من هذه الأصناف الثلاثة.

ولكنَّ الصبر الملازم للانتظار قد شمل هذه المراحل الثلاثة وذلك لأنَّه:

هناك أعظم مصيبة ابتلى بها المؤمن المنتظر وهي مصيبة فقدان قائده الروحي و إمامه الثاني عشر الحجَّة بن الحسن المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، فهو يعيش حالةَ اليتم، وهذه المعضلة العظمى بطبيعتها تتطلَّب الصبر. وهناك طاعة تتجسد في التبري من كل ما ومن هو يزاحم هذه الروحيَّة (أعني روحيَّة الانتظار)

(فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ)[2]

وهناك معاصٍ محيطة بهذا الإنسان المؤمن إحاطة كاملةً، و هي القضايا التي تقصم الظهر من التسويلات الشيطانية و المُغريات الماديِّة المنتشرة على مستوى وسيع بحيث لا يلتفت الإنسان يميناً أو يساراً إلاّ وهي تبرز أمامَه خصوصاً في عصرنا الحالي حيث الأقمار الصناعية وحيث شبكة الإنترنت و أيضاً أجهزة الإعلام التّي مهمَّتُها الرئيس نقل الفساد إلى العالم الثالث.

فالمنتظر للدولة المباركة سوف يعيش كلَّ تلك المغريات طوال حياته، فيشاهد بأمّ عينيه أنَّه يسير إلى جهة و العالم أجمع يسيرون إلى جهة أخرى مضادَّةٍ له تماماً، ومن ناحية أخرى يشاهد أنَّ جنود الشيطان وأهل الدنيا يمثِّلون السواد الأعظم فهم الملأ الذين يملئون أعيُن الناس فهو إذن الشاذ بينهم.

---

١ الكافي ج ٢ ص٩١، جامع الأخبار ص١١٦

٢. الشعراء/٧٧

ومن المؤسف جداً أنَّ أرباب الدنيا ربَّما ينطلقون من منطلق النصيحة والإصلاح والحبّ في مسيرتهم الباطلة حيث يُتراءى أنهّا حركة إصلاحية بل إسلامية يتقرب بها إلى الله، ومن الصعب أن يقتنعوا بخطئهم أو يحتملوا ذلك.

فمن الواضح أنَّ هذا الأمر سوف يجعل المؤمن المنتظر الصابر يعيش حالةً أخرى صعبة و هي حالة "الغربة"، ولا تتلخَّص هذه الحالة في الغربة الاجتماعية، بل هناك غربة أصعب من ذلك ألا وهي الغربة الفكرية والأيديولوجية التي تؤكد عليها الأحاديث الشريفة وتجعلها من صفات وعلائم المنتظر الحقيقي كالحديث التالي:

(على بن موسى الرضا عليه السلام قال: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ثم يكون ماذا ؟ قال ثم يرجع الحق إلى أهله)[1]

٢: التصابر:

فماذا يفعل إذاً هذا الصابر كي يستقيم في صبره ولا يهون ؟ لابدّ وأن ينتقل من مرحلة "الصبر" إلى مرحلة أرقى وهي "التصابر" و ذلك كي يخلق الصبر في الآخرين حتَّى ينسجموا معه فلا يرى نفسه وحيداً فيستمرَّ في مسيرته ويصمد في مواقفه حتى تحقُّق تلك الدولة العالميَّة المباركة، وهذه الحقيقة ظاهرة في سورة العصر فهي التِّي ترسم الطريق للمؤمنين المنتظرين قال تعالى: (وَالْعَصْرِ)[2] أي قسماً بالعصر، ربَّما يكون المقصود من العصر في هذه السورة هو عصر الحجَّة عجلّ الله تعالى فرجه الشريف. أو ما ذكره الإمام قدِّس سرُّه حيث قال: "يقال: أن العصر هو الإنسان الكامل، وهو إمام الزمان سلام الله عليه أي عصارة جميع الموجودات، أي قسماً بعصارة جميع الموجودات، قسما بالإنسان الكامل "

أقول: ولا منافاة بين التفسيرين.

(إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)[3]

---

١ بحار الأنوار ج ٢٥ ص١٣٤

٢. العصر/١

٣. العصر/٢

هذا الإنسان الذي قد حُكم عليه بالخسران المطلق هو الإنسان الذي يعيش خارج العصر أي يعيش حالة الغيبة.

والإنسان المذكور هنا يشمل جميعَهم (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[1]

والاستثناء بطبيعته يدلُّ على النُدورة والغربة، فالنادر من الناس والقليل منهم يتَّسمون بهذه السمات الأربعة المتوالية، التِّي ترجع بالأخير إلى صفة فاردة وهي "انتظار الفرج" على ضوء ما قدمنا.

والسؤال المطروح هنا هو إلى متى الصبر والتواصي به ؟ و هل لمجتمعٍ أن يعيش الراحة والطمأنينة و الهدوء في آخر المطاف ؟و إن كان الجواب سلباً فأين حكمة الله البالغة وأين لطفه الشامل وأين كرمه الجميل ؟

أقول: "لابدَّ من وصول الإنسان المؤمن المتَّسم بتلك الصفات إلى مرحلة نهائية وهي مرحلة الكمال، على ما تدلُّ عليه السورة المباركة ".

صفات أخرى: الأحاديث الشريفة قد ذكرت صفاتاً للمنتظر وهي:

"الحزن - التسليم - اليأس - طول السجود وقيام الليل واجتناب المحارم - الدعوة إلى دين الله سراً وجهراً - حسن العزاء وكرم الصحبة - حسن الجوار وبذل المعروف وكف الأذى وبسط الوجه والنصيحة والرحمة للمؤمنين وأداء الأمانة إلى البر والفاجر "

و على ضوء ما شرحنا ينبغي أن نعرف بأن صفات المنتظر ليست هي صفات فرديَّة فحسب، بل الفردُ ينبغي عليه أن ينطلق منها في بادئ الأمر لتستوعب كافَّة زوايا المجتمع الذي يعيشه، وتتفاعل بها الأمَّة حتى تعمُّ فائدتها. فالانتظار وما يترتب عليه من الصبر والحزن وحسن العزاء واليأس ووو.. كلها لا بد أن تتجسد في المجتمع ولا تنحصر في الفرد، ومع تجسُّدها في المجتمع سوف يقترب الفرج و ينكشف الضرّ إنشاء الله.

وليُعلمْ أنَّ تعجيل الفرج يتناسب مع الانتظار شدَّةً وضعفاً، ولهذا صرحت الآية المباركة:

---

١. العصر/٣

﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1] فقربُ نصر الله متناسبٌ مع طلب النصر "متى نصر الله" وهذا الطلب الأكيد لا يحصل إلاّ بعد اليأس ممّا في أيدي الناس، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2]

١. البقرة/٢١٤

٢. يوسف/١١٠

المهدون بين الانتظار والتمهيد

هدى محمد مهدي الصالح[1]

الخلاصه

الحديث حول المهدي عليه السلام ودولته العالمية يدفعنا للحديث بشكل تلقائي عن الانتظار والتمهيد وأبعادهما المختلفة.فقضية المهدي وخروجه وإقامة دولة الحق يدفع بكل من يؤمن بهذه القضية إلى التطلع الدائم والدؤوب إلى يوم خروجه عليه السلام فهو أمل ينعقد في النفوس والتفاعل مع هذا الأمل يدفع بالمؤمنين به أن يسعوا إلى هذه اللحظة المباركة ببذل الجهد للتمهيد لظهوره بتوفير العوامل المساعدة و رفع العوائق المانعة.

إن الانتظار و التمهيد وظيفة المؤمن زمن الغيبة . وأساس وظيفته يقوم على إعداد الظروف وتهيئة الأرضية اللازمة لظهور الحجة وذلك من خلال تربية النفوس ورفع عوامل الإستعداد بتوعية الأفراد والجماعات بأهمية الانتظار وضروريته لتحقيق التهيئة والتمهيد لإقامة دولة الحق التي تبسط العدل في الكون بعد ما ملئ ظلما وجورا.

سعينا في هذا البحث تسليط الضوء على مفهوم الانتظار و التمهيد و تبيين السبل و العوامل و العوائق التي تتعلق بالتمهيد في خمسة فصول متمنين من المولى القبول.

١. المملكة العربية السعودية.

مقدمه

الانتظار للمهدي، هذا المصطلح الذي أكد عليه في الروايات الشريفة بكثرة مثل رواية: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج» [1] ومن خلال البحث وجدنا له معنيين لغوي - واصطلاحي.

المعنى اللغوي: كلمة الانتظار قد اشتقت من (نظر) قال صاحب المفردات: (نظر: النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص. والنظر الانتظار يقال نظرته وانتظرته وأنظرته)"

المعنى الإصطلاحي للانتظار: ويعنى به خصوص انتظار فرج الله الذي هو فرج حجة الله الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي به يكشف الله الغم، ومن هذا المنطلق تُبِعت الكلمة بكلمة الفَرَج الذي هو الانكشاف " وهذا المعنى من الانتظار أعنى انتظار الفرج قد أكتسب قسطاً من القدسية والاعتبار بحيث صار من علائم الإخلاص الحقيقي والتشيُّع الصادق ومن مميزات الدعاة إلى دين الله سراً وجهراً.جاء في الحديث: (..أولئك المخلصون حقا وشيعتنا صدقا والدعاة إلى دين الله سرا وجهرا) "[2]

حقيقة الانتظار

الانتظار يطلق عادة على حالة الشعور بعدم الارتياح من الوضع الموجود، ويسعى إلى إيجاد الوضع الأفضل والأحسن. ولهذا فانتظار الإمام المهدي(عليه السلام)يلازمه عدم الرضا والانخراط في الواقع المنحرف أو الفاسد، والقيام بواجب الإصلاح ومواجهة كل أشكال وأنواع الفساد والانحراف والباطل.

وجوهر الانتظار هو التمهيد للظهور فكلما كان الانتظار أشد كلما كان الظهور آكد، و الانتظار يحتاج إلى أدوات فاعلة في مسيرة الظهور وهم الأفراد الذين يؤمنون بهذه الحقيقة " المهدون "، فبدون المهدين لا يكون للانتظار معنى أصلاً .

---

١. كمال الدين: ص٦٤٤ باب ما روي في ثواب المنتظر للفرج

٢. بحار الأنوار ج ٣٦ ص٣٨٧ رواية ١ باب ٤٤.

قال تعالى: " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض "[1].هنا وعد إلهي بإمامة المستضعفين ووراثتهم للأرض، وهذا يمنح المستضعفين قوة وثقة وطمأنينة وصبراً على تحمل متاعب الساحة، ويثبت أقدامهم على أرض المعركة، وباعث للأمل في نفوس المنتظرين لهذا الوعد.

وقال تعالى: " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"[2].

فالإيمان بهذه الحقائق القرآنية التي هي " وراثة الصالحين " و" إمامة المستضعفين " يمنح المنتظرين القدرة على مواجهة الصعاب وتحدي الجبابرة في أقسى الظروف ويحول بينهم وبين الانهيار والهزيمة النفسية.

مفهومي الانتظار

-المفهوم السلبي: يرتكز على مبدأ الاستسلام أمام الفساد والظلم والانحراف، واليأس من إصلاح العالم ونشر العدل قبل ظهوره، بل إن الفساد والظلم من أسباب الظهور. وهذا المفهوم ـ مبدأ الاستسلام ـ عند شريحة واسعة يعطي للانتظار بعداً سيئاً، وهذا الشعور يدفع بحامل هذا الفكر إلى التقاعس عن أداء واجبه الشرعي تجاه نفسه والمجتمع ويفضل أن يغلق الأبواب على نفسه حتى يخرج صاحب الأمر فيبسط العدل بنفسه، ويقضي على رموز الظلم والطغيان. أما من يرى أن انتشار الفساد والظلم من أسباب تعجيل الفرج، فلا أظن أن هؤلاء يؤمنون بخروج المصلح عليه السلام أصلاً وإنما يحاولون إشاعة مثل هذا الأمر ليبرروا أفعالهم الخاضعة لأهوائهم ونزعاتهم الشيطانية.

ـ المفهوم الإيجابي: ويستند إلى أن الانتظار باعث على التحرّك لا الركود وعامل وعي ويقظة .ويسعى المنتظرون لإيجاد الوضع الأفضل والأصلح، وأنه يخلق روح المسؤولية، وأنه مصداق للعبادة. قال رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) كما روي عنه: "أفضل العبادة انتظار الفرج"[3]. وبنظر هؤلاء فإن الإمام إنما غاب نتيجة عدم نضوج الظروف الموضوعية

١. القصص ٥ ـ ٦

٢. الأنبياء ١٠٥

٣. كمال الدين ص٢٨٧ ح٦ باب ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

لقيامه بالأمر فالانتظار إذن هو العمل على إنضاج الظروف الموضوعية للمشروع المهدوي بمعنى العمل على استرجاع الغائب من غيبته،

إن هذا المفهوم يعطي المنتظر الدافع الدائم للعمل على التهيئة والتمهيد لظهور الإمام (عجل)، فحامل هذا الفكر إنسان منتظر فاعل في مجتمعه عارف بوظائفه وواجباته مؤد لحقوق الإمام يعيش الأمل دائماً متيقن من الهدف الذي يحمله.

من هم المنتظرون ؟

صفات المنتظر ليست صفات فردية تخص الفرد وحده، بل ينبغي أن ينطلق الفرد منها في بادئ الأمر كي تستوعب كافة أطياف المجتمع الذي يعيشه وتتفاعل به الأمة حتى تعم فائدتها. فلابد أن تتجسد هذه الصفات في المجتمع ولا تنحصر في الفرد ومع تجسدها سوف يقترب الفرج وينكشف الضر بإذن الله. ومن هذه الصفات:

الارتباط بالإمام المنتظر عجل الله فرجه: الارتباط بالحجة ليس مجرد ارتباط بفكرة عقيدية غيبية، بل بإنسان يعيش بيننا يرانا و نراه ويعرفنا ولا نعرفه، يسددنا ويوجهنا حيث مصلحتنا ومصلحة الأمة فلولا وجود الإمام لساخت الأرض بأهلها فهو أمان أهل الأرض كما النجوم أمان أهل السماء.

وقد وردت بعض الأحاديث أن أعمالنا تعرض عليه فيحزن لسيئها ويفرح لما هو حسن منها لذا علينا أن نطهر أنفسنا ونراقب أعمالنا لنكون بمستوى رضى الله ورضى الحجة عليه السلام. ويقول الإمام الخميني (قده): " علينا أن ننظر في صحيفة أعمالنا قبل أن تصل إلى محضر الله ومحضر صاحب الزمان (عجل) ". كما علينا مراعاة جملة من آداب العلاقة معه والارتباط به عجل الله فرجه.

الصبر: الصبر الملازم للانتظار يستوعب عدة مراحل منها الصبر على غياب القائد الروحي والإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن المهدي (عج)، فالمنتظر يعيش حالة اليتم وهذه المعضلة العظمى تتطلب الصبر. فمن موجبات همنا وغمنا الأكيد بُعد الإمام عنا. فالمؤمنون الرساليون لو عاشوا الفقد في كل لحظة من حياتهم وأيقنوا أن كل مأساة على وجه الأرض من هتك عرض أو إراقة دم يعود إلى غيبة الإمام (عج) لكان هذا مدعاة لسموّ أرواحهم

وتعففهم عن ارتكاب المعاصي، فعلى الإنسان أن يعي هذا الهاجس – هاجس الفقد ـ ويستشعر بمظلومية إمامه.

وبالنظر إلى الواقع المعاش فهناك معاصي محيطة بالإنسان المؤمن إحاطة كاملة من المغريات المادية والتسويلات الشيطانية المنتشرة على مستوى واسع خصوصاً في عصرنا الحالي حيث الأقمار الصناعية وحيث الشبكات الدولية مثل الإنترنت والأجهزة الإعلامية، التي مهمتها نقل الفساد إلى العالم. جاء عن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) قال: (اصبروا على أداء الفرائض وصابروا على أذية عدوكم ورابطوا إمامكم المنتظر.)[1]

التخلق بالأخلاق الحسنة: إنّ العقيدة بالإمام المهدي(عج) يجب أن تخلق تطوّرا في البرنامج اليومي لحياة الإنسان الرسالي، فيكون إحساسه بقضية الإمام المهدي(عج) عالي المستوى في الفكر والممارسة من خلال تربية النفس وإعدادها عقائديا وفكريا وسلوكيا من أهمها مثلا الصفة الأولى التقوى فالاعتقاد بوجود الإمام المهدي (عج) وبيعته وزيارته وتجديد البيعة له، كل ذلك لا يجدي نفعاً إن لم يكن المنتظر متقيا. وقواعد البناء الإنساني إنما تنهض على التقوى والاستقامة وكما جاء في الآية الكريمة (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)[2] (سورة الأعراف / ٩٦).

الصفة الثانية الصدق مع النفس فالقرآن الكريم امتدح الصادقين وعلى رأسهم الأنبياء. إن الوفي والصادق وفي لمولاه في الشدة والرخاء، ومن أراد معرفة مستوى وفائه فلينظر إلى التزاماته هل تتغير لحظة الضعف أو الشهوة أو الخوف.

الصفة الثالثة التفقه وهو أن يرتقي بالنفس من جهة المعرفة الدينية إلى مستوى الفقه العلمي و العملي والالتزام بالأحكام المقررة في الشريعة الإسلامية، لأن العامل من غير معرفة لا قيمة لما يقوم به من أعمال عبادية إذا كانت تلك العبادات يعتريها النقصان والخللالصفة الرابعة البصيرة بدراسة العقائد بشكل كاف حتى لا تتزلزل عقائده ولا يقع في البلاء.فالبصيرة

١. غيبة النعماني ص٢٧، المحجة ص٥٢، ينابيع المودة ص٤٢١، البرهان ج ١ ص٣٣٤)

٢. سورة الأعراف / ٩٦.

هي التي تنقذ الإنسان من فتن الزمان وتقيه خدع المتظاهرين بالإسلام. ومن أهل البصيرة الفضل العباس حيث قال عنه الإمام زين العابدين: " كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان ".

وظيفة المنتظرين

الانتظار بالمعنى الصحيح لا يعني الاسترخاء، بل يعني القيام وتهيئة الظروف فكرياً وعملياً لخروج الحجة عجل الله فرجه، حتى إذا ما خرج صاحب الأمر نكون مهيأين لتأدية هذا الدور بين يديه (ع). كما على المنتظر أن يعي واجباته وأن يؤدي وظائفه على الوجه المطلوب حتى يحظى برضا إمام زمانه، ومن الوظائف التي تجب على المنتظر في زمن الغيبة:

معرفة الإمام: ورد في الدعاء: " اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني"

لاشك أن معرفة الإمام من الواجبات الملقاة على عاتق جميع المسلمين، ويتضح لنا من خلال الدعاء المذكور ارتباطها الوثيق بمعرفة الله سبحانه وتعالى، بل إنها الأساس لمعرفة الله)بنا عرف الله، بنا عبد الله، لولانا ما عرف الله)[1] فالإمام هو حلقة الوصل بين الخالق والمخلوق ومهمته ربط قلوب الناس بالله وإعانتهم بإيصالهم إلى المقامات العالية واللقاء، فطريق الهداية للحق والثبات على الصراط المستقيم لا يتم إلا بمعرفة المعصوم واقتفاء أثره، والسير على خطاه والثبات على ولايته.

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالاً)[2].

كما أنّ الجهل بمعرفة الإمام سلام الله عليه يؤدي بصاحبه إلى الضلال والابتعاد عن الصراط المستقيم، وبالتالي كلما توغّل فيه ابتعد أكثر عن الهدف، إلى أن ينتهي إلى نحو ما

١. الكافي للكليني ج١: ١٩٣، ح٢.
٢. ميزان الحكمة ج١، ص١٢٠، ح ١٤٤.

كان عليه أهل الجاهلية من الشرك.

انتظار الفرج: انتظار الفرج يعني انتظار الدولة الإسلامية المباركة بقيادة وليّ الله الأعظم (عج) وكما ورد في الزيارة (وعليك إلا متّكلا ولظهورك إلا متوقعا ومنتظرا ولجهادي بين يديك إلا مرتقبا).

وانتظار الفرج يخالف تماما مفهوم تمنّي الفرج فالزارع مثلا يحرث الأرض ويرعاها ثم يبذر البذور ويسقيها ثم ينتظر المحصول ونوعية هذا المحصول يتناسب طرديا مع مقدار الجهد الذي بذله الزارع. وكذلك الإنسان الرسالي بتورعه عن محارم الله وانتهاجه لسيرة نبي الرحمة وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين يكون قد هيّأ التربة الصالحة لمنقذ البشرية (الحجة عليه السلام) ليقيم دولته المباركة.

إذاً انتظار الفرج يتطلب المساهمة في إيجاد شرائط الظهور، والعمل لأجل خروج الإمام بالتمهيد لذلك قدر الاستطاعة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

ـ طاعة وكلاء الإمام: بعد وفاة النبي محمد (ص) قام بأعباء قيادة الأمة الأئمة الإثني عشر الذين نص عليهم التشريع الإلهي، فقد كان الناس يأخذون أحكامهم الشرعية من المعصوم مباشرة منذ عهد الرسول وحتى عصر الإمام الحادي عشر صلوات الله عليهم أجمعين، أما إمامنا الثاني عشر وبسبب الغيبة لم يمارس مسؤولياته السياسية، وعلى ذلك فإن مسؤولية القيادة تؤول إلى مفكري الأمة وعلماء التشريع الإسلامي من المجتهدين لتتولى مسؤولياتها في تبيان الصيغ الشرعية لكل متطلبات الأمة.

وقد وردت أحاديث كثيرة تمتدح العلماء وتبين فضلهم " العلماء ورثة الأنبياء " و " علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ". وقد وضح الإمام (عجل) دورهم وضرورة الرجوع إليهم في رسالته للشيعة زمن الغيبة الكبرى " أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله ". لذا علينا أن نرجع إلى العلماء الذين يملكون علم الإسلام وتقواه، والذين يخلصون لله ورسوله.

- **الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء:** ورد عن الإمام الحجة (ع) (وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فأنّ ذلك فرجكم)[1]. ومن البديهي أن نعلم انّه ليس المطلوب منّا الدعاء لفرج الإمام

١. الإحتجاج ج٢، ص ٣٨٤.

فقط لفظا وطلبا للثواب وإنما الدعاء والاستعداد بنفس الوقت لنصرة الإمام، والقيمة الكبرى أن يتذكر الإنسان من تلقاء نفسه محنة الإمام (عج)، ويكثر من الدعاء له بالفرج.

نشر ثقافة الانتظار: إن ثقافة الانتظار تتضمن العمل على التهيئة والإعداد للإمام الحجة (عج) في الإصلاح والتغيير وعلى صعيدين:

أولا- على الصعيد الفردي.

ثانيا- على الصعيد الجماهيري.

أما الثقافة الفردية فتشمل بناء الإنسان فكريا لتحقيق الثبات على الولاية والتمسك بالعقيدة المهدوية، والعمل على تهيئة الظروف والأرضية للظهور من خلال تربية النفوس.

وأما على الصعيد الجماهيري فثقافة الانتظار تعني مخاطبة المساحات العريضة من البشر وذلك من خلال تربية المجتمع، فالانتظار يعني الاستعداد التام والشامل للأفراد والمجتمعات، وعلى مختلف المستويات البنيوية والسياسية والعسكرية والعلمية، والتي تشمل بناء العناصر الإنسانية المستعدة لتحمّل المسؤولية تجاه الإمام ودولته، والاهتمام بأعمال الرعاية والبناء الاجتماعي والتربوي، والعمل على إصلاح المجتمع وبناءه وتماسكه وتآلفه وإحياء روح الجماعة في مختلف المجالات، والأهم من ذلك عدم الذوبان في المحيط الفاسد ومواجهة كل أشكال الظلم.

عوائق و إشكاليات التمهيد

بعد أن اتضح معنى الانتظار، وأصبح المؤمن يلم بما يتسم به المنتظِر من صفات وما عليه من حقوق لإمامه المنتظر وفهم طبيعة وظائفه المكلف بها في عصر الغيبة أصبح مستعدا للقيام بواجبه في عملية التمهيد، إلا أنه وبمقتضى ما يتلازم مع نشوء الحركات الإصلاحية، يواجه المهدون الكثير من المشاكل التي تسبب لهم عوائق تعرقل مسيرتهم التمهيدية.

إن غيبة صاحب الأمر عليه السلام من الأمور المسلم بها عقيديا لدى من يؤمن به وينتظر يوم ظهوره الموعود، ومن المعلوم أن السبب الرئيسي في تأخر ظهور الحجة هو عدم السعي الحثيث للتمهيد لظهوره المبارك. وقد أدى هذا إلى ظهور بعض الإشكاليات التي اعترضت أذهان البعض بسبب التشكيكات المثارة حول خروجه عليه السلام، بل وحول قضيته

بأكملها، وتتمثل في جهتين:

ـ العوائق الداخلية: تعددت الشبهات التي أثيرت ضد المهدوية وتعددت أغراضها، فبعضها كان بقصد سلب الشرعية من القضية وإضفاء الصيغة المذهبية عليها، وبعضها الآخر كان بسبب التراخي لدى الفئات المؤمنة بهذه القضية مما تسبب باسترخاء البعض منهم وتخليه عن دوره كممهد، ونلخصها في فئتين:

فئة المعطلين وهم الأشخاص الذين تخلو عن دورهم المفروض في التمهيد لقيام دولة الحق، ظنا منهم أن القسط والعدل لا يمكن أن يتحقق إلا بخروج القائم عجل الله فرجه، فلتترك الأمور كما هي.

فئة المشككين بالمهدي وحقيقة وجوده وبغيبته بل وحتى في مولده عليه السلام، ومن الشبهات التي أثيرت حول القضية المهدوية هو التشكيك في أصل القضية بحقيقة المهدي والروايات الواردة عن الرسول في المهدي، وبأن قضيته مختلقة من فكر الشيعة وقد اكتسبوها من الفكر اليهودي والنصارى ولا أساس لها في الدين. وكذلك التشكيك في بعض فروع القضية مثل مولد الحجة، وغيبته وطول عمره. وتناسى المشككين في أصل القضية المهدوية أصالة فكرتها في الدين الإسلامي وقد امتلئت الكتب الدينية سواء الشيعية أو من الفرق الأخرى بالروايات المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المهدي (عج) حتى صار الإيمان بالمهدي جزءا لا يتجزأ من عقيدة الفرد المسلم، ولا يمكنهم الحكم بأن هذه القضية شيعية أبدا على الرغم من أنها أصل من أصول المذهب الشيعي وذلك لاتفاق جميع المذاهب على أصالة الفكرة والإيمان بالمهدي، والقول بأنها فكرة مختلقة لا يتناسب مع ورودها في الروايات أبدا وأما كونها فكرة مشتركة مع الأديان السماوية فلا يمكن إنكاره ومجرد الاشتراك لا يستدعي التشكيك أو التضعيف بل يؤصل الفكرة أكثر لاشتراك الأديان بها.

العوائق الخارجية: وتحدد في جهتين: عاشت الفئات الحاكمة على طول التاريخ هاجسا مخيفا من كل الحركات الإصلاحية والتي تمثل خطا مضادا لتلك الحكومات وجوبهت بالقمع والتضييق، وقد عانى الممهدون من ذلك التضييق الكثير بسبب ما حملوه من فكر واعي يتحلى بالقيم الإسلامية ويسعى دوما للتغيير نحو الأفضل والأحسن ويبحث عن العدالة

ويؤسس لها من خلال منشأ مبدأ الانتظار الذي يهدف للتمهيد للمصلح الموعود الذي يملئ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، ومع ما تمثلته تلك الدول من فساد وظلم واضهاد للمستضعفين فسعوا إلى تغييب دور الشيعة باعتبارهم ورثة حقيقيين لفكرة التمهيد للإمام المهدي عليه السلام، فضيقوا عليهم ثقافيا واجتماعيا وسياسيا.

إدعاء المهدوية من قبل بعض الأشخاص، فقد استغل هؤلاء بعض النفوس الضعيفة والتي لا تمتلك وعيا ثقافيا ولا دينيا ولا تمتلك ثقافة الانتظار مستغلين جهلهم وإحساس بعضهم بالفقر وذلك بضخ الأموال وشراء النفوس الضعيفة من أجل حرفها عن مسارها الطبيعي. وخاطبوهم بأساليب جذابة واعتمدوا في خطابهم المبالغة بحب آل البيت عليهم السلام، وقاموا بعزلهم عن العلماء وأوجدوا روح البغضاء والكراهية لهم.

وقد كان لهؤلاء المدعين أسبابا لانحراف أفكارهم وهي متعددة، فمنها ماهو مادي ومنها ما هو نفسي ومنها ما هو سياسي، وكان لإختراق الأجهزة المختلفة لصفوف هؤلاء دورا كبيرا لإشاعة الخلاف والشقاق بين المسلمين وقصدهم أولا إحراج المذهب الشيعي وإيجاد المواقف الضاغطة عليه، كما أن بعض الحكومات الداخلية نشطت الكثير من هذه المآرب بهدف إشغال الناس، والتخلص من المخالفين لهم، وتبريرا لفشلهم.ولا يمكن محاربة هؤلاء إلا عن طريق الوعي بحقيقة الانتظار وفهم القضية المهدوية وفهم كيفية الانتظار، والعلم بجميع الحركات الإنحرافية على مر التاريخ وعدم الإنخداع بالمواقف المشبوهة لدى البعض.

والأهم من كل ذلك لابد من العلم بأصالة المذهب الشيعي وأن له جذور ومنهج رسمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والعترة الطاهرة عليهم السلام، لذا لابد من الإلتفاف حول علماء المذهب والأخذ منهم باعتبارهم حملة الرسالة وورثة الأنبياء

دور ولاية الفقيه في عملية التمهيد

لاشك أن الفقهاء يحتلون مكانة مرموقة في الإسلام وهذا واضح لمن يرجع إلى القرآن الكريم: " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " (التوبة / ١٢٢)[١] وتشير الآية إلى حلقة مهمة من حلقات النظام

١. سورة التوبة: ١٢٢.

الديني، وهذه الحلقة هي دور الفقهاء كواسطة بين المعصوم وقاعدة المؤمنين، فهم يقومون بالدور النيابي عن المعصوم لنشر معارفه في مختلف القوميات والبلدان، كما أن التعرف على الدين وشرايعه لايتم إلا بقيام فئة من الأمة تأخذ على عاتقها اكتساب العلوم الدينية والتفقه والفهم للكتاب العزيز والسنة المطهرة حتى بلوغ مرحلة الفقاهة ليقوموا بعد ذلك بإنذار الناس بالحلال والحرام والفرائض والسنن وبالرجوع إلى روايات أهل البيت (ع) نجد تعدد لأدوار العلماء في الأمة: وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع): «العلماء هم الأدلاء على الله»[1].

هم حراس الإسلام، قال رسول الله: " إن مثل العلماء كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة "[2]. ودورهم هذا يتأكد في زمن الغيبة ففي الرواية عن الإمام الهادي (ع): " لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله "[3].

ـ أنهم يدافعون عن الدين سواء على المستوى التشريعي أو العقائدي أو السياسي وذلك عن طريق البراهين والحجج.

الولي الفقيه

ولاية الفقيه تقوم في ركنها الأساس على قاعدة أن الإسلام لا تنفصل فيه السياسة وإدارة المجتمع عن جوهر الدين والإيمان والعمل للآخرة ولذا اقتضى أن يكون على رأس الدولة الإسلامية فقيه عادل مدبر، يضمن وجوده تحقيق الأهداف المنشودة. ومن مرتكزات ولاية الفقيه هو إقامة الدولة الإسلامية العالمية، والذي لا يمكن أن يتحقق إلا بخروج الإمام الغائب (ع)، فنظرية ولاية الفقيه ولدت كنظام بديل واضطراري ألجأت إليه الظروف ودعت إليه

١. ميزان الحكمة ج٤ / ص٢٤٢٠.
٢. المصدر السابق، ص٢٨٤٠.
٣. المصدر السابق، ج٣، ص٢٠٨٧.

الضرورة بغيبة الإمام المعصوم (ع) منعا من حصول الفراغ. ولم يقتصر دور الفقيه في الأمة على الإفتاء فقط، فقد تولى الفقيه ثلاث مناصب هامة:

١ ـ دور الإفتاء، ففتواه حجة على مقلديه.

٢ ـ دور القضاء، أي أن قضائه نافذ على الناس.

٣ ـ دور الولاية، وهي ولاية الفقيه وحاكمية الفقيه الجامع للشرائط في عصر غيبة الإمام الحجة (ع) حيث ينوب الولي الفقيه عن الإمام المنتظر (ع) في قيادة الأمة وإقامة حكم الله على الأرض. وهو قائد الحركة الجماعية والموحدة والتي تحمل توقا إلى الإمام المهدي (ع) وهو الذي يقوم برعاية الجماعات والأفراد والأجهزة والمؤسسات التي تعمل على التهيؤ لاستقبال واستقدام الإمام من غيبته بما يحتاج إليه من أفراد وأجهزة ومؤسسات ذو كفاءة ومهارات وجهوزية للشروع في الحركة الإصلاحية للعالم تحت لواء الإمام (ع)، ثم بناء وإدارة دولة العدل الإلهي على كل الأرض. وخير مثال للولي الفقيه الدور الذي يمثله السيد القائد الخامنئي دام ظله في تصديه لقيادة الأمة.

ومن أدوار الفقيه هو حفظ الشريعة وله ثلاث مراتب:

١ـ الحفظ التشريعي فالفقيه مسؤول عن رقابة الفكر طوال الوقت حتى يقوم بمسؤوليته في حفظ الشريعة من الناحية التشريعية.

٢ـ الحفظ التعليمي إن الهدف من تأسيس الحوزات هو الشريعة لأن الحوزات تقوم بترويج العلوم الشرعية عن طريق الدراسة والتدقيق، وهذا حفظ للفكر الأمامي حفظا تعليميا.

٣ـ الحفظ التطبيقي وهو الحفظ العملي بأن يفتي الفقيه للناس ما يحفظ دينهم ويحميهم من الوقوع في الحرام.

دور الحوزات والجامعات في عملية التمهيد

تعتبر الحوزات العلمية صمام الأمان للمجتمع المؤمن في زمن الغيبة، ولها دور بارز في عملية التمهيد للظهور المقدس، ويمكن تلخيص هذا الدور بعدة نقاط:

١ـ زرع الإيمان بفكرة المهدي عجل الله فرجه في قلوب المؤمنين.

٢ـ بث البرامج العلمية المناسبة لتهيئة الأرضية بالصالحين، وذلك بنشر الوعي الفقهي

والعقائدي بين المجتمع حيث أن بقاء شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرهون بتطبيق التكاليف وأدائها من قبل المكلفين، وهذا من أهم ما يمهد للظهور.

٣ـ حفظ الشريعة هو الدور البارز للحوزة من خلال ما كتب من أحاديث أهل البيت عليهم السلام وبحوث علمائنا.

٣ـ تأسيس المراكز المختصة بقضية الإمام المهدي عليه السلام.

٤ـ رفد الفكر الثقافي والخطابي بالأفكار المهمة الممهدة للظهور.

٥ـ الوقوف ضد مدعي المهدوية زورا وكشف ألاعيبهم والرد على الشبهات الواردة حولها.

دور الجامعات

دورها لا يقل أهمية عن دور الحوزات في الإعداد لهذه الحركة التمهيدية وذلك بخلق الإبداع العلمي الأكاديمي الذي يرتقي بمستوى الطلاب في مشوارهم العلمي فالحركة الإصلاحية التي يأتي بها الإمام المهدي عليه السلام تعتمد في الأساس على الإنسان وإرادته، فهذه الحركة تحتاج إلى نماذج علمية التي تمتلك أدوات ووسائل العلم الحديث حيث حركة التمهيد والدولة الممهدة وقيام دولة المهدي عليه السلام بحاجة إلى هذا الرافد من الجامعات التي تعد النماذج والكوادر العلمية الصالحة.

الميزات الثقافية للمجتمع والدولة الممهدة

إن عملية الانتظار لا تتوقف على الأفراد فحسب، فهي تحتاج إلى أدوات متعددة وعمل جماعي وأجهزة منسقة، ومن مرتكزاتها الوحدة بين أفراد المجتمع والتعاون بين أجهزته المتناسقة مع بعضها والتي تنطوي تحت نظام واحد يتمثل في قيادة حكيمة عالمة التي تدير الدولة الممهدة التي يحكمها التشريع الإسلامي.

إن جماعة الانتظار تطمح على المستوى الجماعي تحقيق برامجها على ضوء الآمال المعقودة على ترقب الدولة المهدوية. فإن نجاحها يكمن في تفاؤلها الطموح في قيام دولة الحق والعدل، وتصوغ أعمالها على أساس ذلك. فهي في حيوية دائمة غير مشلولة نتيجة الإحباطات

السياسية المحيطة بها، فهذا المجتمع المنتظر يحمل أفراده عدة صفات منها:

الإيمان: فكرة المهدي هي فكرة اشتركت بها جميع الأديان، وتعددت المذاهب المختلفة التي آمنت بخروج المخلص، لكن انفردت بخصائصها وتفاصيلها الثلة المؤمنة التابعة لمذهب آل البيت عليهم السلام، لذا فإن أهم ما يميز مجتمع التمهيد هو الإيمان بحقيقة وجود صاحب الزمان وهذا الإيمان باعث على العمل وإصلاح النفس لدى أفراد المجتمع الإيماني الذي يغلب عليه طابع العبادة والتقوى والبصيرة والعلم.

الوعي: فهو مجتمع يعيش مسؤولياته ويوظف قدراته وطاقاته في خدمة القضية التي يؤمن بها، ويعد أفراده ويجهز مؤسساته للنهوض بالدولة التي تتطلع لنصرة صاحب الأمر.

ولديه وعي وشعور حقيقي بأهمية الهدف الذي يسعى إليه، والأطروحة التي يسعى لتطبيقها ويضحي من أجلها.

العلم: ويمتلك الوسائل والآليات العلمية التي تؤسس لبناء الحضارة الإسلامية والمجتمع المدني القائم على العلم، ويعد الأفراد إعدادا علميا يتناسب مع النهضة الحضارية التي يأتي بها المخلص الموعود.

المعرفة: وتختلف عن العلم وتعني المعرفة الإيمانية التي تتمحور حول فهم ومعرفة المفاهيم الإسلامية وتأصيلها في المجتمع الإسلامي على مستوى النظرية والتطبيق، فلا معرفة بلا عمل ولا عمل بلا معرفة كما ورد في الروايات، عن الإمام الصادق عليه السلام: " لا يقبل الله عملا إلا بمعرفة، ولا معرفة ألا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، إن الإيمان بعضه من بعض "[1].

الإرادة: وتنبع قوة إرادته من الأمل بالدولة المباركة التي تتحقق من خلالها آمال الأفراد والجماعات، فعندما يتعثر هذا المجتمع فأنه يعاود النهوض ويستكمل الطريق لأنه ليس لديه أية مخاوف من المستقبل.

التوجه العبادي: لديه الحرص على أداء الطاعات والعبادات واجتناب الذنوب والمعاصي التي نهى عنها الشارع المقدس، بسبب صعوبة مراعاتها في ظل ازدياد الفتن وكثرة الملحدين

١. الكافي: ٣٣ / ٢ ـ ٣٧.

والمشككين والمتصدين لإضلال المسلمين. فالعبادة بجميع مفرداتها خير وسيلة لتركيز صفة الانتظار في النفس الإنسانية، ومن أهم العبادات والتي تشكل عاملا مهما في بناء الشخصية المنتظرة ذكر الإمام عليه السلام والدعاء له.

الاستقامة والصلاح: الإهتمام باكتساب الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة من أهم ما يميز أفراد هذا المجتمع، عن الصادق عليه السلام أنه قال: (من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم عليه السلام بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه)[1]. فإذا استطاع الإنسان أن يوفر لنفسه نسبة من الطهارة ودرجة من القرب إلى الله عز وجل يكون قد أعد نفسه للقاء الحجة المنتظر. مع هذه الميزات التي تتمتع بها جماعة الانتظار، تشكلت الأرضية المناسبة للتمهيد لكنها تكون في مقام القوة وحتى تتحول إلى الفعل تحتاج إلى ظل يرعاها ويوفر لها المقومات والآليات حتى تكمل المسيرة الساعية للتمهيد فتنعم تحت رعاية الدولة العالمية، وهذا الظل هو الدولة التي تحمل راية الإسلام وتؤمن بقضية الانتظار وتسعى للتمهيد بإعداد المجتمع والأفراد وتوفر لهم الإمكانات والأدوات اللازمة للظهور.

ولابد من هذا التفاعل بين المجتمع والدولة الممهدة والذي يتطلب انسجاما تاما بين كافة أطياف المجتمع وحتى يحصل هذا الإنسجام لابد أن تتوفر في الدولة شروطا يذكرها المعصوم في دعاء الإفتتاح: " اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة "

مميزات الدولة الممهدة

تتمتع هذه الدولة بالعدالة والمثل الإنسانية وكل الخير، في حين ينتشر الظلم ويتسلط في كل مكان وفي كل حكومة وتحت كل راية ماعدا حكومة الإسلام وراية الإسلام ودولة الإسلام والتي تشدنا إلى القيادة الإسلامية المتمثلة في شخص القائد المنتظر. وقد شهد العصر الحديث ظهور الدولة الممهدة بقيادة الإمام الخميني قدس سره، ولازالت تواصل مسيرة

١. غيبة النعماني: ١٦٦ باب التمحيص.

التمهيد بقيادة السيد القائد الخامنئي دام ظله الذي انتقل بهذه الدولة الفتية إلى التطور في جميع المجالات العلمية والإقتصادية والسياسية، والتي تسعى إلى تطبيق الإسلام وإقامة العدالة الإجتماعية في المجتمع. وما قيام الدولة الإسلامية الأولى بقيادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلا لأجل العدل، وكذلك عندما تسلم أمير المؤمنين عليه السلام قيادة الدولة الإسلامية ركز برنامج دولته على مسألة إقامة العدل، وكل ذلك هو حلقة متصلة في عملية التمهيد لدولة الإمام المهدي (عجل) الذي عنوانها البارز هو إقامة العدل في الأرض كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "يملئها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا"، ومن أدوارها:

تحقق عزة الإسلام والمسلمين: فجماعة الانتظار ومن خلال ارتباطها بقيادتها المعصومة التي ستحقق آمالها ببسط العدل والسلام بقيام دولتها الموعودة تستشعر الأمل بتحقيق طموحاتها، فهي لا تجد الحاجة من الركون إلى الغير فهي في غنى دائم عن الآخرين، وهذا الشعور يعزز لدى أفرادها العزة والكرامة ورفض الذل والهوان فالانتظار لديهم يدعو إلى الأمل وتحقيق النصر والنجاح على كل المستويات.وهذا سبب استقلالية جماعة الانتظار وعدم لجوئها إلى الغير.

قيمومة الدولة الممهدة على إزاحة الباطل وأهله: تتميز جماعة الانتظار بحالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الحالة تساعد على تمتين أواصر العلاقة بين أعضائها، وتخلق لديهم حالة الشعور بالمسؤولية دائما تجاه ذات الفرد وتجاه المجتمع. فقابلية أفراد المجتمع الممهد على متابعة المنكر المرتكب من قبل الأفراد والجماعات تبعث على ملاحقة حالات الخرق للمجتمع الملتزم وتقف بوجه الخطر الناشئ من هذا الخرق المرتكب، والمحافظة على حدود الشريعة بالتذكير الدائم والرقابة المستمرة . فإذا تمت هذه الحالات واستطاع المجتمع المداومة عليها ورعاية حقوقها أمكن لهذا المجتمع من بناء شخصيته الحضارية المتميزة بالأمن والسلام، وذلك لتطبيقها لهذه الفريضة المهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تؤهل الدعاة إلى سبيل الله: كيان الإسلام قائم على الدعوة بمختلف أشكالها، ومسؤولية المنتظر في عصر الغيبة الدعوة إلى الحق وهي تتطلب من المنتظرين توطين النفس على العمل والسعي والصبر، ولاشك أن الإمام حين خروجه سيحتاج إلى الأطباء والمهندسين، كما

سيحتاج إلى الدعاة والمبلغين في مسيرته الإصلاحية العالمية، فمسؤولية الدولة الممهدة أن تعد الدعاة وتخلق لديهم الإستعداد للإنخراط تحت راية الهدى التي يحملها صاحب الأمر حين ظهوره.

تصنع القادة الذين يقودون الحركة التمهيدية: برعايتها لموارد علوم أهل البيت وتوفيرها كافة الإمكانات اللازمة للدعوة إلى الإسلام وتعظيمها لدور العلماء والفقهاء والتفافها حول الولي الفقيه الذي يمثل دور النيابة عن الإمام، واعتباره المرجعية التي يلجئون إليها في أحلك الظروف.

تحقق كرامة الإنسان في الدنيا والآخرة: إذا كانت الدولة تتمتع بالقوة والمنعة وتوفر لأفراد مجتمعها جميع احتياجاته فلا يتطلع إلى الغير وبما تحققه من انجازات ترفع من شأنه اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعلميا وثقافيا، وبما توفره من وسائل تكفي لمتطلباته الروحية والعبادية، فأنه سيضمن تحقق الكرامة في الدارين.

الخلاصة

سعينا في هذا البحث التركيز على ثلاثة عناصر هامة وهي: (الفكرة ـ والعملية ـ والأدوات). فالفكرة هي الرسالة التي تحمل المفاهيم العامة والمبادئ التي ترتكز عليها الأطروحة المهدوية وهي تحتاج إلى إيمان وترسيخ في النفوس، وإلى تفعيل على أرض الواقع من خلال ـ العملية ـ وهي التمهيد لظهور الحجة والسعي الدائم ببذل الجهد للإصلاح والتغيير في أرض الواقع من أجل التوطئة لظهوره المقدس، وهذه العملية تحتاج إلى ـ أدوات ـ فاعلة ومحركة لها على أرض الواقع وهم المنتظرون الذين يؤمنون بالفكرة ـ الرسالة ـ في قلوبهم ويفعلونها على أرض الواقع من خلال العملية ـ التمهيد ـ لظهور الحجة ويتفاعلون معا كأفراد ومجتمعات ودول في حمل هذه الرسالة وتفعيلها.

الإعلام والتمهيد

بتول مرزوق رجاء الشريمي

المقدمة

إن ثقافة الإعلام الممهد مفردة من مفردات الرسالات المقدسة والكتب السماوية التي وظفت الإعلام لتهيئة البشرية لمجيء الأنبياء عليهم السلام من أجل تطبيق المنهج الإلهي على الأرض وتحقيق الهدف المنشود لحياة البشرية. (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ). وعلى مثل هذا النهج قام الأنبياء باستخدام الإعلام تجاه القضية المهدوية باعتبار الإمام المهدي عليه السلام وريثاً للأنبياء عليهم السلام.

إن البشرية منذ غياب الإمام عن أنظار البشر ما يزيد عن ألف ومائة وثلاث سنين وهي تعج بمظاهر الظُلم والأمت والاعوجاج و الفتن والأهواء. وهذا الوضع المأساوي يتطلب وجود دولة عادلة تنشر الحق والعدالة والسلام و المتمثلة قي الدولة المهدوية. ولابد لهذه الدولة أن تحكم العالم في يوم تعلن عنه السماء فيما بعد. ولكن ظهور الطلعة الرشيدة في ذلك اليوم الموعود يقتضي تمهيداً إعلامياً مسبقاً كما فعل آباؤه من الأنبياء لتهيئة الظروف الزمانية والمكانية والبشرية لانطلاق ثورته الإصلاحية وإقامة دولة إلهية تتخذ من العدل والقسط شعاراً لها.

إن على البشرية أن تنتظر ذلك اليوم وتعد وتستعد لقدوم ذلك القائد الرباني عبر توظيف مؤسسات إعلامية تحتوي على آليات وبرامج مقتبسة من تعاليم أهل البيت عليهم السلام

كقوة محركة تدفع المجتمع نحو المعشوق الحقيقي صاحب المقامات الإلهية والكمالات الروحية.

الإعلام والثقافة

من يبحث في كتب اللغة يجد أن كلمة الإعلام مشتقة من الفعل أعلَم , أي أخبر, و قد وردت في القرآن الكريم مفردات مرادفة لكلمة "الإعلام" و منها الخبر والنبأ والتبليغ والإذاعة.

قال الله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)[1] .

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)[2] (وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ)[3]

الإعلام اصطلاحا: هو إخبار الجماهير بالمعلومات والمعارف والثقافات وتعريفهم بقضاياهم المعاصرة وقضايا العالم الإنساني كافة عن طريق استخدام وسائل الإعلام المختلفة والمتاحة.

وأما الثقافة لغةً: فمن الفعل ثقف يثقف ثقفا.قال الراغب: الثقف هو الحذق في إدراك الشيء وفعله.[4] وثقْف الكلام بمعنى حذقه وفهمه بسرعة.[5] وجاءت في القرآن الكريم بمعنى الظفر وإدراك الشيء والتمكن منه.

قال تعالى: (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)[6]

وأما في الاصطلاح فتعني التمكن من العلوم والفنون والآداب, والتمكن بمعنى المهارة

---

١. إبراهيم / ٩.

٢. المائدة / ٦٧.

٣. النساء / ٨٣- .

٤. تفسير الميزان ج١٩ ص٢٢٨.

٥. المنجد في اللغة ص٧١.

٦. الممتحنة / ٢.

والإبداع والقدرة في انجاز شيء ما.

ثنائية الإعلام والثقافة

من المفاهيم السابقة ندرك الارتباط الوثيق بين الإعلام والثقافة, فالثقافة تحتاج إلى إعلام والإعلام بحاجة فعلية إلى الثقافة. وحتى تنجح العملية الإعلامية وترتقي وتتكامل لابد لها من أن توظف الثقافة في مسيرتها. وذلك بأن يكون الإعلاميون أصحاب كفاءات إعلامية ذات عناصر متعددة من مهارة وخبرة ومعرفة وسلوك حسن, وتطبيقها في ممارسة العمل الإعلامي. ومن دون هذه الكفاءات لن يُكتب للعمل الإعلامي الاستمرار والتفوق. وكذلك الثقافة تحتاج إلى إعلام وإعلاميين من أجل انتشارها في المجتمع بشكل فعال ومؤثر.

إن المثقفين في عصرنا لابد أن يطرقوا باب الإعلام لتقديم إنتاجهم الثقافي إلى المجتمع. فكلاهما _ الإعلام والثقافة_ يقومان بأدوار تكاملية ويتحركان بطريقة إنسجامية, فثقافة الإعلام أو إعلام الثقافة من المصطلحات والمفاهيم الضرورية للنهوض بالإنسان والمجتمع.

إن أفضل شاهد على ذلك, ما نقتبسه من الهدي المحمدي في شأن الدعوة الإسلامية. حيث قام صلى الله عليه وآله وسلم بتحريك الجانب الإعلامي مشتملاً على ثقافة إسلامية أصيلة بغية إيصال الدين الإسلامي إلى كافة الشعوب بكل قوة وفاعلية .

قال تعالى: «ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ».[1]

وكذلك استخدم عناصر إعلامية ذات ثقافة عالية كالخطابة والمراسلات والوفود والمبلغين, فكانت النتيجة توافد البشر أفواجاً أفواجا إلى الدين الإسلامي . ولكن كيف تم هذا التوافد؟

نقول_ في الجواب _ إن المنهج الإعلامي والديني للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مجرداً من الثقافة الايجابية المتمثلة في التخاطب الهادف والحوار المنطقي كأسلوب الوعظ والإرشاد والمجادلة الحسنة, و لذلك أثَّر في عقول الناس وحرك مشاعرهم نحو الدين الإسلامي.

---

١. النحل / ١٢٥.

أهمية الإعلام والثقافة

لقد استخدم الإنسان الجانب الإعلامي والثقافي منذ العصور الأولى للمجتمع البشري, ومر هذا الجانب بمراحل عديدة من التطور إلى أن وصل إلى هذه المرحلة المتقدمة في عصرنا الحاضر بسبب التقدم العلمي والتكنولوجي. ومنذ القدم إلى يومنا هذا والإعلام الثقافي يُوظف من أجل التأثير على الرأي العام. ومحاولة إعداد الفرد تربوياً وأخلاقياً وفكرياً واجتماعياً بما يخدم مصالح أصحاب الإعلام. وتزويده بالمعلومات الثقافية وإخباره بما يجري حوله من الأحداث الداخلية والخارجية.

ولهذا يعتبر الهيكل الإعلامي والثقافي بجميع وسائله وفروعه المختلفة والمتعددة, من أهم عوامل التربية الاجتماعية وأسرعها, وإذا استخدمه الإنسان بطريقة صالحة وصحيحة مقتبسة من ثقافة الأنبياء عليهم السلام ومن ثقافة القرآن الكريم فسوف يلعب دوراً كبيراً في تطوير الإنسان والارتقاء به إلى ما هو أفضل لإنسانيته .

إن دعوة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأوصيائهم الربانيين يتجسد فيها إعلام ناصع يحمل بين طياته أهداف ربانية وقيم إنسانية. فلقد وجهوا أنظار شعوبهم إلى القضايا العقائدية والمفصلية التي تتعلق بمصير الوجود الإنساني ومن بينها فكرة المُصلِح والمُخلِّص الذي ترسله السماء لأهداف إلهية التي جوهرها نشر العدالة والسعادة الإنسانية في جميع أنحاء المعمورة .

قال تعالى: (وَ لقد كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[1]

إن الكتب السماوية المقدسة مليئة بنماذج من أقوال الأنبياء عليهم السلام عن المهدوية بما يساهم في تهيئة المجتمع البشري لظهور النور الإلهي المتجسد في شخصية هذا المصلح العالمي. نذكر بعضا منها:

أسفار التوراة, "زبور داوود" جاء فيه بعض النصوص التي تشير إلى ظهور المهدي عليه السلام. و إليك نصه: (والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض.. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة ..وعاضد الصديقين الرب .. الرب عارف أيام الكملة

١. الأنبياء / ١٠٥.

وميراثهم إلى الأبد يكون ... لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون ..الصديقون يرثون الأرض ويسكنون فيها إلى الأبد)[1].

- " سفر أشعيا", وُجدت هذه العبارة: (وفي ذلك اليوم سيرفع القائم راية للشعوب والأمم التي تطلبه وتنتظره ويكون محله مجدا)[2]

- " سفر زكريا" احتوى على عبارات التبشير بالمهدي عليه السلام: (ابتهجي كثيرا يا بنت صهيون. هو ذا ملكك سيأتي إليك. عادل ومنصور)[3]

وقبل أكثر من أربعة عشر قرناً, قام النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أوساط المجتمع مستخدماً منظومته الإعلامية التي تشتمل على العناصر الإخبارية والمواد الإعلامية, من قبيل: الإبلاغ والتبشير والإنذار والإخبار, و وسائل إعلامية أخرى من أهمها المنبر الخطابي.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)[4]

فبلغ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الرأي العام بهوية الإمام المنتظر بأنه من ولده, وتحديدا من ولد الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عرَّفهم على خصائصه الرشيدة ومبادئه القيمة وأهدافه السامية.

وأيضاً أخبرهم بأن له غيبة طويلة ودعاهم إلى تصديقه والتمسك بدينه, وبشرهم بحتمية إقامته لدولة إلهية عادلة ليصلح العالم وينشر الخير والصلاح في كل الأرض. في قوله: (أبشركم بالمهدي, يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزال, يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.)[5]. وكذلك أنذرهم النبي صلى الله عليه وآله و

---

١. المهدي المنتظر الإمام الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا ص٢.

٢. أهل البيت في الكتاب المقدس ص١٢٧.

٣. المصدر السابق ص١٢٣.

٤. الأحزاب / ٤٥.

٥. بحار الأنوار- ج٥١ ص٧٤.

سلم من سوء عاقبة من مات ولم يعرف إمام زمانه: (من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[1]

وهذا أيضا كان ديدن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في توظيف الإعلام لتوضيح عقيدتنا في المهدي عليه السلام. فمثلاً كان الإمام الصادق عليه السلام يخبر الأمة عن خصائص الحركة المهدوية من خلال الدعاء والمناجاة. كدعاء العهد والذي ورد فيه: " فأظهر اللهم لنا وليك وابن بنت نبيك المسمى باسم رسولك حتى لا يظفر بشيء من الباطل إلا مزقه ويحق الحق ويحققه واجعله اللهم مفزعا لمظلوم عبادك وناصراً لمن لا يجد له ناصرا غيرك ومجددا لما عطل من أحكام كتابك ومشيدا لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيك "[2]. وكان عليه السلام يوصي الناس بقراءة هذا الدعاء بهدف ربطهم بالحجة عليه السلام وتقديم البيعة له.

ومن اللطيف أيضاً, أن الإمام الرضا عليه السلام وظف الشعر كوسيلة إعلامية في تعريف الأمة الإسلامية بالمهدي عليه السلام وصنع الجماعة الصالحة والملائمة لاستقبال هذا الحدث المبارك والعظيم.حيث قال إكمالاً لقصيدة دعبل الخزاعي:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد بالأحشاء في الحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما يفرج عنا الهم والكربات[3]

وتناول هذه القضية العديد من علماء المسلمين سنةً وشيعة, فقد جاء في كتاب "تاريخ ابن خلدون": (اعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي)[4]

والجدير بالذكر أن التمهيد للمهدوية قضية عالمية لا يشترك فيها جميع الأديان السماوية وغير السماوية بجميع فرقها ومذاهبها فحسب, وإنما انتشرت فكرتها أيضا عند بعض

---

١. تفسير الميزان ج٣ ص٣٨١.

٢. مفاتيح الجنان ص٦١٦.

٣. بحار الأنوار ج٤٩ ص٢٤٠.

٤. تاريخ ابن خلدون ج١ ص٣١١.

فلاسفة الغرب ومفكريهم أمثال المفكر البريطاني برتراند رسل والعالم الفيزيائي المعروف ألبرت أنشتاين والمفكر الايرلندي برناردشو الذي وصف المصلح في كتابه " الإنسان السوبرمان" بأنه : (إنسان حيٌّ ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة , إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل, وأنه يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائة سنة ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة "[1]

قدرات وسائل الإعلام

في العصور الماضية كان الإعلام يحتوي على بعض من الوسائل البدائية والقديمة كالشعر والخطابة والنقش على الصخور أو قرع الطبول أو إشعال النار. وكانت تستخدم هذه الوسائل لنقل فكرة أو معلومة أو خبر جديد من أجل تحقيق أهداف معينة, ومن ثم تطور الجهاز الإعلامي شيئا فشيئا نتيجة تطور فكر الإنسان وعقله حتى أصبحنا اليوم نشاهد ثورة إعلامية عالية الجودة والتقنية, فهناك الكثير من وسائل الإعلام الجماهيرية المقروءة والمسموعة والمرئية مثل الصحف والمجلات والكتب والراديو والتلفزيون والانترنت والكمبيوتر والسينما والمسرح والشعر والمنبر الخطابي وغيرها.

إن هذا العدد الهائل من الوسائل الإعلامية أكسب الإعلام قدرة وإمكانية على التأثير والجذب أكثر مما كان عليه في الماضي. بالإضافة إلى ذلك, أن أغلب تلك الوسائل الإعلامية تعتمد على الكلمة, والكلمة تعد سلاحاً قوياً يحمل قدرة عجيبة في عملية تكوين القناعات الفكرية وعمليات التأثير والتغيير.

إذا أردنا أن نعرف مدى قدرة وسائل الإعلام و ضخامة إمكانياتها وسيطرتها على الساحة البشرية , لابد أن نستطلع بعض الإحصائيات الرقمية.

إن إحصائيات اليونسكو لعام ١٩٧٩م تشير إلى أن هناك نحو مليار ومائتي مليون جهاز راديو. ونحو عشرين ألف محطة إرسال تبث برامجها على مختلف الموجات. وان عدد محطات

١. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي ص١٢.

الإرسال التلفزيوني قد بلغ في ذلك العام نحو (٢٨,٤١٢) محطة. وأن عدد الأجهزة التلفزيونية قد بلغ (٤٥٣,٩٠٢,٥٠٠) جهازا].[١]

إذاً, كم نسبة الزيادة والتطور في الهيكل الإعلامي بعد ما يقارب ثلاثين سنة بعد هذه الإحصائية؟ هذا بالإضافة إلى اتساع العمل الإعلامي بزيادة الوسائل الإعلامية وتطورها التقني السريع كالانترنت والفضائيات مثلاً.

وإضافة إلى تلك الإحصائيات المذهلة للوسائل الإعلامية, نرى وجود علاقة ترابطية قوية في المنظومة الإعلامية مما يزيد في قدراتها, حيث أن كافة الوسائل الإعلامية تتميز بالانسجام والتناسق فيما بينها. فمثلاً من خلال القنوات الفضائية يمكننا أن نشاهد الأعمال المسرحية والسينمائية. ومن خلال الانترنت نقرأ ما نشرته الصحف والمجلات من أخبار ومعلومات. وعبر الصحف نتابع البرامج التي تبثها التلفزة والإذاعة وهكذا دواليك.

وكذلك استخدمت الوسائل الإعلامية التكنولوجيا الحديثة حتى أصبحت تشكل إمبراطورية عظمى تسيطر على العالم بأسره. فأصبح العالم اليوم كقرية صغيرة تتحكم وسائل الإعلام في أنماط سلوكيات أفراده وتخترق سياج العقول والألباب لتؤثر على ثقافاتهم وأفكارهم, وتغير معتقداتهم الدينية وأعرافهم الاجتماعية. ومن خلال هذه القدرات العظيمة, تستطيع الوسائل الإعلامية أن تساهم في التنمية الثقافية والإثراء الفكري والمعرفي والتجديد الإبداعي.

هنا نستعرض بعض القدرات لوسائل الإعلام:

ـ تتمكن الوسائل الإعلامية من أن تساهم وبشكل فعال في نشر الدعوة الإسلامية إلى شتى بقاع الأرض وتعريف العالم بالقيم والمبادئ الإسلامية الأصيلة.

ـ أن الإعلام مؤسسة تربوية توجيهية لها دور ورسالة. وتتمثل الرسالة الإعلامية التربوية في توعية الفرد وتربية شخصيته تربية متكاملة في جميع جوانبها. كذلك إكسابه المزيد من الخبرات والمواقف والأفكار والمعارف التي تساعده على مسيرته التعليمية والاجتماعية . ويتفوق دور الإعلام على دور المؤسسات التربوية الأخرى لامتلاكه عناصر الجذب

١. مبادئ في تربية النشء المسلم ص٩٨.

والتشويق والإغراء .

ـ يستطيع الإعلام بكافة وسائله تزويد الناس بأخبار مجتمعاتهم بصفة خاصة والقضايا العالمية بصفة عامة . ويتم نقل الأخبار في أسرع وقت ممكن وبصورة مباشرة من أرض الحدث.

ـ بمقدور الوسائل الإعلامية صناعة الوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والصحي والثقافي.

ـ تمتلك وسائل الإعلام قدرة على تغيير السلوكيات الإنسانية والاتجاهات الفكرية لدى الرأي العام.

عوائق ومضرات الإعلام

أولاً: معوقات الإعلام: معوقات الإعلام يقصد بها كل الأمور التي من شأنها أن تعرقل المسيرة الإعلامية وتحد من مستوى القدرة والفاعلية وتحول بينها وبين الوصول إلى مستويات الرقي والتطور. و من هذه المعوقات:

١. القوانين والأنظمة السياسية المتسلطة والتي ترمي إلى قمع الأفكار والآراء المناهضة لسياستها. وتعددت أساليب القمع الفكري وشملت جميع الوسائل الإعلامية. وعلى سبيل المثال, تشديد الرقابة على المقالات الصحفية أو منعها أو حجب المواقع الالكترونية والقنوات الفضائية. وكذلك استخدام الإرهاب ضد الإعلاميين وخاصة في الصحافة والتلفزيون وأيضاً حظر تداول الكتب والمطبوعات التي تخالف نهج الحكومات.

٢. ازدياد نسبة الحروب والصراعات السياسية والطائفية والمذهبية الداخلية منها والخارجية بين الدول مما جعل الجهاز الإعلامي يسلط الضوء على مثل هذه الأحداث ويهمش القضايا المفصلية في حياة الإنسان.

٣. تأثير الإعلام الغربي المنحل ودوره في ظهور معالم الفساد والانحراف في المجتمعات البشرية.

٤. سلبية الإعلام التابع للمجتمعات الإسلامية تجاه الإعلام المضاد. لقد كان هذا الإعلام عاملاً مساعداً للإعلام المضاد في بث سمومه في وسط مجتمعاتنا. عندما قدم الأعمال الغربية

للمجتمع المسلم على طبق من ذهب. ليس هذا فحسب, بل وظف لغته العربية في ترجمتها وتعريبها وصياغتها الصياغة الفنية الرائعة التي جذبت إليها الكثير من الجماهير الإسلامية.. فالأفلام المكسيكية والأمريكية واليابانية وغيرها لهي دليل على سوء الإستراتيجية الإعلامية. وبهذه الطريقة دخلت الشعوب الغربية مجتمعاتنا ولعبت بوجدان المسلمين وحركت مشاعرهم وعقولهم نحو القيم والمبادئ التي ينتمي الغرب إليها. وفي المقابل, وقف إعلامنا عاجزاً أمام نقل الأعمال الإعلامية والإنتاج الإسلامي الحقيقي من محيطه إلى العالم الغربي والغير إسلامي.

٥. التكاليف المادية الباهظة الضرورية لمسيرة الوسيلة الإعلامية . فبدونها لا يمكن صنع انجازات أو إبداعات إعلامية.

٦. تدني المستوى الفني والمهني للمؤسسات الإعلامية والذي يتضح من خلال رداءة التغطية الإعلامية للتحولات والقضايا الهامة, وهبوط البرامج الثقافية وندرة الكوادر الفنية.

٧. عجز الوسائل الإعلامية عن توظيف عامل الحداثة الذي من شأنه توجيه الحركة الإعلامية نحو التقدم والتنمية.

ثانياً: مضرات الإعلام: الإعلام سلاح ذو حدين, يحمل في مضمونه جانباً ايجابياً وجانباً سلبياً, فإما أن يُستخدم للبناء والإصلاح وإما أن يكون وسيلة للهدم والخراب و هناك اختلاف وتباين بين المجتمعات في تعاملها مع الإعلام. وكذلك في نسبة الاستفادة والضرر الناتجة عن الإعلام. ويرجع هذا الاختلاف إلى مستوى الوعي والإدراك لدى الأفراد. وسوف نستطلع بعض المخرجات السلبية الصادرة من الوسائل الإعلامية ليتضح لنا أضرار الإعلام وخطورته على الفرد والمجتمع :

الإشاعات المرجفة

الإشاعة هي نشر ونقل المعلومات الضارة والأفكار السيئة من شخص لآخر. ولقد وصفها القرآن الكريم بالأراجيف. والإرجاف هو الفعل الذي يحدث اضطراباً وخوفاً شديداً.

قال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

و الوسائل الإعلامية توافينا بالإشاعات . فإما أن تكون معلومات مختلقة لا أساس لها من الصحة أو أن تكون أفكاراً لا تستند إلا على جزء يسير من الحقيقة. أو قد يعتريها المبالغة أو التحجيم.

إن هذه الإشاعات تعمل على إضعاف معنويات الإنسان وإرهابه وزعزعة الأمن الاجتماعي وتحطيم التماسك السياسي والفكري للمجتمعات الإسلامية . لذلك شملتهم اللعنة الإلهية.

قال تعالى: (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا)[2]

ومن المفترض أيضا أن مثل هذه الدعايات المغرضة والإشاعات الباطلة توجه كسلاح إلى الأعداء والخصوم لهزهم و إرباكهم نفسيا, لا أن تكون موجهة إلى المسلمين أنفسهم.

نشر ثقافة العنف والإرهاب

إن قضية العنف والجريمة تمثل قاسماً مشتركاً بين كافة الوسائل الإعلامية . فبرامج التلفزيون كالأفلام والمسلسلات والقصص البوليسية وأنواع من البرامج الرياضية والإعلانات , ونشرات الأخبار التي تصور الصراعات السياسية والحوادث البشرية والمجازر الدموية وغيرها تتضمن ثقافة العنف سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ويرجع وجود ظاهرة العنف في الأيديولوجية الإعلامية لأسباب عديدة منها الاعتقاد السائد بأن العنف من الأمور المثيرة لانتباه واهتمام الجمهور. كذلك هيمنة الطابع الإخباري على كافة البرامج الإعلامية والذي يستند إلى تضخيم الخبر لإثارة الجماهير وتحقيق النجاح في ظل المنافسة الإعلامية.

ولقد ظهرت آثار جانبية سيئة للعنف الإعلامي ومنها ظهور السلوك العدواني عند الشباب والأطفال نتيجة التقليد والمحاكاة للبرامج الإعلامية.

---

١. الأحزاب / ٦٠.

٢. الأحزاب / ٦١.

لقد توصلت العديد من الدراسات إلى وجود علاقة طردية بين زيادة مشاهدة الأفلام في السينما والتلفزيون وزيادة الاستعداد للانحراف خاصة بين صغار السن والشباب بسبب الرغبة في محاكاة ما يشاهدونه. و لقد تبين من دراسة أجريت في الولايات المتحدة على ١١٠ من نزلاء مؤسسة عقابية أن ٠/٠ ٤٩ من هذه المجموعة أعطتهم السينما الرغبة في حمل السلاح و١٢_٠/٠ ٢١ منهم أعطتهم السينما الرغبة في السرقة ومقاتلة الشرطة)[١].

الخطاب المتعصب

إن من ضروريات الإعلام الإسلامي الاتصاف بالوسطية والشمولية. ولكن بمجرد استطلاعنا لأغلب الوسائل الإعلامية للدول الإسلامية في يومنا هذا, ندرك ومن أول وهلة الهوية الفكرية والمذهبية التي تنتمي لها الوسيلة. فنجدها للأسف تركز رسالتها على الخطاب الانفعالي والمتشنج ضد طائفة أو مذهب أو فكر معين. وتفاقم الأمر سوءً, بعقد جلسات الحوارات الطائفية والمناظرات المذهبية والتي تشتمل على أسلوب التجريح وعبارات التكفير و الشحن الطائفي. إلى أن تحول الأمر إلى حروب داخلية وصراعات مذهبية ومجازر دموية ومقابر جماعية ساعدت على تضعيف الوحدة الإسلامية.

الإباحة الجنسية

لقد برعت الوسائل الإعلامية في الدول الإسلامية في فن الإثارة الجنسية من خلال برامجها وموادها المتعددة. حيث تعرض هذه الوسائل مناظر ولقطات غير محتشمة مثل التعري الفاضح للنساء وتبادل القبلات وعبارات الحب وعمليات الاغتصاب والشذوذ الجنسي وغيرها.

ذكر الدكتور " حمود البدر" أنه من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على "٥٠٠" فيلم طويل تبين أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكل ٠/٠ ٧٢ منها. وثبت للباحثين أن فنون التقبيل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية والتدخين يتعلمها الشباب من خلال السينما والتلفزيون)[٢]

١. قراءة في عالم الشباب. ص٣١.

٢. الشباب هموم الحاضر وتطلعات المستقبل صص١٤٧.

وأدت الإباحية الجنسية المعروضة في إعلام الدول الإسلامية إلى الفساد الاجتماعي و تدمير البنية الأخلاقية والروحية والقيمية للشعب المسلم. ولا يخفى على أحد ما تحدثه هذه الممارسات من اضطرابات في جسد الأمة الإسلامية.

الغناء والموسيقى والرقص

من الخصائص اللافتة في أغلب الوسائل الإعلامية , الاهتمام الشديد بالغناء , الغناء المصحوب بالألحان المطربة والموسيقى المشجية والكلمات الغزلية العاطفية والرقصات المثيرة . وتطور الحال في هذه المادة الإعلامية إلى إرفاق " الفيديو كليب" معها, والذي يحتوي على صور إباحية ولقطات خادشة للحياء بهدف إثارة الجماهير. وحقيقةً, أصبح مضمون المادة الإعلامية يتصف بشناعة الكلمات وفظاعة الأداء , فساعدت هذه الظاهرة على تضليل أفراد المجتمع وانحرافهم عن طريق الحق والصواب.

قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)[1] .

التعامل السلبي مع المرأة

إن موقف الإعلام من المرأة موقف سلبي وقاصر. لقد تعاملت أغلب الوسائل الإعلامية معها بحالة من الاستخفاف والإسفاف. و سعت إلى تشويه صورتها الطاهرة التي حصلت عليها من الشريعة المقدسة. حيث تقدمها بطريقة بهيمية واستثمارية لإعطاء صفة الإثارة الجماهيرية للمادة الإعلامية. وهذا الحال, يمثل تجاهل صريح للأحكام الشرعية والأعراف الاجتماعية لأنه يتطلب من المرأة خلع ثوب الحياء والعفة. كذلك لم يقدم الإعلام المرأة على أنها شخصية إنتاجية أو ذات كفاءة علمية, أو صاحبة رأي وفكر, وإنما شخصية يغلب عليها الطابع الترفيهي والاستهلاكي , تنحصر اهتماماتها في التزين والتجمل والكماليات وقضايا الترفيه الأخرى.

---

١. لقمان / ٦ .

الغرب والإعلام والتمهيد

الغرب المتمثل في الدول العظمى سعى بقدراته الإعلامية الضخمة, إلى ترويج الثقافة الغربية عبر وسائل الإعلام المختلفة لتصبح الهوية الثقافية الغربية هوية موحدة للعالم أجمع. وهذا ما يسمى بـ " الاغتصاب الثقافي " .

واستخدم الغرب الوسيلة الإعلامية لأنها أقوى الوسائل البشرية للهيمنة على ثقافات الشعوب و تغييرها, ومتى فُقدت الهوية الثقافية, وجدت التبعية الثقافية. والطامة الكبرى عندما يكون الإنسان المسلم تابعاً لثقافة منحلة وفاسدة كالثقافة الغربية والتي تضاهي الثقافة الجاهلية شكلا ومضموناً.

يقول الإمام الخميني رحمه الله : (الإعلام مسألة حساسة , وهو ذو أهمية بالغة, أي إن العالم كله يسير بالإعلام. وأعداؤنا لا يستغلون شيئا كاستغلالهم لسلاح الإعلام, ونحن يجب علينا أن نعطي هذا الجانب اهتماما فائقا)[1]

إن الاغتصاب الثقافي فكرة شيطانية استهدفت جميع العالم. ولتنفيذ هذه الفكرة, احتوى الجهاز الإعلامي الغربي على برامج ومواد إعلامية ساقطة لا تتفق مع القيم والمبادئ الإنسانية. فكان جل اهتمامه في إثارة الغرائز الشهوانية كفنون الإباحة الجنسية والغناء المبتذل والموسيقى الشهوانية والتعلق بالملذات المادية. وكلها أمور تلغي العقل والوجدان وتقود الفرد إلى فعل المنكرات وارتكاب المحرمات.

وكانت النتيجةً المتوقعة, أن ضجت المجتمعات البشرية بالظلم والفساد. مما حدا بكثير من أبناء هذا المنهج من مفكرين وعلماء وفلاسفة إلى التفكير بالثقافة المهدوية , لأن المهدوية منهجٌ الهيٌ أراده الله ليمثل نظاماً عالمياً وقانوناً إلهيا ينشر العدل والحق على يد المصلح العالمي. وهذا المنهج مضاد للمناهج الوضعية كالثقافة الغربية.

ومن هؤلاء العلماء والمفكرين :

ـ الفيلسوف الانجليزي الشهير برتراند راسل الذي قال : (إن العالم في انتظار مصلح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد)[2].

---

١. التبليغ في الكتاب والسنة محمد الريشهري ص٢٢.

٢. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي – مركز الرسالة ص٩.

ـ العالم الفيزيائي أنشتاين الذي قال: (إن اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء, ويكون الناس متحابين متآخين ليس ببعيد)[1] .

ـ المنجم والطبيب الفرنسي ميشيل نوسترآداموس, الذي تنبأ بظهور المخلص في كتاباته.

ونتيجة للمعلومات التي تملأ كتبهم وإصداراتهم ويتنبأ بها علماؤهم ومفكروهم, بدءوا يشعرون بالخوف على حضارتهم المادية بأن يغزوها الإسلام ويمحوها من جذورها. وكردة فعل لتلك الانتفاضة , صنع الغرب إعلاماً مناهضاً للدعوة المهدوية ولكن في حقيقة الأمر كان هذا الإعلام بطريقة غير مباشرة مسانداً لهذه القضية.

وذلك مصداقا لقوله تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)[2]

لقد وجه الإعلام الغربي حملات شرسة واعتداءات صريحة على معتنقي الدين الإسلامي. وحتى ينتزع الغرب الهوية الإسلامية من المسلمين, ركزوا على المصادر المهمة والتي يستمد منها المسلمون النور لحياتهم الدنيوية والأخروية وهي شخصية النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم.

ومن هذه الحملات التي تنم عن حقد دفين تجاه الإسلام والمسلمين, قامت صحيفة "يولاندس بوستن" في ٢٠٠٥م بنشر مقالة بعنوان" وجه محمد" في بعضها استهزاء وسخرية من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإحداها تظهر عمامته على أنها قنبلة بفتيل[3] . وكذلك تصريحات البابا بنديكت الحاقدة والتي تدعي أن الإسلام دين عنف انتشر بحد السيف.[4]

وهذا التركيز المشدد على الدين الإسلامي, ساعد على لفت أنظار وعقول الغرب للتنقيب والبحث عن مفهوم الإسلام والوصول إلى حقيقة المسلمين. فكانت النتيجة تولد صحوة فكرية واسعة النطاق تؤكد بأن الإسلام دين رحمة وعدل. وكان لهذه الصحوة الأثر الفعال

---

١. المصدر السابق.

٢. الصف / ٨ .

٣. ويكبيديا.موسومة موقع الكتروني.

٤. مجلة العصر الالكترونية.

في إقبال الكثير من الغربيين إلى اعتناق الدين الإسلامي والتفكير بالمنقذ العالمي.

أساسيات وأهداف ومؤشرات الإعلام الممهد

لابد أن يرتكز الإعلام الممهد على عدة أسس هامة ومنها: الجانب العلمي, الجانب الأخلاقي, الجانب الفني, الجانب المادي.

١. الجانب العلمي

إن الجانب العلمي يمثل مصدر القوة والمتانة للإعلام و خاصة الإعلام الممهد للثورة المهدوية, لأن العلم والثقافة والمعرفة المستمدة من الثقافة القرآنية تمثل نوراً وإشعاعاً للإنسان يستطيع من خلالها أن يميز بين الحق والباطل وان يصون نفسه من الانحرافات الفكرية والعقائدية . كذلك كلما كان الإنسان أكثر علماً ومعرفةً بإمام زمانه كان أكثر ارتباطاً وتعلقاً بشخصيته المباركة. ولا نقصد هنا معرفة اسمه وكنيته وصفاته الجسمية والشكلية فقط, وإنما المقصود بها المعرفة الحقيقية المتكاملة كمعرفة شروط المنتظِر الحقيقي لطلعته الشريفة بهدف تحقيقها وتطبيقها عملياً. ومن هذه الشروط, إخلاص النية عند القيام بواجبات الانتظار, والتحرك للتمهيد لظهور الحجة على الصعيدين الفردي والاجتماعي بتربية النفس والمجتمع لتكوين شخصيات قادرة على نصرة الإمام عليه السلام .

وهذا هو دور العلماء والفقهاء في عصر الغيبة الكبرى. روي أن الإمام الهادي عليه السلام قال: (لو لا من يبقي بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه و الدالين عليه و الذابين عن دينه بحجج الله و المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس و مردته و من فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دينه. و لكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله)[1]

ويحتوي الجانب العلمي في الإعلام الممهد على بعض الأمور الهامة ومنها:

تجنيد العلوم والمعارف المختلفة داخل المادة الإعلامية لرفع المستوى التعليمي والثقافي عند الرأي العام وتذليلها لصالح القضية المهدوية.

١. أعلام الهداية ج١٤ ص١٧٧.

التخطيط العلمي المسبق والمدروس للمادة الإعلامية و الابتعاد عن أسلوب العشوائية واللا منهجية. ومن خلال التخطيط, يتم تحديد البرامج الإعلامية وتحديد الأوقات الزمنية المناسبة لها واختيار الكفاءات البشرية لتنفيذها.كذلك يساعد على معرفة المعوقات والمشاكل المحتمل وقوعها وإيجاد الحلول المناسبة لها. فالتخطيط السليم والمدروس يعمل على سرعة تحقيق الأهداف المرجوة لنجاح الإعلام.

تدريب الكوادر البشرية المتخصصة في هذا الجانب وإعدادهم بطريقة صحيحة وسليمة من أجل صناعة مادة إعلامية تنفذ إلى أعماق الإنسان وتؤثر في فكره ومشاعره.

٢. الجانب الفني

إن الإعلام علم وفن, لذلك إذا أردنا الارتقاء بالجهاز الإعلامي والتفاعل مع وجدان الرأي العام, ينبغي أن نهتم بالناحية الفنية لأنها من أقوى الجوانب تأثيراً على المتلقي. ويمكن ذلك عن طريق استخدام التقنية الحديثة وطريقة الإخراج والعرض المؤثر وفنيات التصوير و صياغة الخبر والفكرة المصاغة بشكل جذاب وملفت, واستخدام الألوان وفن الخط, ومهارة التخاطب ولغة الحوار وغير ذلك من الأساليب الفنية التي تتسم بالتشويق والجاذبية وتربطنا أكثر بالمولى صاحب العصر والزمان عليه السلام .

٣. الجانب الأخلاقي

المعيار الأخلاقي هو العنصر الأكثر فعالية في منح العمل الإعلامي صفة إسلامية تميزه عن غيره. فعندما ينطلق العمل الإعلامي من رؤية إسلامية أصيلة تنبثق من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم تدعو إلى الالتزام بالأخلاق والقيم الإسلامية كالصدق والفضيلة وحب الخير للآخرين, و يجدر بنا أن نطلق عليه مسمى "إعلام إسلامي ممهد" .

قال الإمام الصادق عليه السلام: (مَن سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر)[1]

ومن أهم الضوابط و الصفات الأخلاقية التي يجب أن تراعى في الإعلام الممهد:

١. أعلام الهداية ج١٤ ص١٨٩.

صفة المصداقية والواقعية في الطرح الإعلامي. فالصدق والواقعية من الصفات التي لابد أن يتحلى بها الممهدون لدولة المهدي عليه السلام. وذلك لأن جميع الأديان السماوية قائمة على الصدق و تبيان الحقائق وترفض أساليب الكذب والافتراء .بينما في الوقت الحاضر, تعاني الشعوب من العديد من المصائب جراء ظاهرة الكذب الإعلامي واختلاق الإشاعات الكاذبة.

جاء في إحدى الصحف تقريراً عن الإعلام مفاده: " أن الحقيقة الكاملة في وسائل الإعلام في عالمنا اليوم غائبة في كل أبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى العسكرية. والسبيل الأمثل لتأسيس الحياة على الحق هو في إعادة الناس إلى منهجية الصدق في مناحي الحياة والأخذ بما جاء في كتاب الله فهو أعظم دستور يتصل بين الله والناس"[1]

صفة العقلانية المنطقية . إن الإعلام الإسلامي الناجح لابد أن يخاطب العقل البشري. حيث أن العقل يمثل الأساس الأول للسلوك الإنساني. والأسلوب العقلاني و الموضوع المنطقي يساهم في نجاح الحوار مع الآخر وإقناعه بحقيقة المهدوية.

الصفة النفسية الوجدانية. وذلك باستخدام الأسلوب اللين والكلمة الحسنة من أجل استمالة الطرف الآخر وتكوين علاقات حميمة معه لكسب ثقته والتأثير في فكره وقناعاته .

٤. الجانب المادي

يعتبر المال عصب الجهاز الإعلامي. فلا يتم النجاح للعملية الإعلامية إلا بتوفر الإمكانيات المالية. فالإعلام بحاجة إلى ميزانية ضخمة لتوظيف الطاقات البشرية العاملة من إداريين وفنيين ومتخصصين على مستوى عالٍ من الخبرة . وكذلك لتوفير التقنيات الحديثة لإعداد البرامج الإعلامية وغيرها من الأمور الضرورية لممارسة النشاط الإعلامي وتحقيق الأهداف المرجوة.

---

١. جريدة المدينة، الأحد، ٢٤ ربيع الأول، ١٤٣٢هـ العدد ١٧٤٧٦.

ثانياً: أهداف الإعلام الممهد

هناك عدة أهداف سامية تحملها الرسالة الإعلامية الممهدة منها:

١. الدعوة إلى الإيمان بالقضية المهدوية باعتبار أنها جزء من الدين الإسلامي. حيث تواترت فيه الأحاديث عن النبي والأئمة عليهم السلام .

٢. تثقيف الفرد المسلم دينياً وفكرياً واجتماعيا تمهيداً للظهور المبارك.

٣. تفعيل ثقافة الانتظار لصنع مجتمع منتظر للإمام المهدي عليه السلام يتسم أفراده بالعقيدة الإيمانية والقيم الأخلاقية استعداداً لاستقبال الإشراقات الإلهية المتمثلة في نوره المبارك.

٤. مناقشة قضايا الأمة الإسلامية المعاصرة والدفاع عن مصالحها والمبادرة إلى علاجها. وتعتبر حركة الإصلاح والتغيير على المستوى الفردي والاجتماعي من خصائص التمهيد للإمام الحجة عليه السلام.

٥. مواجهة الحروب الإعلامية المضادة والتحديات المعاصرة وتوعية الرأي العام المسلم بما يحاك ضده من مؤامرات وحملات شعواء تهدف إلى تحطيم الشخصية الإسلامية وتشويه الفكر الإسلامي .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (قولوا في الفاجر ما فيه ليحذره الناس)[1]

ثالثاً: مؤشرات الإعلام الممهد

في الآونة الأخيرة ظهرت إرهاصات كثيرة تشير إلى اهتمام شديد من بعض وسائل الإعلام المعاصرة بالقضية المهدوية. وخاصة بعد الثورة الإسلامية في إيران. حيث بدأ الاهتمام بقضية المهدي يتزايد في جميع شعوب العالم. ومن هذه الإرهاصات:

ـ توفر الكثير من وسائل الإعلام والاتصال المتطورة التي تتيح لجميع الشعوب في العالم مراقبة الأحداث الجارية في جميع العالم. وتعمل هذه الوسائل على إيصال صوت الحق والحقيقة إلى كل إنسان. وتخبر الروايات الشريفة أن الإمام المهدي عليه السلام, سوف

١. مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني٤٣.

يستخدم عند ظهوره التطور العلمي والتكنولوجي في الأجهزة الإعلامية لإعلام الناس عن انطلاق ثورته المباركة ضد الظلم والطغيان. روي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن قائمنا إذا قام مدّ الله عز وجل لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه)[1]

ـ الاهتمام المتزايد من الوسائل الإعلامية بهذه القضية المباركة . فمثلاً, وجود البرامج الفضائية كبرنامج "الأطروحة المهدوية" للسيد كمال الحيدري حفظه الله. وأيضا وجود مجموعة من المواقع الالكترونية التي تخصصت في الإمام المهدي .هذا بالإضافة إلى عقد المؤتمرات والندوات التي تبحث وتناقش ما يتعلق بالمهدوية وكيفية التمهيد للمهدي عليه السلام. ومنها المؤتمر الدولي للعقيدة المهدوية والذي تنظمه مؤسسة المستقبل المضيء يعقد سنوياً منذ عام ٢٠٠٥ للتباحث حول هذه القضية المباركة.

ـ المطبوعات و الإصدارات الثقافية من كتب ومجلات وصحف ومنشورات والتي تهتم بالثقافة المهدوية.

ـ الادعاءات الباطلة للمهدوية ومن أخطرها ثورة الحرم المكي بقيادة جهيمان العتيبي الذي قدم شخصاً من مرافقيه على أنه المهدي المنتظر.

مهام وسائل الإعلام الممهدة

من مهام وسائل الإعلام الممهدة:

١. تثقيف الرأي العام بما تقتضيه الحكمة الإلهية من إيجاد حكومة تبث روح العدالة والمساواة وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

٢. التعريف بالقضية المهدوية عن طريق برامج إعلامية متعددة تواكب عصر التكنولوجيا.

أجرت صحيفة صدى المهدي استطلاعاً حول دور الإعلام تجاه هذه القضية . ففي مقابلة مع عدد من الإعلاميين, كانت الإجابات جميعها متفقة على أن الإعلام لم يؤد دوره الحقيقي في التعريف بالقضية المهدوية .

١. عصر الظهور ص٣٢٨.

وصرح الإعلامي راجي نصير من قناة الحرة الفضائية بقوله: (إن دور الإعلام في التعريف بالقضية المهدوية ليس بالمستوى المطلوب، القضية المهدوية قضية عقائدية فيها بعد غيبي وتحتاج إلى استعداد نفسي أولي لدى المتلقي. وأعتقد إن الظروف التي تمر بها الأمة تحتاج إلى تناول ذكي وحذر للموضوع على أيادٍ مخلصة وملتزمة تخرجه من حيز الاستغلال غير العقائدي وإلا ستكون ردة الفعل عكسية خاصة في وضع الاضطراب الفكري الحالي و اعتقد أننا نحتاج إلى الواقعية والصدق في طرح قضية مفصلية كالقضية المهدوية وعندها تصبح القلوب مفتوحة للتلقي. بغض النظر عن الوسيلة لان القضايا العقائدية تقتضي استعدادا نفسيا وروحيا وفطرة سليمة" [1]

ولنا أن نقترح بعض الطرق الإعلامية للتعريف بالقضية المهدوية:

أ. إقامة المحاضرات والندوات والمؤتمرات والتي تبحث في هذه القضية وتنمي وعي الجمهور بها.

ب. إنتاج مسلسلات ومسرحيات وأفلام سينمائية ضخمة تقتبس من الثقافة القرآنية والتاريخ الإسلامي المجيد و تدبلج إلى مختلف اللغات لتبين لجميع العالم أهداف وخصائص المنقذ الإلهي. وللأسف أن الأعمال الإسلامية سواء السينمائية أو التلفزيونية والتي تتحدث عن قضية الإمام المهدي لا تذكر. بينما شاهد العالم (فيلم نوستر آداموس) الذي بثته شبكات التلفزيون الأمريكية قبل عدة سنوات على مدى ثلاثة أشهر متواصلة وهو فيلم عن قصة حياة المنجم والطبيب الفرنسي " ميشيل نوستر آداموس " الذي عاش قبل نحو ٥٠٠ سنة وكتب نبوءاته عن المستقبل وأهمها نبوءته بظهور حفيد النبي من مكة يوحد المسلمين تحت رايته.[2]

ج. كتابة المقالات الصحفية والقصص والأشعار الأدبية و تأليف الكتب ونشر المطبوعات من أجل هذه القضية.

د. عمل مسابقات وأنشطة ثقافية مستمرة تعنى بالقضية المهدوية .

---

١. صحيفة صدى المهدي عليه السلام، العدد السادس عشر.

٢. عصور الظهور ص١٣.

٣. إحياء أمر أهل البيت استجابة لندائهم المبارك (أحيوا أمرنا). وإحياء الأمر يتمثل في التعريف بمكانتهم السماوية ونشر علومهم وأفكارهم ودراسة وصاياهم والعمل بها وكيفية الارتباط بهم. والمصداق الأشمل لإحياء أمر أهل البيت هو إحياء الشعائر المهدوية. ومن مفرداتها بث الأدعية والزيارات الخاصة بالإمام المهدي كدعاء العهد والندبة , وإقامة الاحتفالات بمولده المبارك.

٤. تطهير المجتمع الإسلامي من خطورة الأفكار المعادية لعقائد لإسلام والتي لا تمت إلى القضية المهدوية بصلة .فعلى سبيل المثال الأفكار التي تنكر الفكرة المهدوية أصلا أو التي تدَّعي المهدوية. أو إثارة الشبهات حول شخصيته المباركة مثل التشكيك بولادته, أو في نسبه وغير ذلك.

٥. حث أفراد المجتمع الإسلامي بتكوين علاقة روحية مع الإمام المهدي حيث يعتبر باب الله ولديه ميراث الأنبياء وهو مصدر للكمالات الإلهية وبنوره يرتقي الإنسان إلى مدارج السعادة الحقيقية والأبدية. وهذه العلاقة تقتضي من الإنسان عشق الإمام وملازمته والشعور بغيبته وغربته والدعاء له بالفرج.

وبهذا المعنى قالت سماحة السيدة الفاضلة أم مهدي الموسوي: " إن لم تكن أيها الموالي في القافلة المهدوية فالتحق بها كما يفعل العاشق المتوجه إلى المعشوق, سر نحو قافلة المهدي ولو كان الوصول يستغرق سنينا. المهم أن تقصر المسافة فيما بينك وبين حجة الله قدر الإمكان إن كنت تريد الله تعالى وترجو نجاة نفسك"[١].

٦. توعية الفرد بأهمية الاستعداد المستمر والدائم روحياً و عملياً لظهور الطلعة الرشيدة وهذا ما أوصى به الإمام المهدي حيث قال: (فليعمل كل إمريء منكم ما يقرب به من محبتنا, ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا فان أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة)[٢]

١. الحسين والمهدي، السيدة أم مهدي الموسوي. ص١١٢.

٢. أعلام الهداية، ص٢٣٥.

المراجع

١. ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون. دار إحياء التراث العربي.بيروت. لبنان الطبعة الرابعة.
٢. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. مجمع البيان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.بيروت. لبنان. الطبعة الأولى١٤١٥هـ
٣. المنجد في اللغة والإعلام. دار المشرق. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية والعشرون
٤. السيدة أم مهدي الموسوي.أوجه الارتباط والشبه بين الإمامين الحسين والمهدي عليهم السلام.دار الولاية للثقافة والإعلام.الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ. قم المقدسة
٥. الشيخ عباس القمي. مفاتيح الجنان. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ
٦. عبدالله أحمد اليوسف. الشباب هموم الحاضر وتطلعات المستقبل. القطيف.الطبعة الاولى١٤٢١هـ
٧. الشيخ علي كوراني. عصر الظهور . مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي.قم المشرفة. الطبعة الاولى١٤٠٨.
٨. قراءة في عالم الشباب. دار التوحيد للنشر والتوزيع.الكويت. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
٩. كاظم النصيري. أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس. المطبعة: صدر. الطبعة الأولى١٩٩٧م.
١٠. لجنة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام. أعلام الهداية. مطبعة: ليلى .الطبعة الأولى.١٤٢٢هـ.
١١. مبادئ في تربية النشء المسلم. دار التوحيد للنشر والتوزيع.الكويت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ
١٢. مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني. دار التوحيد للنشر والتوزيع.الكويت.الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
١٣. محمد الريشهري. التبليغ في الكتاب والسنة. دار الحديث للطباعة والنشر.قم.إيران. الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ .
١٤. العلامة محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. مؤسسة الوفاء. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٥. السيد محمد حسين الطباطبائي. الميزان في تفسير القرآن .منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية. قم المقدسة

١٦. مؤسسة الرسالة. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي. محرم الحرام ١٤١٧هـ
١٧. مؤسسة في طريق الحق. المهدي المنتظر الإمام الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا. (مكتبة أهل البيت_ الشبكة العنكبوتية)
١٨. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. قم المقدسة ١٤٠٤هـ

الدوريات والمواقع الالكترونية:

١. ابتسام المبارك. لا يوجد إعلام حقيقي يمثل تاريخ مجتمعنا الإسلامي. جريدة المدينة السعودية العدد: ١٧٤٧٦ التاريخ: ٢٤ربيع الأول ١٤٣٢هـ
٢. عبدالمنعم الأسدي. دور الإعلام اتجاه القضية المهدوية برؤية إعلاميي النجف الاشرف. صحيفة صدى المهدي عليه السلام- العدد السادس عشر. التاريخ: ١٩ - ٨- ٢٠١٠ م http://www.m-mahdi.com/sada-almahdi
٣. ياسر سعد. الفاتيكان والتحذير من 'أسلمة' أوربا. مجلة العصر. التاريخ: ٢٨- ٧- ٢٠٠٧
٤. ويكبيديا. موسوعة موقع الكتروني.